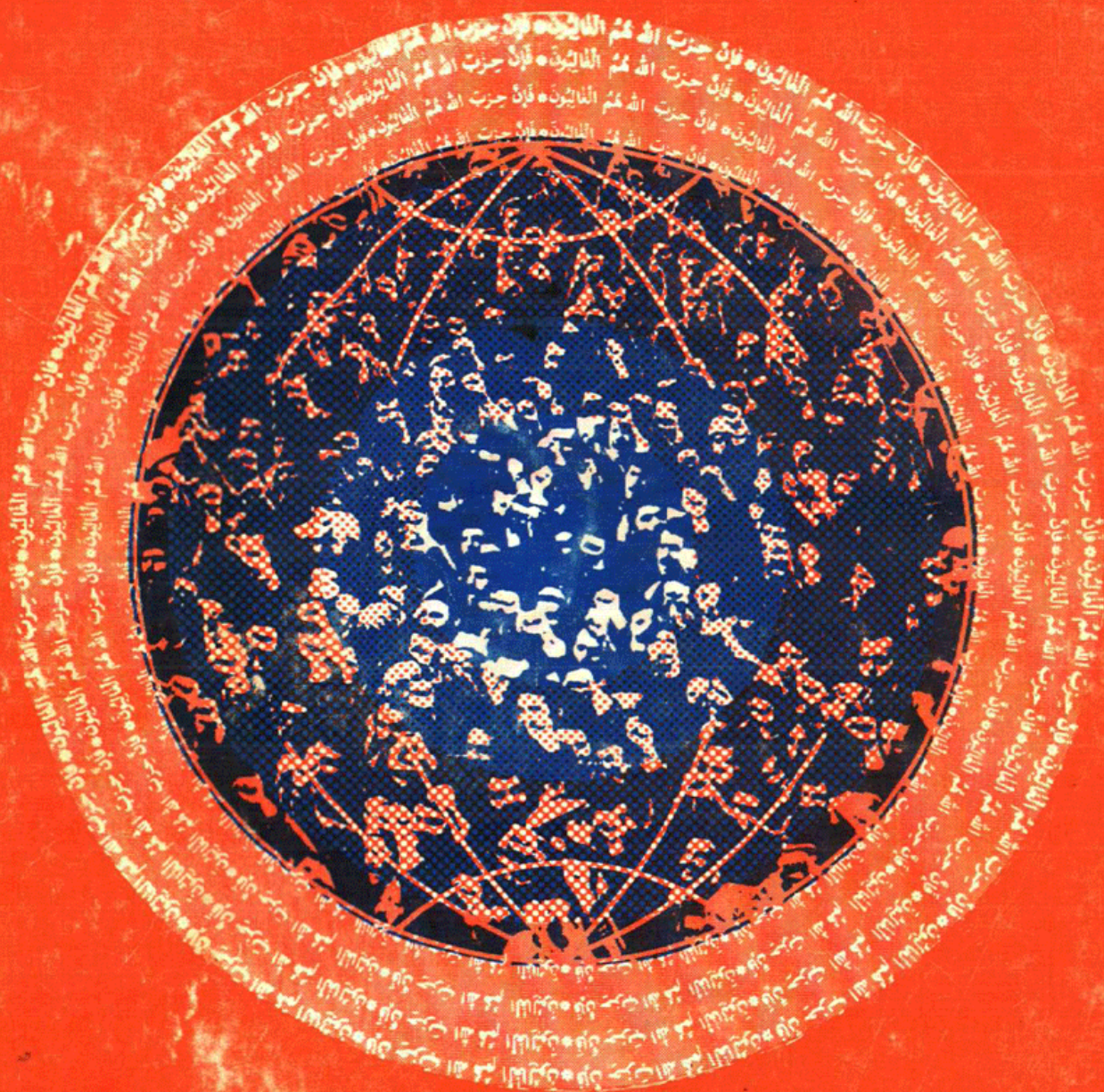
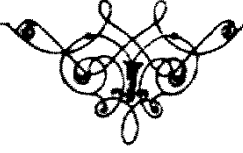


طريقه عزب الله

في العمل الاسلامي



علي الكوراني



طريقة حزب الله في العمل الاسلامي



مصورات حسين الخزامي

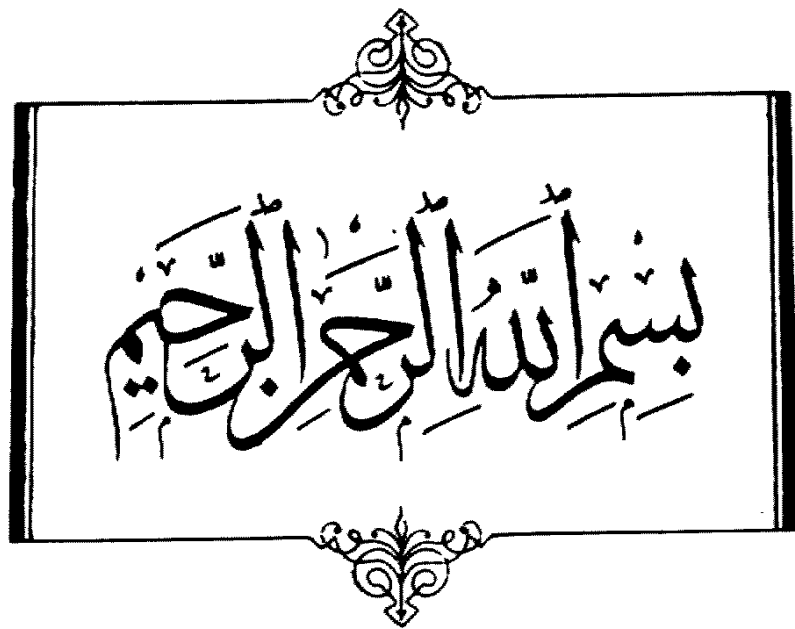
لعام ٢٠١٣م

علي الكوراني



| | |
|----------------------------------|------------------|
| طريقة حزب الله في العمل الاسلامي | • اسم الكتاب: |
| علي الكوراني | • الكاتب: |
| الاول | • الطبعة: |
| مكتب الاعلام الاسلامي | • طبع على مطابع: |
| محرم ١٤٠٦ | • تاريخ النشر: |
| ٥٠٠٠ نسخة | • طبع منه: |

• حقوق النشر محفوظة للمؤلف





إهداء

الى حزب الله ورسوله علماء الأمة الأبرار، وجواهرها المباركة..
الذين وجدوا كتاب الله مُلقًى، فأخذوه بقوة وَرَثَلُوهُ في المساجد والشوارع والساحات،
فَانْبَعَثَتْ مِنْهُ ومنهم أنوار الحضارة الاسلامية، وأخذت تنهزم ظلمات الحضارة الغربية..
الذين يخوضون معركة الاسلام من حدود أسبانيا الى آخر حدود اندونيسيا، فيسقطون
عروش أئمة النفاق وكراسيهم، ويرعبون حاتمهم أئمة الكفر العالمي..
الى كل هؤلاء الأحياء «الأصوليين، المتعصبين، المتطرفين، الحرفيين، السلفيين،
الإرهابيين، مجانين الله» الذين يكرههم شرار أهل الارض، ويحبهم أهل السماء..
والى قادتهم العلماء خاصة.. الذين يعلمونهم كيف يبيعون الأرواح الى بَارِئِهَا، ويُقِذُّون
شعوب أمتهم، والعالم..



فهرست

| | |
|-----|--|
| | مقدمة |
| ٩ | تصور عام لطريقة حزب الله |
| ١٣ | حزب الله والاحزاب في القرآن |
| ٢١ | الأساس الاول: قيادة العلماء للامة |
| ٢٩ | مكانة العلماء في القرآن والسنة |
| ٢٩ | العلماء وامامة المسلمين |
| ٣٤ | المقصود بالعلماء |
| ٤٠ | وضع العلماء في عصرنا |
| ٤٣ | المؤسسة العلمائية عند الشيعة والسنة |
| ٧١ | الأساس الثاني: تحديد العدو وتركيز النظر عليه |
| ٧٧ | الأساس الثالث: طريقة حزب الله والتنظيم |
| ٨٥ | التنظيم الحزبي يتناقض مع طبيعة مجتمعا |
| ٨٦ | كيف يبدأ التناقض |
| ٩٣ | من آثار التناقض في البنية الوافدة |
| ٩٤ | هذه الجهود الضخمة متى تصب في مجراها |
| ٩٦ | طريقة حزب الله والتشكيلات التنظيمية |
| ١٠٤ | كيف يشرف عالم الدين على تشكيلات حزب الله |
| ١٠٧ | كيف يتعامل العالم مع الاحزاب والتنظيمات |
| ١١٠ | |

| | |
|-----|--|
| ١١٧ | الأساس الرابع: حرية العمل للامة وتشجيع مبادراتها |
| ١١٧ | مدرسة حب الجماهير والثقة بها |
| ١٢٢ | طريقة اللامركزية في العمل الجماهيري |
| ١٢٧ | الأساس الخامس: حشد كل الطاقات في مقاومة العدو |
| ١٢٧ | فقه هذا الاساس |
| ١٢٨ | انواع طاقات المسلمين واساليب حشدها |
| ١٣٧ | الأساس السادس: الميزان هو العمل في مواجهة العدو |
| ١٣٧ | الميزان الواقعي والميزان الظاهري |
| ١٣٩ | الميزات الفقهية لهذا الاساس |
| ١٤٢ | كيف نعيد هذا الميزان الى مجتمعاتنا |
| ١٤٧ | الأساس السابع: الوحدات المقدسة |
| ١٤٧ | ظاهرة الوحدة والتفرق |
| ١٤٨ | العوامل المنظورة والعامل الغيبي |
| ١٥٠ | مسؤوليتنا في توفير عوامل الوحدة |
| ١٥٣ | مستويات الوحدة المتحققة في الامة |
| ١٥٦ | العوائق الحقيقية عن وحدة العاملين |
| ١٦٥ | الأساس الثامن: مميزات ثقافة حزب الله |
| ١٦٥ | ثقافة للجمهور لا للخاصة |
| ١٦٦ | ثقافة النص الاسلامي لا ثقافة الشروح |
| ١٦٩ | ثقافة الحكم الشرعي لا ثقافة المفاهيم العامة |
| ١٧١ | ثقافة التدين الجهادي لا التدين الفكري |
| ١٧٣ | ثقافة الصمود والصلابة |
| ١٧٥ | ثقافة الروحانية والعرفان |
| ١٧٧ | ثقافة تحرير القدس |
| ١٧٩ | ثقافة الطروحات الاخلاقية للاسلام |
| ١٨٣ | حول تجربة حزب الله في لبنان |
| ٢٠٤ | حول تجربة حزب الله في افغانستان |

مقدمة

طرحَت الثورة الإسلامية الإيرانية على الحركة الإسلامية العالمية أمورا جديدة، عديدة، كان من أبرزها طريقة العمل التي اعتمدتها..

وطريقة العمل هذه تقوم على ثلاثة محاور رئيسية: قيادة العلماء للامة، وأسلوب العمل، واسلوب طرح الاسلام وثقافته.. ولكنها اشتهرت باسم اسلوبها وطريقتها في العمل «طريقة حزب الله» لان قائد الثورة الامام الخميني أطلق هذا الاسم عليها، ولان العامل الجماهيري بارز فيها..

إن مجموعة المسائل التي تشكل معالم طريقة حزب الله في صيغتها ومحتواها مسائل حيوية وهامة تستحق أحاديث طويلة، سواء من حيث النظرية والتطبيق، وبعضها يستحق البحث العلمي في كتاب مستقل.. ولكنني أردت هذا الكتاب حديثا عاما عن جميعها، لغرض إثارتها في أذهان العاملين، وتبسيطها لجماهير أمتنا المباركة، جماهير حزب الله التي تدرك بفطرتها الإسلامية أمورا عن العمل الاسلامي قد لا ندركها نحن بمعادلاتنا الفكرية..

لقد كثُر الحديث في هذه السنوات عن طريقة حزب الله في العمل الاسلامي، وبدأت تظهر لها تطبيقات في بعض بلادنا الإسلامية وأوساطها المتدينة، وفي اعتقادي انه سوف لا يمر وقت طويل حتى تكون هي الصيغة المفضلة السائدة في بلادنا الإسلامية بسبب ما تملكه من اصالة في افكارها، ويسر في تطبيقها، ونجاح في تجربتها..

الى مدة قريبة كان امر العمل للاسلام يدور بين الاسلوب التنظيمي الحزبي، والاسلوب التقليدي، الذي يعني عند الحركيين القعود والعجز عن مقاومة العدو واقامة

الاسلام.. ولكن بعد ظهور الاسلوب الجديد الذي استعملته الثورة الاسلامية الايرانية، اصبح الامر يدور بين الاسلوب الحزبي، وهذا الاسلوب الجديد في العمل الاسلامي..

تناولت في هذا الحديث مصطلحات «حزب الله» و«الاحزاب» و«حزب الشيطان» التي هي مصطلحات قرآنية سياسية لحالة تكتل اهل الحق واهل الباطل وصراعهم، واكتفيت ببيان مجمل ابعادها.

وفي مسألة موقع العلماء القيادي في الاسلام، لم أشأ الاطالة في استعراض الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة الكثيرة التي تعطي للعلماء حقوقا عظيمة على المسلمين، وتلقي عليهم مسؤوليات عظيمة كذلك، لكنني عرضت بشيء من التفصيل لواقع العلماء المعاصر، بنقاط ضعفه وقوته..

اما اكثر الحديث فكان لاسلوب العمل بطريقة حزب الله، لاستعراض اهم اسسها، والمقارنة بينها وبين الاسلوب التنظيمي الحزبي عند ما ينبغي ذلك، والاستدلال على انها الصيغة الاكثر اصاله، والاكثر فاعلية من بين مجموع الصيغ التي جربها العاملون للاسلام، منذ ابتليت الامة بهذا الغزو الكافر الجاثم على ربوعها..

عذري الى الاخوة الحزبيين العاملين في التنظيمات الاسلامية، اني تحررت الانصاف والاسلوب العلمي في الاستدلال والمقارنة، واننا جميعا نعبد الله تعالى ونريد نصرة دينه واقامة شرعه في الارض، ولا نعبد طريقة العمل الحزبية او طريقة حزب الله، فانما هي طرق لنصرة الاسلام ومقاومة الكفر، نتبناها عند ما نعتقد مشروعيتها وجدواها، ونتركها عند ما يثبت لنا خطؤها، او نجد خيرا منها.

وشكواي من بعض الاخوة الحزبيين انهم لا يجاهدون انفسهم بالاستماع الى ما يخالف الاسلوب التنظيمي الذي احبوه والفوه، فارجو ان يفعلوا ذلك، ليكونوا من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه..

يسألك بعضهم عن حزب الله هل هو تنظيم ام لا..؟ فان سمعوا الجواب بأنه ليس تنظيما، زهدوا في الحديث عنه، لان التنظيم السياسي في اعتقادهم ضرورة للعمل الاسلامي.. وان سمعوا الجواب بأنه تنظيم، اعتبروه صيغة جديدة تضاف الى مثيلاتها من صيغ الاحزاب والتنظيمات الاسلامية الموجودة في الساحة.. واخذوا يقيسونه بالاساليب التنظيمية التي يعرفونها، ويبحثون عن نواقصه وسلبياته..

ولكن طريقة حزب الله اعمق من هذا التبسيط، فهي ليست تنظيما او حزبا بالمعنى

المعروف للحزب والتنظيم في الغرب او في بلادنا الاسلامية.. وهي تنظيم واجهزة بمقدار ما يوجبه العمل الاسلامي على جماهيره من نظم الامر ومركزية القرار. انها طريقة اسلامية اصيلة في مقاومة السلطة والعدو الكافر، مؤطرة سياسيا، وغير مؤطرة تنظيميا..

انها حالة جماهيرية، علمائية، مسجدية، لا يصح ان نعتبرها شبيها او منافسا للاحزاب والتنظيمات والفعاليات الاسلامية الموجودة، لانها تتسع لها جميعا ولا تنافسها..

• • •

تصور عام لطريقة حزب الله

نستعرض في هذا الفصل بصورة اجمالية مجموعة الأصول او الأسس التي تقوم عليها طريقة حزب الله ليكون ذلك تمهيداً لاستعراضها بالتفصيل..

الاساس الاول: قيادة العلماء للأمة.. ويرتكز هذا الاساس على عدة ادلة منها، آيات القرآن الكريم وأحاديث السنة الشريفة التي تعطي العلماء والذين أوتوا العلم موقع القيادة، وتعتبرهم الإمتداد الطبيعي للأنبياء «ص» الوارثين لهم..

ومنها، حكم العقل بأن نهوض أمة واقامة مجتمع على منهاج مبدأ معين لا يتحقق الا اذا كان بتوجيه واشراف العلماء المختصين بذلك المبدأ.. فنهوض الأمة بالاسلام واقامة مجتمعه لا بد له من اشراف وتوجيه العلماء بالاسلام..

ومنها، الواقع الاجتماعي الطبيعي للأمة، ففي كل مجتمعات الأمة يوجد أئمة مساجد وعلماء لهم معرفة بالاسلام بمستوى وآخر، والمسلمون يثقون بهم اكثر من الحكام والسياسيين الذين يتصدون لقيادتهم وقضاياهم العامة..

ومنها، ان قيادة العلماء للأمة قيادة تاريخية لم يخل منها جيل او منطقة، وقد اثبتوا جدارتهم في مقاومة الغزو الكافر الغربي والشرقي، واثبتوا في السنوات الأخيرة انهم الاكثر جدارة وصلابة..

وينبغي الإلفات الى أن هذا الأصل لاخلاف فيه بين مذاهب المسلمين، وان عدم اشتراط بعض المذاهب في امام المسلمين ان يكون عالماً فقيهاً جامعاً للشرائط كما يشترط

المذهب الشيعي، لا يعني عدم القبول بمبدأ قيادة العلماء للأمة، بل يعني ان الامام والخليفة ليس من الضروري ان يكون فقيها، ولكنه لا بد له ان يأخذ بفتاوى الفقهاء وتوجيههم، ولو كان فقيهاً لكان افضل أيضاً..

فكأنه العلماء القيادية اصل متفق عليه عند جميع المسلمين، وعليه جرى تاريخ اجيالهم وان تفاوت فقه المذاهب في درجة هذه المكانة وبعض تفاصيلها.

كما ينبغي الالتفات ايضاً الى أن قيادة العلماء للامة لا تعني الغاء الدور القيادي الواسع والمفتوح للمثقفين والاختصاصيين من غير العلماء، ما دامت قيادتهم تستمد شرعيتها من اعتماد العلماء، وتسير في خطهم..

اما الاشكال القائل بأن قيادة العلماء للمسلمين تعني تكوين طبقة كهنوت شبيهة بطبقة الاكليروس في عصور اوربا الوسطى، فإن جوابه الفروق الجوهرية بين الاسلام والمسيحية التي لا تسمح بنشوء طبقة اكليروس، ووضح دليل على ذلك تاريخ المسلمين الذي كان للعلماء فيه موقع القيادة والتوجيه، ولم تنشأ منهم طبقة برجوازية كما نشأت من غيرهم من الملوك والسلطين، وكما نشأت من أبناء الثقافة الغربية في عصرنا.. إن تشريعات الاسلام الشاملة في مجال الحكم، وفي شروط العالم القيادي، وفي رقابة الأمة، وغيرها، تمنع من نشوء الطبقة في علماء الدين، خاصة وأن باب طلب العلم ليس مقصوراً على أبناء العلماء، او على فئة معينة من الناس، بل هو مفتوح لكل أبناء المسلمين، وان الذين ينبغي في علوم الاسلام ويكسبون ثقة الناس وحُبهم هم في الغالب من أبناء الفقراء والمستضعفين..

الأساس الثاني: تحديد العدو وتركيز النظر عليه.. فطريقة حزب الله ترى ان تحديد العدو وتركيز النظر عليه ضرورة عقائدية وعملية، وأنا إذا لم تكن عندنا الجرأة لتحديد اعدائنا الكافرين والمنافقين وعلان اسمائهم ولعنهم والبراءة منهم، فلانستطيع ان نقاومهم.. ولذلك فإن شعارات: الموت لأمريكا واسرائيل وروسيا وفرنسا وبريطانيا، والمنافقين الذين هم رؤساء ورموز الأنظمة التابعة لهم، وجماعتهم من العملاء السياسيين والفكرين.. يعبر عن الموقف العقيدي والعملية المطلوب من الأمة في تحديد اعدائها وتركيز نظرها على مقاومتهم..

الأساس الثالث: رفض الأطر التنظيمية، فطريقة حزب الله تتبنى طريقة الأجهزة

التنفيذية بإشراف العلماء، ولا تتبنى طريقة التنظيمات السياسية المعروفة.. وهذا الاساس يشكل فرقاً جوهرياً بين طريقة حزب الله وغيرها من طرق الأحزاب والتنظيمات والحركات الإسلامية.. وهو يركز على عدة أدلة، منها: أن طبيعة الموقع القيادي الذي يعطيه الإسلام للعلماء هي التوجيه والأبوة لكل الأمة على اختلاف فئاتها، بل هي طبيعة الموقع القيادي في أي مجتمع.. والاطار التنظيمي بأي صيغة افترضناه إنما يستوعب جزءاً من الأمة، وتبقى الأجزاء الأخرى مستقلة عنه، أو مناوئة له.. وهذا ما يثبت الواقع العملي للأحزاب والتنظيمات على اختلاف صيغها ونظرياتها عن استيعاب الأمة.. بينما يستطيع حزب الله أن يستوعب جميع فئات الأمة بمن فيها الأحزاب..

ومنها، أن التنظيم الحزبي يتناقض مع طبيعة مجتمعاتنا، فإن مجتمعاتنا المسلمة لها تركيبها الخاصة التي تختلف عن تركيبة المجتمعات النصرانية واليهودية والوثنية، ولها بُناها القيادية الطبيعية الناتجة عن تمازج العامل الإسلامي مع العامل التكويني على مدى قرون.. وصيغة التنظيم السياسي الحزبي أو الحركي صيغة غربية وبنية وافدة، يراد لها أن تحل محل البنية الطبيعية، فتتناقض معها لامحالة، وتحدث بذلك فتويات واختلافات داخل الأمة.. ولذلك نرى أن الأمة تنكمش بحسها الفطري الإسلامي عن الاستجابة لهذه البنية الوافدة، وتشعر بحاجز نفسي بينها وبينها.. بينما لا يوجد حاجز نفسي عند المسلم في أن يحسب من جماعة هذا العالم أو ذاك، أو من المصلين في مسجد هذه المحلة أو تلك، أو من أبناء هذه العشيرة أو تلك، أو من رواد هذه الحسينية أو تلك الزاوية.. الخ.

أن طريقة حزب الله تتعامل مع التركيبة والبنى الطبيعية الموجودة في مجتمعات المسلمين وتستثمرها، دون أن تقول لهم عندنا بنية جديدة وقالب جديد نريد أن نصبكم فيه لتعملوا للإسلام.. فهي طريقة تنسجم مع طبيعة الناس وتشعرهم بحرية التصرف، وتغني العمل الإسلامي عن معاناة معقدة وتسهل تقدمه إلى حد كبير..

ومنها، أن سيرة النبي وأصحابه «ص» ثم سيرة الأئمة «ع» وأصحابهم، ثم الفقهاء رضي الله عنهم وأصحابهم، قد جرت على التعامل مع التركيبة والبنى الطبيعية الموجودة في الأمة بمساجدها وقراها وعشائرها ووجهائها، والاقتصار على الحد الأدنى من التشكيلات والأجهزة اللازمة للعمل التي تنسجم مع الواقع الاجتماعي ولا تصطدم به.. فقد كان النبي «ص» يدير الأمة بواسطة ولاته، ورؤساء العشائر، وعمال

الصدقات، والمبلغين الذين يبعثهم لتعليم القرآن.. وكان يشكل الجيش والسرية العسكرية حسب الحاجة، حتى اذا انتهت مهمتهم عاد كل منهم الى وضعه السابق.. وكان الأئمة من اهل البيت عليهم السلام يديرون الأمور بنفس الطريقة.. وكان فقهاء الشيعة وما زالوا يديرون أمورهم بواسطة وكلائهم من العلماء والمبلغين.. وكانت لعلماء السنة ادوار عظيمة في قيادة الأمة وتوجيه الخلفاء والامراء وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وكان عملهم بهذه الطريقة.. وفي هذا القرن الاخير كان لعلماء الشيعة والسنة الدور الاكبر في مقاومة الغزو الكافر بطريقة حزب الله ايضا، وبالاقتصار على الحد الأدنى من التشكيلات..

ان هذه السيرة المستمرة من النبي «ص» واهل بيته «ع» واصحابه والسلف الصالح من فقهاء المسلمين وقادتهم، تدل على الاقل على أن تحريك الامة عن طريق علمائها ومساجدها وتشكلاتها الطبيعية اقرب إلى ذوق الاسلام من تحريكها بصيغ وقوالب جديدة، خاصة اذا كانت صيغا غريبة لا تألفها عامة الامة..

ومنهما، ان الحزب والتنظيم الاسلامي يسهل على العدو ضربه اكثر من ضرب حزب الله، كما انه يصعب عليه التعويض عن عناصره، اوسد الخلل الذي يلحق به، واعادة تشكيل نفسه، بينما لا يواجه حزب الله هذا المستوى من الصعوبة.. والسبب في ذلك ان الحزب الاسلامي حالة اكثر تشخيصا، تجعل العدو يستهدفها بشكل مركز، فيحدث فيها أنواعا من الاختراق والخلل والشلل، كما هو مشاهد، بينما يصعب عليه استهداف حالة حزب الله، لأن عامة المسلمين مرتبطون بالعلماء بالصلاة خلفهم في المساجد، والاستماع اليهم من المنابر، وفي مناسبات افراحهم واحزانهم، وفي شهر رمضان وموسم الحج ومحرم.. الخ. وعند ما يستهدفهم العدو تقوم الامة بالتعويض عن عالم المسجد والمصلين بشكل طبيعي، بأسهل مما يقوم الحزب بالتعويض عن افراده وقياديه..

الى آخر الادلة والميزات لطريقة حزب الله على طريقة التنظيمات الحزبية..

الأساس الرابع: حرية العمل لجماهير الأمة وتشجيع مبادراتها، فطريقة حزب الله تتبنى مدرسة حب الجماهير والثقة بها، والتعامل معها بأسلوب اللامركزية الادارية، حيث يطرح العلماء الخطوط العامة للاعمال في مقاومة العدو، وتقوم جماهير الامة بتجسيدها في اساليب واعمال متنوعة، ويقوم العلماء والناس بتشجيع المبادرات والابتكارات المفيدة

ونقلها الى مناطق اخرى.. وهو اسلوب يشعر الجماهير بأنها صاحبة الفعل، ويفجر طاقاتها، ويعلمها على انجاز الأعمال وتسييرها ذاتيا.. بعكس الاسلوب الآخر الذي يكثر في الأحزاب والتنظيمات، ويميل الى التدخل في تفاصيل الأمور، وربط الأعمال بمركزيات قليلة، الأمر الذي يسبب كبت الطاقات، وتأخير الأعمال، وإعاقتها..

الأساس الخامس: حشد كل الطاقات في مقاومة العدو. ويقوم هذا الأساس على احكام الدفاع المجمع عليها عند فقهاء المذاهب الاسلامية، فالشغل الشاغل والهم الدائم في طريقة حزب الله هو مقاومة العدو الكافر والمنافق، وتحريك الطاقات المختلفة وجرها الى المقاومة والجهاد.. ولذلك فإن تجميد اي طاقة او صرفها في غير طريق الهدف الاستراتيجي، يضعف قدرة الأمة على المقاومة، ويطيل ايام العدو في التسلط والافساد.. ومن بين الاساليب المتعددة التي تستعملها طريقة حزب الله في حشد الطاقات تؤكد على ان اهم اسلوب عملي هو ان تبدأ جماعات حزب الله في كل بلد بجهاد العدو بما يتيسر لها من بداية، ومن يتيسر من افراد.. فكل بداية من العلماء والمتدينين مهما بدت صغيرة ستكون مشعلا امام الأمة، وستحرك فيها الغيرة الاسلامية والطاقات الراكدة، عاجلا أم آجلا.. وفي المقابل ترى طريقة حزب الله أن من الخطأ الذريع فتح أي معركة جانبية مع غير العدو الاستراتيجي او الانجرار اليها، مع أي فئة كانت من فئات الأمة، حتى مع تلك الفئات التي تعارض النظام على اساس علماني غير اسلامي، الا في حالات نادرة جدا كما اذا تحولت الى اداة للعدو، وبدأت بالاعتداء على حزب الله، وكان من الضروري ازاحتها من الطريق..

الأساس السادس: الميزان هو العمل في مواجهة العدو، وهو اساس مكمل لاساس تحديد العدو وتركيز النظر عليه، وحشد الطاقات في مقاومته، وهو يعني ان تكون العلاقات بين العاملين قائمة على مقياس العمل، فالمسلم الافضل في طريقة حزب الله هو الاكثر عملا في المقاومة..

وهو مقياس ينسجم مع مقاييس مذاهب المسلمين في افضلية المسلم ولايتنا في معها، لأن مقاومة العدو الكافر واتباعه المنافقين جزء اساسي في كل مذهب.. فينبغي ان نعيد هذا الميزان الاسلامي السياسي الى مجتمعاتنا عن طريق احياء ثقافة الجهاد والمقاومة، وتكريم الشهداء والمقاتلين، وعن طريق تطبيقه على العاملين.. فالذي

يجعل الاشخاص والفئات في صلب خط حزب الله، او اقرب اليه من غيرهم، او في مسيرته بشكل عام، او على هامشها، او خارجها.. هو مقدار عملهم في مقاومة وجهاد العدو الكافر والمنافق..

الأساس السابع: الوحدات المقدسة.. فطريقة حزب الله تؤكد على وحدة الامة الاسلامية وتقدسها، وترى انها موجودة بشكل واقعي على عدة مستويات، وانه يجب العمل لتحقيق المستويات الاخرى المطلوبة منها في المجالات المختلفة: فنها، وحدة جماهير حزب الله في كل بلد، علماء، وفئات، وحركات اسلامية، وجماهير المسلمين.. وهي تعني وحدتهم في اصل طرح البديل الاسلامي وان تفاوتت آراؤهم في التفاصيل، وتعني وحدة اعمالهم في مقاومة العدو، وقراراتهم السياسية في مسيرة المقاومة والجهاد.. وهي وحدة لا تحصل عادة دفعة واحدة، بل بالتدريج، ومن خلال مسيرة المقاومة واحد اثها، وحكمة العلماء القياديين في تقريب وجهات النظر والمواقف من بعضها..

ومنها، الوحدة بين ابناء المذاهب الاسلامية، وذلك بالتأكيد على الأخوة القرآنية، ومقاومة العدو المشترك، وعدم السماح بما من شأنه ان يثير الخلاف والفرقة، ومعالجته الحاسمة ان حدث.. والتأكيد على حرية اهل كل مذهب في ان يطبقوا فقههم على مناطقهم، في ظل الدولة الاسلامية الواحدة..

ومنها، وحدة بلاد الامة الاسلامية على اختلاف شعوبها ولغاتها.. والدرجة الكاملة منها هي الهدف الاكبر والغاية العظمى، وقبلها مستويات ومراتب ومراحل، كلما امكنت منها مرتبة وجب تطبيقها..

ومنها، وحدة التعاون بين جماهير الأمة والفئات غير المتدينة التي تقاوم العدو على اسس غير الاسلام، ولكنها لا تعادي الاسلام وتقبل بحكمه..

ومنها، وحدة التعاون مع الشعوب المستضعفة غير المسلمة في مقاومة العدو الغربي والشرقي، من قبيل شعوب امريكا اللاتينية والشعب الايرلندي، وغيرها من الشعوب التي تقاوم الاستعمار الامريكي او البريطاني او الفرنسي او الروسي..

الأساس الثامن: مميزات ثقافة حزب الله، فالثقافة التي تقدمها طريقة حزب الله تختلف في نقاط جوهرية عن الثقافة التي تقدمها الاحزاب والتنظيمات الاسلامية..

منها، ان ثقافة حزب الله بصفة عامة «ثقافة لجمهور المسلمين لا للخاصة» لأعضاء التنظيم والمتعلمين كما في الحركات الاسلامية، وان كان العلماء يهتمون بمخاطبة ذوي المستوى العلمي من الامة وغيرها.

ومنها، ان ثقافة حزب الله هي «ثقافة النص الاسلامي» بينما يمكن ان نسمي ثقافة الاحزاب الاسلامية بانها «ثقافة الشروح الاسلامية»

ومنها، انها «ثقافة الحكم الشرعي والتدين الفقاهتي» بينما ثقافة الاحزاب والتنظيمات يمكن وصفها بانها «ثقافة المفاهيم العامة» والتدين الفكري او السياسي الاجتماعي، فهي تتضمن افكارا حول الفقه اما نفس الفقه فليس جزءاً من استراتيجيتها..

ومنها، انها ثقافة «التدين الجهادي» الذي يربي على التضحية وطلب الشهادة، بينما يمكن وصف ثقافة الاحزاب بانها «ثقافة العمل الفكري» فالحالة الجهادية في طريقة حزب الله ذات درجة عالية، وهي عامة لجمهورها، بينما هي في الاحزاب حالة جزئية، وغالبا مايكون المجاهدون المضحون افرادا منشقين على الاحزاب، تدفعهم ردة الفعل من غياب الروح الجهادية لأن يشكلوا تنظيمات مقاتلة..

ومنها، انها «ثقافة الروحانية والعرفان والتصوف» بينما ثقافة الاحزاب تكاد تخلو من هذا الجانب، لانها تحاول ان تبني الروحانية بالفكر، وتزهد باساليب الجمهور المتوارثة التي اثبتت قدرتها على حفظ روحية الامة واحيائها.. من قبيل التري على ايدي علماء الاخلاق والعرفان، والالتزام بالاوراد والاذكار، ومجالس الادعية، ومجالس التعزية، وزيارة مشاهد الأئمة والأولياء.. الخ.

ومنها، انها «ثقافة تحرير القدس» فقضية فلسطين لها حضورها وحرارتها في ثقافة حزب الله اكثر منها في الاحزاب الاسلامية، لأنها في نظرها خلاصة قضية الامة في العالم، وروحها، واستراتيجية حركتها نحو تحقيق الاسلام وهزيمة الكفر العالمي..

ومنها، ان ثقافة حزب الله تطرح الاسلام بالصيغ الاخلاقية الانسانية التي يطرحها بها القرآن، فقضية الاسلام والكفر في عصرنا هي ايضا قضية مستضعفين ومستكبرين، ومظلومين وظالمين، وفقراء منهوبة ثرواتهم وناهبين، وشعوب مسلوقة حرياتا وسالبين.. وهي قضية ارض واطوان، وغزاة من وراء البحار والجبال.. بينما تقتصر الاحزاب والتنظيمات على طرح الاسلام فقط بالصيغة الفكرية العقائدية..

هذه بشكل عام اهم الأسس والاصول لطريقة حزب الله في العمل الاسلامي،
طريقة العمل العلمائي، المسجدي، الجماهيري، الفقاهتي، الجهادي..
وسوف نستعرضها ان شاء الله بالتفصيل المناسب لهذا الحديث..

حزب الله والاحزاب في القرآن حزب الله ووجوب ولايته على المسلمين

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ»
«... يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ. إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ. وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ» ٥١-٥٧ المائدة.

«لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ.. أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ.. أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» ٢٢- المجادلة.

الأحزاب من نوح الى محمد «ص»

«...وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ.. فَتَقَطُّوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا

كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ قَرْحُونَ» ٥٢-٥٣ المؤمنون.

«وَأَنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ.. فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ» ٣٦-٣٧ مريم.

«إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ. فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلًا لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ» ٦٤-٦٥ الزخرف.

«كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَثَادِ.. وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ، إِنَّ كُلًّا إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ» ١٢-١٤ ص.

«كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ، وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ، فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابُ» ٥- غافر.

«وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَتَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ، وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ» ٣٠-٣١ غافر.

«أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمَنْ قَبْلَهُ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ، فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ» ١٧-هود.

«وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ، وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ، قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ، إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَآبُ» ٣٦-الرعد.

«أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ. جندما هتأ لك مهزوم من الأحزاب» ١٠-١١ ص.

حزب الشيطان و ولايته للأحزاب

«أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَخْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ»

«...يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُخْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَخْلِفُونَ لَكُمْ وَيَخْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ. اسْتَخَوَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ» ١٨-١٩ المجادلة.

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ.

إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ»
٥-٦- فاطر.

نهي المسلمين أن يكونوا أحزاباً

«فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ.. مُبِينٌ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ.. مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ»
٣٠-٣٢- الروم.

المنافقون والمؤمنون في مواجهة الأحزاب

«يَخْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلاً. لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً.. وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً. مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً» ٢٠-٢٣- الأحزاب.

الحزبان في عصر ظهور أهل الكهف

«فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا. ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَىَّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمْدًا» ١١-١٢- الكهف.

معنى حزب الله والاحزاب

تذكر مصادر اللغة ان الحزب هو الجماعة من الناس الذين تشاكلت قلوبهم واعمالهم فهم على رأي واحد..

والحزب: الطائفة من كل شيء، ومنه تسمية المقطع القرآني بالحزب..
ويقال: حَزَبُهُمُ الأمر، أي حل بهم ونابَهم واشتد عليهم، فهو أمر حازب أي شديد..

ويقال أرض حَزَبَاء، أي غليظة تتجمع خشونتها ونتوءاتها..
ويفهم من هذه الاستعمالات وغيرها ان عناصر معنى الكلمة عند ما تستعمل للناس، ثلاثة: التجمع المكثف، ووحدة الرأي، ومواجهة ما حزبهم او يحزبهم من امور..
فهي اذن اسم لحالة سياسية كاملة.. وهذا المعنى استعملها القرآن الكريم بدقة تلفت النظر، فحزب الله في القرآن ليس اسما لكل المسلمين بل اسم لمن تحققت فيهم هذه الحالة السياسية بشروطها الثلاثة: التجمع الخاص، على رأي واحد، لمواجهة العدو..
وبصفاتها الثلاث التي تؤكد هذه الشروط: التحزب لله تعالى دون غيره. والولاية لحزبه والبراءة من الكافرين والمنافقين. وقتالهم..

وبصفاتها التفصيلية التي ترجع الى هذه الشروط والصفات الاساسية من قبيل: يحبون الله. أذلة على المؤمنين. أعزة على الكافرين. يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم. يقيمون الصلاة. يؤتون الزكاة. لا يخافون جموع الاحزاب المعادية بل يزيدهم ذلك ايمانا وتسليما. صادقون فيما عاهدوا الله عليه.. الخ. فحيثما وصف القرآن جماعة من المسلمين بأنهم حزب الله فإن هذه الحالة متحققة فيهم بشروطها وصفاتها..

وهذا المصطلح القرآني، فإن حزب الله في عصرناهم «الجماعة من المسلمين الذين ينهضون ويتحزبون لله تعالى ويقاومون اعداءه، أحزاب الكفر والتفاق والشيطان».

وكذلك امر الدقة القرآنية في التعبير بالأحزاب عن الكافرين والمنافقين، حيث لم يسمهم جميعا بالأحزاب بل سمي بها اصحاب الحالة السياسية المجتمعين على رأي واحد، في مواجهة حزب الله، وهي حالة قد توجد في فئة قليلة او كثيرة منهم، كما قد توجد حالة حزب الله في فئة قليلة او كثيرة من المسلمين...

فحزب الله والاحزاب في القرآن مصطلحان سياسيان لحالة الصراع الساخن بين الحق والباطل، التي يمثلها من جهة حزب الله، ومن جهات اخرى احزاب الكفر.. اما القاعدون من الطرفين فليسوا من حزب الله والاحزاب، وان كانوا اولياء لهم بمستوى من المستويات.

حزب الله واحد واحزاب الكفر متعددة

من دقة القرآن الكريم ان حزب الله تعالى في مصطلحه واحد لا يتعدد، فلا يصح ان نقول عن جماعات المسلمين الذين تتوفر فيهم شروط هذه الحالة وصفاتها انهم احزاب الله، بل هم اجزاء من حزب الله الواحد وجماعة الله الواحدة في الارض.. فكل كلمة حزب بمجرد ان تجمع تصبح في القرآن بمعنى احزاب الكفر والنفاق.. وهذا المقياس القرآني لا يصح التعبير عن الجماعات الاسلامية بالأحزاب الاسلامية، او احزاب الله، الا على نحو مجازي جداً، وبلحاظ تعدد مناطق وجودها، وليس بمعنى تعدد الجماعة والحالة السياسية. وفي المقابل فإن أحزاب الكفر والنفاق متعددة..

وهذه الوحدة في حزب الله تعالى، والتعدد في احزاب الكفر والنفاق، لها دلالاتها الاجتماعية السياسية. فهي تدل على أن جماعة حزب الله جماعة واحدة واقعاً. لأن محور تحزبهم واحد وهو الله تعالى. ومعركتهم التي يخوضونها مع الاحزاب واحدة..

وتدل على ان فرقهم مهما كان نوعها، فهي عارض تجب ازالته، وخلل تجب معالجته. وتدل على ان اهل الكفر والنفاق وان كانوا امة واحدة في مقابلتنا، وبعضهم اولياء بعض، الا انهم من داخلهم فئات وكتل مختلفة متناحرة، كل حزب بما لديهم فرحون.. وهذا التعدد امر واقعي ايضا لأن محاور تجمعهم مختلفة، وان التقت في ولائها للشيطان، وعدائها لجماعة حزب الله تعالى.

وهي ترشدنا سياسيا الى أننا في نفس الوقت الذي يجب ان نعتبرهم ملة واحدة وامة واحدة، فإن باستطاعتنا ان ننفذ من خلال احزابهم وعداوتهم ونستفيد لمصلحة الاسلام من المعادلات السياسية التي تفرزها تحزباتهم..

الاحزاب. اولياء الشيطان. حزب الشيطان

مما يلفت النظر في آيات القرآن الكريم في الموضوع، انها تجعل التسمية الرسمية لهذه الحالات السياسية المتحزبة المتصارعة في الارض «حزب الله» و«الاحزاب» وتصف الاحزاب بانهم «اولياء الشيطان» وتصف المنافقين خاصة بانهم «حزب الشيطان» وهي بذلك تكشف حقائق كثيرة عن اطراف الصراع:

منها، ان محور التحزب في المسلمين محدد دائماً وهو الله تعالى الذي امر بمقاومة اعدائه

والتحزب ضدهم.. فكان اسم «حزب الله» تعبيراً صحيحاً..

اما محاور التحزب في الاحزاب المضادة فغير محددة، لانها الزعامات المتعددة في كل جيل والمتجددة مع اجيالهم.. فكان اسم «الاحزاب» مطلقاً بدون تحديد المحور تعبيراً صحيحاً. قال عز وجل «الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ، فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ، إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً» ٧٦- النساء، والطاغوت هو الزعيم المطاع بدل الله تعالى.

ومنها، ان الاحزاب اولياء الشيطان لأنهم مثله شاطوا عن امر ربهم وتمردوا عليه، وعادوا عباده المؤمنين.. وهذا المعنى متحقق في المنافقين ايضاً، فهم اولياء الاحزاب واولياء الشيطان.. ولكن لماذا وصف القرآن المنافقين خاصة بانهم «حزب الشيطان» او سماهم به من دون الاحزاب..؟

الجواب، ان المنافقين يختلفون عن اخوانهم الكفار من وجوه كثيرة تجعلهم وحدهم حزب الشيطان، وان كانوا جميعاً اولياء الشيطان:

فالكفار اناس لهم تحزبهم وهي زعاماتهم الطاغوتية التي تمثل اهدافهم الدنيوية، فهم وجود مستقل الى جانب وجود الشيطان وان كان مشابهاً له في الكفر والتمرد وعداوة المؤمنين..

بينما المنافقون لا محور لتحزبهم الا الشيطان ولا هدف لهم الا عداوة المؤمنين والتخريب عليهم، وبذلك كانوا اقرب الى الشيطان من الكافرين، لأن التحزب مستوى اعمق من الولاء.. وهم مضافاً الى ذلك يشبهون الشيطان في اختفائهم ومحاولتهم التستر بالاسلام، بينما الكفار يجاهرون بكفرهم..

بل ان الآيات والاحاديث الشريفة تذكر للمنافقين صفات شيطانية كثيرة لا تذكرها للكافرين.. فالكافرون مثلاً انواع وشخصيات متعددة ولذلك تصف العلاقة بينهم بانها علاقة ولاء.. «بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ» ولا تصفهم بانهم بعضهم من بعض، اما المنافقون فالعلاقة بينهم وحدة في الشخصية «الْمُتَافِقُونَ وَالْمُتَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ» ٦٧- التوبة. فهم نوعية شيطانية واحدة تمشي على الارض على شكل بني آدم.. ولذلك لم يرد في القرآن التعبير بالإستخواء إلا لهم وعنهم.. والاستخواء الشيطاني هو السيطرة الكاملة.

ويشهد على ذلك واقع المنافقين الذي نراه قائماً على الخداع والغش، فهم يظهرون بمظهر المسلمين، ولكنهم يوالون احزاب الطاغوت الشرقي والغربي.. ولذلك كان خطرهم اكبر، وثواب مقاومتهم وجهادهم اعظم..

ليس ماذكرناه عن حالة حزب الله واسسها وصفاتها، وحالة الاحزاب وولائهم للشيطان، وحالة استحواذ الشيطان على المنافقين خاصة، حتى صاروا حزبه المباشر.. ليس ذلك الا اشارة الى مجمل المعالم التي تتضمنها الآيات الشريفة عن قضية الصراع في الارض واطرافها حزب الله والاحزاب.. والا فالمواضيع والحقائق فيها كثيرة تستحق دراسة معمقة مستوعبة، وفيها من الحقائق الحيوية ما يخشع له المتأمل في كلام الله تعالى.. من ذلك مثلاً: تاريخ الاحزاب الذي تستعرضه سورة «المؤمنون» من اول تكونها من بعد نوح الى ان تبلغ شدتها واستقرارها في الروم من بعد عيسى عليها السلام.. وما ورد في سورة «المؤمن» من اشارة الى ان تسمية الامم التي كذبت الانبياء بـ «الاحزاب» كانت معروفة في الثقافة المصرية او في ثقافة الاسرة الحاكمة في مصر، حيث يحذر مؤمن آل فرعون قومه ان يصيبهم ما اصاب الاحزاب من بعد نوح..

ومن ذلك، احزاب الروم، التي تحدثت عنها سورة الروم التي سميت باسمهم، والتي اعتبرتهم طليعة التمحورات الحزبية الكافرة، وحذرت المسلمين ان يصيروا مثلهم فيختلفوا ويتفرقوا «كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ» وقد جاء التاريخ الحاضر مصدقاً لهذه الرؤية القرآنية، فكان الروم الشرقيون والغربيون هم ثقل الاحزاب التي واجهت حزب الله، وكانت مشكلة المسلمين انهم قلدوا ثقافتهم وتفرقهم وتحزباتهم..

ومن ذلك، سورة «الأحزاب» التي تتضمن كل الأبعاد السياسية والروحية لحالة المواجهة بكامل اطرافها، ولكنها تسلط الضوء بصورة خاصة على الأحزاب وتسمي السورة باسمهم..

ولعل اختيار اسم الاحزاب لهذه السورة دون غيرها من السور التي ورد ذكرها فيها ان سورة الاحزاب تصف حالة التحزب الكافر في أوجها واعلى درجاتها ووضح اهدافها، فهي تصف تحالف الاحزاب وهجومهم على المدينة لاستئصال الاسلام والمسلمين.. يريد عزوجل بذلك ان يؤكد في اذهاننا وحسنا السياسي حقيقة تحالف الاحزاب، وحقيقة هدفهم، ويرسم لنا صورة خالدة عن المواجهة المطلوبة لهذا التحالف الشرير، وعن الإمداد الغيبي والنصر الآهي لحزب الله، وعن موقف المنافقين وولائهم للأحزاب، وحالة المنهزمين من المسلمين من غير حزب الله..

ومن ذلك، حقوق جماعة حزب الله وأئمتهم على بقية المسلمين، حيث تعتبرهم الآيات الشريفة المؤمنين النموذجيين والخط الصحيح وتوجب لهم على المسلمين حقوقاً وتؤكد منها على حق ولايتهم والبراءة من اعدائهم..

الى آخر الحقائق الكثيرة في آيات حزب الله والاحزاب..

الأساس الأول

قيادة العلماء للأمة الاسلامية

مكانة العلماء في القرآن والسنة

ورد ذكر العلماء، وأولي العلم، واهل الذكر، والذين أوتوا العلم، والمستحفظين على الكتاب الالهي، وذوي العلم، والراسخين في العلم.. في نحو ثلاثين آية في القرآن الكريم، وفي اكثر من مئة حديث في السنة الشريفة..

اكثر الآيات الشريفة تذكر العلماء في الدين وتعطيهم موقع الموجه والمعلم والحكم في الأمور، وتفضلهم على غيرهم درجات.. وبعضها تذكر علماء الحضارات والاجتماع والفلك والطبيعة والسياسة، وتعطيهم مكانة هامة ايضا..

فالأية ١٨ من آل عمران تبين أن العلماء هم الشهود على وحدانية الله عزوجل بعد الملائكة، وتعبر عنهم وعن الأنبياء «ص» والأئمة «ع» بتعبير واحد «أولي العلم»
«شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ.. لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»

والآية ١١ من سورة المجادلة تذكر أن مقياس المكانة عند الله بعد الايمان هو العلم
«يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ»

والآيتان ٤٣ من سورة النحل و٧ من سورة الأنبياء تأمران بالرجوع الى اهل

الذكر واستفتائهم

«فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»

والآية ٧٩ من آل عمران تذكر توجيه الأنبياء للعلماء من بعدهم بأن يكونوا

ربانيين قائمين بالقسط، وأن يدرسوا الكتاب الالهي و يعلموه للناس
 «مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُبَيِّنَ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ.. وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ، وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ»
 والآية ٤٤ من سورة المائدة تذكر أن الربانيين والاحبار كانوا الشهاداء
 والمستحفظين على الكتاب الالهي وقد أمروا ان يحكموا به بين الناس
 «إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ، يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا،
 وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَخْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ.. فَلَا تَخْشَوُا
 النَّاسَ وَاخْشَوْنِي، وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا.. وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ
 هُمُ الْكَافِرُونَ»

والآية ١٢٢ من سورة التوبة تأمر المسلمين ان يتفقه في الدين من كل جماعة منهم
 عدة أفراد، ليقوموا بينهم بواجب التبليغ
 «وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً، فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي
 الدِّينِ، وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ، لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ»
 ان التأمل القليل في هذه الآيات الكريمة وغيرها يكفي للحكم بأن الاسلام يعطي
 للعلماء به موقع القيادة والتوجيه والهداية، بقطع النظر عن اشتراط او عدم اشتراط
 العلم والفقاهه في امام المسلمين الذي سنتعرض له ان شاء الله..
 وفي نفس الوقت يعطي القرآن مكانة هامة للعلماء بالعلوم الأخرى التي تحتاج إليها
 حياة الناس..

ففي سورة العنكبوت يستعرض عزوجل انهيار الحضارات الطاغية و يصف
 جهودها المضادة لخطته بأنها واهية كبيت العنكبوت، ثم يعقب على ذلك في الآية
 ٤٣ بأن الذي يدرك هذه الحقيقة و يستوعبها هم «الْعَالِمُونَ» اي علماء الحضارة
 والدين

«وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لَضَرِبُهَا لِلنَّاسِ، وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ»

وفي الآيتين ٢٧ و ٢٨ من سورة فاطر يستعرض عزوجل دور الماء في تنوع الثمار،
 وفي تنوع الجبال، وتنوع الناس والدواب والانععام، و يعقب على ذلك بأن الذين

يخشون الله تعالى هم العلماء، وهذا يشمل مع العلماء برسالته تعالى العلماء بخلقه
«علماء الطبيعة» بدليل سياق الآية

«الْم تَرَأُ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا، وَمِنَ الْجِبَالِ
جُدُدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ. وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ
مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ.. إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ»

وفي الآية ٢٢ من سورة الروم يذكر الله عز وجل آياته في الفلك وتنوع اللغات
والألوان، و يوجهها بالدرجة الأولى الى علماء الفلك والاجتماع

«وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ، وَالْأَرْضِ، وَاخْتِلَافُ السِّتِّكُمْ وَالْوَانِكُمْ.. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِّلْعَالَمِينَ»

وفي الآية ٨٣ من سورة النساء يأمر المسلمين بارجاع الاخبار الأمنية الى اولى الامر
لكي يستنبط منها علماء السياسة حقيقة وضع العدو

«وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ.. وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي
الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ.. وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ
الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا»

وفي احاديث السنة الشريفة نجد تفصيل مكانة العلماء هذه وتوضيحها.. فمن ذلك
الحديث المشهور عن النبي «ص» الذي ينص على ان العلماء ورثة الأنبياء، قال «ص»
«مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَظْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ
أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِهِ، وَإِنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ لَطَالِبِ الْعِلْمِ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ فِي
الْأَرْضِ حَتَّى الْخُوتُ فِي الْبَحْرِ.. وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى
النُّجُومِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِيْنَارًا وَلَا دِرْهَمًا
وَلَكِنْ وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ مِنْهُ فَقَدْ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»

ولعمري لو لم يكن من الاحاديث النبوية الا هذا الحديث الشريف لكفى به
دليلا على مكانة العلماء العظيمة في الامة، ومسؤوليتهم في هدايتها وقيادتها، خاصة في
ظروف عصرنا الحاضر. فقد روت هذا الحديث مصادر الشيعة والسنة المعتمدة مثل

كتاب الكافي ج ١ ص ٢٤ والبخاري باب العلم حديث رقم ١٠ وسنن أبي داود باب العلم حديث رقم ١ وسنن الترمذي باب العلم حديث رقم ١٩ وابن ماجه المقدمة حديث رقم ٧ وسنن احمد ج ٥ ص ١٩٦ وغيرها.

بل نلاحظ من مراجعة احاديث فضل العلم والعلماء والفقهاء والفقهاء في مصادر الحديث عند السنة والشيعة ان مضامينها الاساسية واحدة والفاظها في كثير من الاحيان، مما يكشف عن اهتمام النبي «ص» بتركيز مكانة العلماء في الامة وحثها على طلب العلوم النافعة وفي مقدمتها علوم الدين..

فنها، الاحاديث التي تبين ان منزلة العلماء يوم القيامة ارفع من منزلة الشهداء؛ فعن النبي «ص»

«ثَلَاثَةٌ يَشْفَعُونَ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُشَفَّعُهُمْ: الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْعُلَمَاءُ، ثُمَّ الشُّهَدَاءُ»
البحار ج ٢ ص ١٥، وابن ماجه كتاب الزهد ج ٣٧.

وعنه «ص»

«إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ وُزِنَ مِثْلُ الْعُلَمَاءِ بِمِثْلِ الشُّهَدَاءِ فَيَرْجَحُ مِثْلُ الْعُلَمَاءِ عَلَى مِثْلِ الشُّهَدَاءِ»
البحار ج ٢ ص ١٦.

ومنها، الأحاديث التي ترجع فضل كل ما يحدث من صلاح في الامة الى الحكام والعلماء، وتحملهم مسؤولية ما يحدث من فساد ايضا، فعنه «ص» قال

«صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي إِذَا صَلَحَا صَلَحَتِ أُمَّتِي، وَإِذَا فَسَدَا فَسَدَتِ أُمَّتِي. قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ هُمَا؟ قَالَ: الْفُقَهَاءُ وَالْأُمَرَاءُ»
البحار ج ٢ ص ٤٩. وأبونعيم في الحلية.

ومنها، الاحاديث التي تبشر الامة بقيام العلماء في كل جيل لتجديد الدين، فعنه «ص»

«يَخِيلُ هَذَا الدِّينَ فِي كُلِّ قَرْنٍ عُذُولٌ يَنْفُونَ عَنْهُ تَأْوِيلَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَخْرِيفَ الْمُغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْجَاهِلِينَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ»
البحار ج ٢ ص ٩٣.

ومنها، الاحاديث التي تأمر المسلمين بالرجوع الى العلماء وسؤالهم عن احكام دينهم والاستفادة من علمهم وتقواهم فعن النبي «ص» قال

«قَالَتِ الْخَوَارِثُونَ لِعِيسَى: يَا رُوحَ اللَّهِ مَنْ نُجَالِسُ؟ فَقَالَ مَنْ نَذَكَّرُكُمْ اللَّهَ رُؤْيَاهُ،

وَيَزِيدُ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقَهُ، وَيَرْغُبُكُمْ فِي الْآخِرَةِ عَمَلُهُ» الكافي ج ٢ ص ٣٩

وعنه «ص» قال

«أَيُّ الْمُسْلِمِ لَا يَفْرَغُ نَفْسَهُ كُلَّ جُمُعَةٍ لِأَمْرِ دِينِهِ فَيَتَعَاهَدُهُ وَيَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ» الكافي

ج ١ ص ٤٠

وعنه «ص» قال

«مَنْ عَمِلَ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ كَانَ قَابِضُهُ أَكْثَرُ مِمَّا يُضْلِيهِ» الكافي ج ١ ص ٤٤

وعنه «ص» قال

«تَذَاكُرُوا وَتَلَاقُوا وَتَحَدَّثُوا، فَإِنَّ الْحَدِيثَ جَلَاءٌ لِلْقُلُوبِ.. إِنَّ الْقُلُوبَ لَتَرِينٌ كَمَا يَرِينُ

السَّيْفُ وَجَلَاؤُهَا الْحَدِيثُ» الكافي ج ١ ص ٤١

وعن علي «ع»

«إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْخُذْ عَلَى الْجُهَالِ عَهْدًا يَطْلُبُ الْعِلْمَ حَتَّى أَخَذَ عَلَى الْعُلَمَاءِ عَهْدًا يَبْذُلُ

الْعِلْمَ لِلْجُهَالِ، لِأَنَّ الْعِلْمَ كَانَ قَبْلَ الْجَهْلِ» الكافي ج ١ ص ٤١

وعنه «ع»

«قَوَامُ الدِّينِ بِأَرْبَعَةٍ: بِعَالِمٍ نَاطِقٍ مُسْتَعْمِلٍ لِعِلْمِهِ، وَبِعَنِيٍّ لَا يَبْخُلُ بِفَضْلِهِ عَلَى أَهْلِ دِينِ

اللَّهِ، وَبِفَقِيرٍ لَا يَبِيعُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاةٍ، وَبِجَاهِلٍ لَا يَتَكَبَّرُ عَنْ طَلَبِ الْعِلْمِ.. فَإِذَا كَثَمَ الْعَالِمُ

عِلْمَهُ، وَبَخِلَ الْغَنِيُّ بِمَالِهِ، وَبَاعَ الْفَقِيرُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاةٍ، وَاسْتَكْبَرَ الْجَاهِلُ عَنْ طَلَبِ

الْعِلْمِ، رَجَعَتِ الدُّنْيَا إِلَى وَرَائِهَا الْقَهْقَرَى» البحار ج ٢ ص ٦٧

وعن النبي «ص» قال:

«فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَذْنَاكُمْ، ثُمَّ تَلَاهُذِهِ الْآيَةُ «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ

عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ»، إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضِيهِ وَالنَّوْءُ فِي الْبَحْرِ يُصَلُّونَ عَلَى

الدِّينِ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ الْخَيْرَ» الدارمي ج ١ ص ٨٨

وعنه «ص» قال:

«مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» الدارمي ج ١ ص ٨٨

وعن عطاء في قوله تعالى:

«وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» قال: «(اولو العلم والفقهاء)» الدارمي ج ١ ص ٧٢

وعن النبي «ص»

«سَتَكُونُ فِتْنٌ يُضْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُؤْمِسِي كَافِرًا إِلَّا مَنْ أَحْيَاهُ اللَّهُ بِالْعِلْمِ»

الدارمي ج ١ ص ٩٧

وعنه «ص»

«مَنْ جَاءَهُ الْمَوْتُ وَهُوَ يَطْلُبُ الْعِلْمَ لِيُخَيَّرَ بِهِ الْإِسْلَامَ فَبَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّبِيِّينَ دَرَجَةٌ

وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ» الدارمي ج ١ ص ١٠٠

وعنه «ص»

«إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: عِلْمٌ بُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ صَدَقَةٌ تَجْرِي لَهُ أَوْ وَدٌّ

صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ». الدارمي ج ١ ص ١٣٩

العلماء وإمامة المسلمين:

تعتبر حالة الأمة الاسلامية في عصرنا من وجهة نظر جميع مذاهب الفقه الاسلامي حالة غير طبيعية، وذلك لتعطيل الخلافة والامامة التي هي الكيان السياسي الشرعي للمسلمين، فيجب على المسلمين وجوبا عاما كفاثيا العمل لإزالة هذه الحالة الشاذة، واقامة الكيان السياسي والحكم الاسلامي.. وسيأتي ذكر بعض الفروق من وجهة نظر المذاهب الفقهية.

عند فقهاء السنة:

يرى فقه المذاهب الاربعة الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي، وكذلك الفقه الظاهري ان العمل لاقامة الخلافة الاسلامية فريضة، وذلك بالاساليب الممكنة وفي النطاق الممكن، على ان يكون الهدف الاسمي توحيد بلاد المسلمين في كيان سياسي واحد برئاسة خليفة واحد..

فمن الاساليب الممكنة لتحقيق هذه الأطروحة ان يقوم احد حكام المسلمين بتحويل الكيان السياسي الذي يرأسه والقائم على اساس وطني او ديمقراطي او أي اساس غير الاسلام، يقوم بتحويله الى كيان سياسي اسلامي و يعلن نفسه خليفة للمسلمين و يبایعه اهل الحل والعقد في بلده، و يطبق فقه احد المذاهب الاسلامية

على شؤون البلد، او يطبق فقهاً من أكثر من مذهب واحد، ويدعو المسلمين في العالم الى مبايعته لتوسيع كيان الخلافة وتوحيد بلاد المسلمين تحت حكمها..

ومن الأساليب الممكنة، ان يقوم في بلد من بلاد المسلمين تحرك لاقامة الحكم الاسلامي، بواسطة تنظيم او تنظيمات اسلامية، او بواسطة العمل العلماني الجماهيري بطريقة حزب الله، فيقومون بالمطالبة بتطبيق احكام الاسلام، وينصحون الحاكم في بلدهم ويضغطون عليه لكي يحول نظام حكمه الى نظام اسلامي ويكون هو او غيره الخليفة الشرعي.. أو يقومون بمعارضته ومقاومته واسقاط حكمه، واقامة الحكم الاسلامي.. الى آخر الأساليب الممكنة في أداء هذه الفريضة..

وسواء افترضنا العمل الاسلامي بهذا الاسلوب او ذاك او ذلك، فان دور العلماء من وجهة نظر هذه المذاهب دور اساسي وقيادي، ولذلك كانت فريضة اقامة الخلافة واجبة على كل مسلم مكلف ومؤكدة بشكل خاص على الحكام والعلماء والوجهاء، الذين يشكلون اهل الحل والعقد في كل بلد، او في الأمة الاسلامية..

إن دور العلماء في أداء هذه الفريضة هو اوسع الأدوار على الاطلاق.. فعليهم تقع مسؤولية تبليغ عقائد الاسلام واحكامه وتوجيه المسلمين للعمل من أجل تحقيق الخلافة. وعليهم تقع مسؤولية توجيه وقيادة التحرك الاسلامي في كل بلد، ويجوز لهم او يجب عليهم ان يبايعوا احدهم أميراً ليقود مسيرة العمل، وتكون بيعته بيعة امارة ملزمة للجماعة مادام عمله موافقا للكتاب والسنة، مع حفظ الفروق بين بيعة الامارة وبيعة الخلافة..

وعلى هذا الاساس كانت بيعة الامارة في عدد من التحركات الاسلامية في الباكستان والحجاز ولبنان ومصر وافغانستان وغيرها، وتبنت بعض التنظيمات الاسلامية في صفوفها قاعدة الجماعة والأمير..

وبناء على بعض الآراء الفقهية في هذه المذاهب التي تعتبر العلم من شروط الامير والخليفة، فلا بد ان يكون الأمراء والخليفة من العلماء، أما بناء على الآراء التي لا تشترط ذلك وهي الاكثر فيجوز مبايعة المسلم الكفو بالامارة والخلافة وان لم يكن عالماً فقيهاً..

وسواء قامت الامارة او الامارات الاسلامية او قامت الخلافة، فان دور العلماء يبقى هو الدور الطبيعي في هداية الأمراء والخليفة واجهزة حكمه، وتولي السلطة القضائية، وتوجيه الأمة بعقائد الاسلام واحكامه..

من هذه الخلاصة لفريضة الخلافة في تصور فقه المذاهب السنة يظهر ان دور العلماء دور طبيعي وقيادي في كل الحالات، وان الامامة والخلافة الاسلامية ان لم تكن محصورة بهم فهي جائزة لهم قبل غيرهم، وعليهم تقع مسؤولية العمل لاقامتها، وتوجيهها والمحافظة عليها.

كل هذا مضافا الى ان جميع المذاهب الفقهية السنية تفتي بفريضة الجهاد الدفاعي عند ما يغزو المسلمين عدو كافر ويغلب على امورهم ويعطل احكام الاسلام ويطبق على بلدانهم قوانينه وثقافته الكافرة..

ومن الواضح ان فريضة الجهاد هذه لا يختلف امرها في فقه المذاهب الاسلامية بين ان يغلب العدو الكافر على بلاد المسلمين بشكل مباشر ويحكمها بواسطة ابنائه جيم وحاء وخاء كما حدث في مطلع هذا القرن، او يحكمها بواسطة دال وذال وراء من ابناء المسلمين، وبواسطة خبرائه وقواعده في بلادنا، وبواسطة تأثيره ونفوذه من وراء البحار والجبال..

ومن الواضح أيضاً أن دور علماء المسلمين في فريضة الجهاد الدفاعي وطرد العدو الكافر وازالة نفوذه دور قيادي في توعية المسلمين وتوجيههم، في كل مراحل المعركة.. وليس هذا مجال نقل فتاوى علماء المذاهب في هذه المسائل، وان كان من المفيد في توعية المسلمين نشر الآيات والاحاديث الشريفة ونشر فتاوى علماء المذاهب في فريضة الجهاد الدفاعي عن بلاد المسلمين وكيانهم، وفريضة اقامة الإمامة والخلافة.

عند فقهاء الزيديين:

اهم الفروق في الفقه الزيدي عن فقه المذاهب الأربعة في شروط الامام انه يشترط فيه ان يكون من ذرية علي وفاطمة عليها السلام، وان يقوم بالسيف، وان

يكون عالماً فقيهاً.. فهو في هذا الشرط الأخير يلتقي مع الفقه الشيعي في حصر الإمامة في العلماء، ولا يجيز امامة غيرهم، وهو يؤكد على الجانب الجهادي في الأمة والعلماء فيشترط أن يتحقق فيهم مستوى من الشجاعة (القيام بالسيف) لمقاومة الكافرين والظالمين وإقامة الحكم الإسلامي بامامة أحدهم.

عند فقهاء الشيعة:

يعتقد الشيعة بأن إمام المسلمين في هذا العصر هو المهدي المنتظر محمد بن الحسن عليه السلام، وأنه مولود وموجود وقد مدّ الله في عمره كالخضر عليه السلام، وأنه سيظهر ويملا الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.. وأن الخلافة والامامة في غيبته لا تكون بالاصالة بل بالنيابة عنه والوكالة، وأن نائبه إلى أن يظهر هو الفقيه الجامع لشرائط معينة من قبيل أن يكون اعلم الموجودين، والعدالة، والتقوى، والقدرة على الإدارة.. الخ.

واهم الفروق في الفقه الشيعي عن الفقه الزيدي أنه لا يشترط أن يكون هذا الفقيه من ذرية علي وفاطمة عليهما السلام وأن كان ذلك أمراً جيداً، كما أنه لا يجعل قيامه بالسيف شرطاً لتحقيق امامته، فإذا توفرت فيه الشروط فهو إمام المسلمين والنائب عن المهدي عليه السلام، حتى لو لم يستطع القيام بالسيف والثورة، وحتى لو كان في القيود والسجون..

ويختلف الفقه الشيعي عن فقه المذاهب الأربعة بأنه يحصر قيادة الأمة بالعلماء بشكل أساسي، ويحصر الامامة والخلافة - بالنيابة - بأحدهم.. وبأنه لا يجعل البيعة للعلماء بالامارة أو بالامامة شرطاً في تحققها، فالفقيه الجامع للشرائط واجب الطاعة بدون بيعة، لكنه إذا طلبها من المسلمين وجبت، كما أن الإمام المهدي عليه السلام مفترض الطاعة بدون بيعة وإذا طلبها وجبت..

وبذلك يكون الدور الذي يعطيه الفقه الشيعي للعلماء أكبر من دورهم في أي فقه آخر، فالفقيه الجامع للشرائط هو مرجع التقليد الذي تؤخذ منه الأحكام الشرعية، وهو الإمام والفقيه ولي الأمر الواجب الطاعة سواء كان حاكماً للمسلمين بالفعل أم لا،

والعلماء الآخرون يستمدون شرعيه قيادتهم من وكالته والنيابة عنه في المجالات التي يعينها لهم، وله ان يوكل غير العلماء في الأمور التي يجيدونها، ولكن سيرة الفقهاء والمراجع جرت بشكل عام على توكيل العلماء إلا في الأمور الاختصاصية أو في حالات استثنائية..

وقد كانت هذه الصيغة الفقهية في امامة العلماء وقيادتهم عاملاً ايجابياً في تعميق ارتباط المسلمين الشيعة بعلمائهم، وتكوين الحاجز النفسي بينهم وبين الملوك والرؤساء، لأن العلماء هم القيادة الشرعية وليس الملوك والرؤساء.. فالأخماس والزكوات يجب ان تصرف بنظر الحاكم الشرعي ولا تبرأ الذمة اذا صرفت بنظر غيره، والوظيفة في اجهزة النظام غير الاسلامي تحتاج الى اجازة من الحاكم الشرعي، والترافع في الدعاوى والقضايا يجب ان يكون الى الحاكم الشرعي، ويحرم ان يكون الى محاكم النظام غير الاسلامي، والشيء المأخوذ بحكم قضاتها يكون سحتاً وحراماً حتى لو كان صاحبه محقاً، إلا في حالات اضطرارية يحددها الحكم الشرعي.. وهكذا تجد في الفقه الشيعي عشرات ومئات الموارد، سوى احكام الاحوال الشخصية، كلها ترجع الامر الى الحاكم الشرعي الذي هو الفقيه ولي الأمر او من يمثله وينوب عنه.. وهذا يمكن وصف الفقه الشيعي بأنه فقه الاصرار على قيادة الفقيه ولي الأمر ومثليه حتى لولم يستطع أن يمارس شيئاً من حكومته ولايته، ولذلك تعارف بين العلماء والناس التعبير بالحاكم الشرعي مبسوط اليد وغير مبسوط اليد.. وعليه فلا يحتاج الأمر في الجهاد الدفاعي واقامة الحكم الاسلامي بحسب الفقه الشيعي إلا الى تطبيق المرجع ولي الأمر لإمامته ولايته وممارسته هو ووكلاؤه لقيادة الجماهير في هذا الطريق..

وخلاصة القول انه مهما يكن التفاوت بين فقه المذاهب في موقع العلماء في قيادة المسلمين وامامهم، فانه يبقى تفاوتاً في حصر الامامة والامارة فيهم، او جوازها لهم ولغيرهم، وفي حاجة ذلك الى البيعة او عدم حاجته، وفي ان الامامة والخلافة هل تكون بالاصالة او بالوكالة عن الامام المهدي المنتظر الغائب.. ويبقى الجامع المشترك بين

جميع المذاهب ان دور العلماء اساسي وقيادي في انهاض الامة وجهاد اعدائها واقامة الحكم الاسلامي فيها، ومسؤوليتهم في جميع هذه المراحل مسؤولية ثقيلة تشبه مسؤولية الأنبياء في امهم، لأن العلماء ورثة الأنبياء عليهم السلام، وعلماء المسلمين هم ورثة رسول الله «ص» وهم واردون عليه وسائلهم عما فعلوا، كما في بعض الاحاديث الشريفة..

دور العلماء في تاريخنا الاسلامي

لولا جهاد الأئمة والعلماء لجرى تاريخنا الاسلامي بمجرى آخر خطير يهدد وجود الأمة ومقوماتها من الاساس لاسمح الله.. يكفي ان نعرف أن غزو الغربيين (الفرنجة) بدأ لبلادنا الاسلامية منذ اكثر من تسع مئة سنة، وكان اخوانهم الروم الشرقيون ما زالوا في قوتهم وما زالت عاصمتهم اسطنبول - القسطنطينية..

بدأ ذلك الغزو وتواصل في ظروف انقسام الدولة الاسلامية الى ثلاثة دول: الخلافة العباسية، والخلافة الفاطمية، والخلافة الأموية، وعشرات السلطنات المستقلة وشبه المستقلة، وفي ظروف الصراعات الداخلية الكبيرة والصغيرة، والانقلابات المتتالية في الامراء والسلاطين والخلفاء.. ومع كل ذلك استطاعت الأمة ان ترد موجات هذا الغزو وتكسب معاركه وتؤخر سيطرة الغربيين على بلادنا اكثر من ثمان مئة سنة، وتحتوي في أثناء ذلك الغزو المغولي الكاسح وتحول المغول الوثنيين الى مسلمين، وتقضي نهائيا على الصليبيين الشرقيين!

مهما افترضنا العوامل التي حفظت للمسلمين قوتهم في هذه القرون، فإن دور العلماء في توجيه اجيال الامة وبعث روح الجهاد فيها كان في طليعة هذه العوامل، وهو امر واضح من اقل مراجعة لتاريخ صراعنا مع الغربيين..

بل وفي تاريخنا الحديث وبعد غلبة الغربيين على بلادنا وتعطيلهم الخلافة وتجزئتهم الوطن الاسلامي الى اجزاء واشلاء، هل قامت الثورات عليهم من أقصى المغرب الى أقصى المشرق إلا من المساجد والا بقيادة العلماء..

ان تاريخ علماء المسلمين في كل بلد يملأ كتابا بالصفحات المشرقة في انهاض المسلمين وقيادتهم لمواجهة عدوهم، والوقوف في وجه انحرافات الحكام وتقصيرهم بحق الاسلام والمسلمين..

المقصود بالعلماء

«العلماء» أو «علماء الدين» مصطلح عند المسلمين يشمل من كان يسمى في صدر الاسلام معلمي القرآن، وحفاظ القرآن، ورواة الحديث، والفقهاء، والقضاة.. وهو يشمل في عصرنا مدرسي علوم الدين، وأئمة الجمعة والجماعة، والخطباء، والقضاة، وكبار الفقهاء والعلماء، من المفسرين والمحدثين، والمؤرخين، والفلاسفة، والمفكرين، والكتاب الاسلاميين، وكل من درس مستوى من علوم القرآن والحديث والفقهاء في الحوزات والمعاهد والمساجد، وحصل على كمية من المعلومات الدينية تنفع المسلمين وتؤثر في هدايتهم..

فمصطلح العلماء من حيث المستوى العلمي مصطلح نسبي، حده الأدنى طالب العلم الذي قطع مرحلة معتدا بها، الى ان نصل الى كبار الفقهاء والفلاسفة، فجميع هؤلاء هم علماء المسلمين الذين يحملون علوم الاسلام المقدسة..

ولكن هذا التسامح في اطلاق اسم العلماء على هذا النطاق الواسع يقابله التشدد في الشروط التي وضعها الاسلام للعالم المطلوب والمقبول في نظره.. فأحاديث السنة الشريفة تفصل هذه الشروط وتشدد عليها في العلماء..

فمنها، الأحاديث التي تبين الصفات المطلوبة فيهم، كالحديث المروي عن علي «ع» قال:

«أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالْفَقِيهِ حَقَّ الْفَقِيهِ؟ مَنْ لَمْ يُقْنَطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَمْ يُؤْمِنْهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُمْ فِي مَعَاصِي اللَّهِ، وَلَمْ يَتْرَكِ الْقُرْآنَ رَغْبَةً عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ.. أَلَا لَأَخْبِرَ فِي عِلْمٍ لَيْسَ فِيهِ تَفَهُّمٌ، أَلَا لَأَخْبِرَ فِي قِرَاءَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَذَبُّرٌ، أَلَا

لَا خَيْرَ فِي عِبَادَةِ لَيْسَ فِيهَا تَفَكُّرٌ» الكافي ج ١ ص ٣٦، وقريباً منه في سنن الدارمي - ج ١ ص ٨٩.

ومنها، الأحاديث التي تزدم علماء السوء المنحرفين الكاتمين لعلمهم، الساكتين عن السلطان الكافر أو الظالم.
فَعَنِ النَّبِيِّ «ص» قال:

«إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَا يَنْتَفِعُ بِعِلْمِهِ» سنن الدارمي ج ١ ص ٨١.

وعنه «ص»:

«أَلَا إِنَّ شَرَّ الشَّرِّ سِرَارُ الْعُلَمَاءِ، وَإِنَّ خَيْرَ الْخَيْرِ خِيَارُ الْعُلَمَاءِ» الدارمي ج ١ ص ١٠٤.

وعنه «ص»:

«لَا يَطْلُبُ هَذَا الْعِلْمَ أَحَدٌ لَا يُرِيدُ بِهِ إِلَّا الدُّنْيَا، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ عُرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» الدارمي ج ١ ص ٨٢.

وعنه «ص»:

«مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ أَوْ يُتَمَارَى بِهِ الشُّفَهَاءَ أَوْ يُرِيدَ أَنْ يُقْبَلَ وَجْهُ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ جَهَنَّمَ» الدارمي ج ١ ص ١٠٤.

وعن النبي «ص» قال:

«إِذَا ظَهَرَتِ الْبِدْعُ فَعَلَى الْعَالِمِ أَنْ يُظْهِرَ عِلْمَهُ، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ» الكافي ج ١ ص ٥٤.

وعنه «ص» قال:

«الْفَقَهَاءُ أُمَّتَاءُ الرُّسُلِ مَا لَمْ يَدْخُلُوا فِي الدُّنْيَا، فَبِلَ يَارَسُولَ اللَّهِ وَمَا دُخُولُهُمْ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: إِتِّبَاعُ السُّلْطَانِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَاحْذَرُوهُمْ عَلَى دِينِكُمْ» الكافي ج ١ ص ٤٦.

وعنه «ص» قال:

«الْعُلَمَاءُ رَجُلَانِ: رَجُلٌ عَالِمٌ آخِذٌ بِعِلْمِهِ نَاجٍ، وَعَالِمٌ تَارِكٌ لِعِلْمِهِ فَهَذَا هَالِكٌ.. وَإِنَّ

أَهْلَ النَّارِ لَيَنتَادُونَ مِنْ رِيحِ الْعَالِمِ النَّارِكِ لِعِلْمِهِ، وَإِنَّ أَشَدَّ أَهْلِ النَّارِ نَدَامَةً وَحَسْرَةً رَجُلٌ دَعَا عَبْدًا إِلَى اللَّهِ فَاسْتَجَابَ لَهُ وَقَبِلَ مِنْهُ فَأَطَاعَ اللَّهَ، فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ، وَأَدْخَلَ الدَّاعِيَ النَّارَ بِتَرْكِهِ عِلْمَهُ وَاتِّبَاعِهِ الْهَوَى وَظُلُومِ الْأَمَلِ.. أَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيُصَدُّ عَنِ الْحَقِّ، وَأَمَّا ظُلُومُ الْأَمَلِ فَيُنْسِي الْآخِرَةَ..» الكافي ج ١ ص ٤٤.

وعن علي «ع»:

«إِنَّ مِنْ أْبْغَضِ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ لَرَجُلَيْنِ: رَجُلٌ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قُضْدِ السَّبِيلِ، مَشْغُوفٌ بِكَلَامٍ بِذَعَةٍ، قَدْ لَهَجَ بِالصُّومِ وَالصَّلَاةِ فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنْ افْتَنَ بِهِ، ضَالٌّ عَنْ هُدًى مَنْ كَانَ قَبْلَهُ، مُضِلٌّ لِمَنْ افْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَوْتِهِ حَمَالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ، رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ.

وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلًا فِي جُهَاِلِ النَّاسِ... قَدْ سَمَّاهُ النَّاسُ عَالِمًا وَلَمْ يُغْنِ فِيهِ يَوْمًا سَالِمًا... جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِيًا ضَامِنًا لِتَخْلِيصِ مَا التَّبَسَّ عَلَى غَيْرِهِ... وَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى الْمُغْضَلَاتِ هَيَّا لَهَا حَشَوًّا مِنْ رَأْيِهِ ثُمَّ قَطَعَ بِهِ، فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ كَبِيتِ الْعَنْكَبُوتِ لَا يَذْهَبُ إِلَّا أَصَابَ أَمَّ أَخْطَأَ، لَا يَخْشَبُ الْعِلْمَ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَ، وَلَا يَرَى أَنَّ وَرَاءَ مَا بَلَغَ فِيهِ مَذْهَبًا، إِنْ قَاسَ بِشَيْءٍ لَمْ يُكَذِّبْ نَظَرَهُ، وَإِنْ أَظْلَمَ عَلَيْهِ أَمْرٌ اُكْتَمَ بِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ، لِكَيْلَا يُقَالَ لَهُ لَا يَعْلَمُ، ثُمَّ جَسَرَ فَقَضَى.. رَكَابُ شُبُهَاتٍ، خَبَاطُ جَهَالَاتٍ، لَا يَتَعَذَّرُ مِمَّا لَا يَعْلَمُ فَيَسْلَمُ، وَلَا يَبْغُضُ مِنَ الْعِلْمِ بِضُرْسٍ قَاطِعٍ فَيَغْتَمُ، يَذْهَبُ الرُّوَابِاتِ ذُرُورَ الرِّيحِ الْهَشِيمِ.. تَبْكِي مِنْهُ الْمَوَارِيثُ، وَتَضْرُخُ مِنْهُ الدَّمَاءُ.. يَسْتَحِيلُ بِقَضَائِهِ الْفَرْجَ الْحَرَامَ، وَيُحَرِّمُ بِقَضَائِهِ الْفَرْجَ الْحَلَالَ.. لَا قَلْبِيَّ بِإِضْدَارِ مَا عَلَيْهِ وَرَدَ، وَلَا هُوَ أَهْلٌ لِمَا مِنْهُ قَرَطَ مِنْ ادِّعَائِهِ عِلْمَ الْحَقِّ» الكافي ج ١ ص ٥٥.

وعنه «ع»:

«لَوْ سَكَّتْ مَنْ لَا يَعْلَمُ سَقَطَ الْإِخْتِلَافُ» البحار ج ٢ ص ١٢٢

وعن الامام الصادق «ع» في تفسير قوله تعالى:

«إِتَّخَذُوا أَخْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ» أَمَّا وَاللَّهِ مَا دَعَوْهُمْ إِلَى عِبَادَةِ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ دَعَوْهُمْ مَا أَجَابُوهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ أَحَلَّوْا لَهُمْ حَرَامًا، وَحَرَّمُوا عَلَيْهِمْ حَلَالًا، فَعَبَدُوهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ» الكافي ج ١ ص ٥٣

وضع العلماء في عصرنا

نقاط الحديث والبحث في وضع العلماء المعاصر كثيرة، ولكن ما يتناسب مع حديثنا عن طريقة حزب الله ان نذكر أهم نقاط القوة لاستثمارها، وأهم نقاط الضعف لمعالجتها..

نقاط القوة

أولاً: الاصاله في علماء المسلمين، فالأصاله الفكرية والحضارية والعملية مازالت موجودة في علماء المسلمين والحمد لله، بل هي في حالة نمو وتقدم..
فعلى رغم موجة الثقافة الغربية وخططها التي استهدفت بشكل خاص الجامعات الدينية ومناهجها ونمط التدريس الاسلامي فيها، استطاع العلماء ان يحتفظوا بكثير من الاصاله في المناهج وبالاصاله الكامله في الرجوع الى المصادر.. فايا كانت المناهج التي توضع للمدارس والمعاهد الدينية، وكليات اصول الدين والشريعة، وغيرها من مؤسسات التعليم الديني، فهي تتضمن أدبيات اللغة العربية، وقدرًا من القرآن والحديث والفقه والعقائد والسيرة.. وهذا المنهج وان كان اقل عمقا وكمية منه في الاجيال السابقة الا أنه قريب منه..

ومصادر العلوم الاسلاميه محفوظة وموجوده والحمد لله، واكثرها مطبوع بطبعات جديدة منتشرة في بلاد المسلمين، ومتداولة بين علمائهم وعامتهم، ومترجمه الى عدد من

لغاتهم، الأمر الذي يتر على طلبة العلم والعلماء الرجوع اليها والاعتراف منها والتعمق فيها.. بل ينبغي القول ان هذه المصادر الشريفة هي السبب الاساسي في الاصلة العلمية الموجودة في علماء المسلمين والامة، فصادر علوم القرآن الكريم والسنة الشريفة والفقه والتاريخ الاسلامي هي المعين الذي يغترف منه الطلبة والعلماء والمفكرون المسلمون، و يقدمون منه الى الأمة ينابيع وجد اول صافية.. والمناهج الدراسية ليست في الغالب الا مقدمات ومفاتيح تمكن العلماء من الرجوع الى المصادر والاستخراج من كنوزها..

هذه الاصلة العلمية في الاخذ من المصادر والاقتراب منها في المناهج الدراسية، جعلت الجو الفكري العام عند علماء المسلمين هو الالتزام الفكري بالاسلام لا بغيره من مدارس الفكر الغربي والشرقي التي يعمل أعداء الاسلام على نشرها في ابنائنا بواسطة المؤسسات التعليمية ووسائل الاعلام.. فالقياس الفكري المتبنى عند العلماء في عصرنا وعند اوساط الأمة عامة باستثناء المجموعات القليلة الذائبة في الثقافة الغربية، هو مقياس القرآن والسنة وفقه المذاهب وفتاوى العلماء، والحمد لله..

وهذه الاصلة العلمية والفكرية التي كافح المسلمون من اجلها كثيرا، كانت السبب الاساسي للاصلة الحضارية في العلماء والامة، والتي تتمثل اكثر شيء في حالة الانكماش عن الحضارة الغربية وفكرها ونمط حياتها.. فعلماء المسلمين منذ بداية الغزو الغربي والى اليوم يمثلون قادة حركة الانكماش الحضاري امام الحضارة الغربية.. ومهما يقل عن حالة الانكماش هذه فإنها نوع من المقاومة السلبية للحضارة الغازية، ونوع من المحافظة على الحضارة المغزوة.. فالعلماء والمتدينون الذين يمتنعون بناتهم من الدخول في المدارس الحكومية او التبشيرية، ويمنعون ابناءهم من السفر للدراسة في الغرب، ويمنعون اسرهم من الذهاب الى السينمات واماكن اللهو ومشاهدة التلفزيون الفاسد، وما شابه.. هؤلاء يقومون بحركة مقاومة سلبية وان كان الأفضل منها الحركة الايجابية والعمل على اجبار السلطة على فرض الحجاب الاسلامي في المدارس او تشجيعه، وعلى إزالة الفساد الثقافي والسلوكي فيها، أو العمل على انشاء مؤسسات ثقافية تربي أبناءنا وبناتنا تربية اسلامية، وتكون حركة مقاومة إيجابية لمؤسسات الثقافة الغربية..

وبشكل عام اذانظرنا الى وضع علماء المسلمين في انحاء العالم الاسلامي نجد فيهم الكثير من الاصاله الحضارية والمقاومة السلبية والايجابية للحضارة الكافرة.

ويوازي ذلك اصالة العلماء في الانكماش عن الحكومات غير الاسلامية القائمة في بلادنا.. فعلى الرغم من الارتباط المالي لكثير من علماء الامة بالحكومات، الا أن الجو العام الحاكم عند العلماء انه يوجد حاجز نفسي وفقهي وعقائدي بينهم وبين انظمة الحكم التي لاتحكم بالاسلام، خاصة وان فساد رؤساء هذه الأنظمة وظلمهم للمسلمين وتبعية سياستهم للكافر ومعاداتهم لشريعة الاسلام.. أصبح واضحاً حتى عند اطفال المسلمين وعجائزهم..

ان علماء الدين والشباب المتدين هم العقبة الاساسية التي تقف في وجه الانظمة غير الاسلامية.. وان هذه الانظمة والكفار الذين يساندونها من وراء البحار والجبال لايقض مضجعهم شيء مثل وجود العلماء والشباب المتدين في الامة، ومن خلفهم بحر جماهيرها المستضعفة.. وهذا يدل على مدى الاصاله في الامة وعلمائها، مهما كان عدد المتزيين بزى العلم الذين تشتري الحكومات دينهم وتجمعهم حول رئيسها وسياساتها..

ومن انواع الاصاله التي ترفع الرأس في علماء المسلمين ان مقياس الاقتداء بالعلماء الاتقياء المجاهدين من السلف الصالح مازال هوالمقياس السائد عندهم، حتى لوابتعد بعضهم عنه قليلا او كثيرا.. فطلبة العلوم الدينية وعلماء المسلمين أينما كانوا في شرق بلاد المسلمين وغربها يعيشون في حسهم هذا المقياس ويحرص الكثير منهم على تطبيقه سواء في بساطة المعيشة، وفي العمل مع الناس المستضعفين، وفي التزام التقوى والورع، وفي العبادات المستحبة والاذكار والأوراد، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد المخالفين للاسلام..

ينبغي ان لانستهين بكمية هذه الاصاله السلوكية الموجودة في علماء المسلمين، وان نعمل على ابراز سيرة العلماء الاتقياء المجاهدين من السلف الصالح الذين لايكاد يخلو منهم بلد من بلاد المسلمين لتكون سيرتهم وجهادهم قدوة للطلبة والعلماء والناس، مضافا الى القدوات العظام من علماء المسلمين في العالم وفي التاريخ، والصحابة

الميامين والائمة الطاهرين، ومضافا الى الاقتداء بسيد البشر والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم.

ثانياً: ثقة المسلمين بالعلماء. عند ماغزا الغربيون بلادنا كان موقع العلماء الاجتماعي في الامة موقعاً قيادياً يجعلهم في مصاف الحكام، وفي بعض بلاد المسلمين كانوا حكاماً بالفعل.. واذا اخذنا اي بلد اسلامي وسألنا ماذا جرى لعلمائه في السنوات الاولى لغلبة المستعمر الكافر وسيطرة قواته العسكرية، لوجدنا الجواب في جميع البلاد واحداً: لقد تم إقصاؤهم عن الساحة السياسية فمنهم من انزوى وترك العمل في القضايا العامة للبلد، واتبع اسلوب المعارضة السلبية فقط، ومنهم من حمل راية المقاومة والجهاد وتحمل السجن والنفي اوفاز بالشهادة..

ورافقت حملة اقضاء العلماء الغارة على الجامعات والمدارس الدينية لافراغها من محتواها الاسلامي ومنع تخريج اجيال جديدة من العلماء..

طبعاً لم يستطع المستعمرون تحقيق هدفهم الخبيث دفعة واحدة، فالجامعات الدينية التي عمرها قرون والتي لها قداسة في وجدان المسلمين لم يمكنهم إقفالها دفعة واحدة بجرة قلم، وعلماء الدين لا يمكن إبادةهم ومنع تخريج أحد منهم دفعة واحدة بمرسوم من الحاكم العسكري الكافر او النظام التابع، فقد قاومت الأمة وعلمائها هذه السياسة، ولكنها غُلبت في اكثر المناطق ونجح العدو في السيطرة الى حد كبير على مراكز العلم الاسلامي، ونجح في تخفيض عدد العلماء وطلبة العلوم الدينية الى أدنى حد ربما في كل تاريخ المسلمين! ونجحوا في التأثير على مكانة العلماء وطلبة العلم في الامة، وذلك بمحاربتهم في معيشتهم وقوت عوائلهم، والتشكيك بهم، وتشويه سمعتهم، حتى اصبحت صورة العالم وطالب العلم في اذهان بعض المسلمين وخاصة الاوساط المتأثرة بالغربيين او المسحوقة غربياً، صورة تمثل الجمود والتخلف وعدداً من المعاني غير المحبوبة او المكروهة.. ومازالت آثار هذه الحملات في بعض الازهان وبعض البلدان الى اليوم..

على رغم كل ذلك فإن ثقة المسلمين بالعلماء لم تنعدم وان تأثرت، فقد حافظت

جماهير الأمة على ثقتها بالعلماء وحبا لهم بمستوى وآخر، اما في العقود الأخيرة عند ما أخذت الأمة تكتشف زيف التغريب على مستوى الفكر والسلوك والسياسة وكل المستويات، فقد اتجهت تبحث عن منابع اصالتها عند علمائها وفي مصادر دينها.. واخذت ثقتها بالعلماء تنمو باطراد..

ان بقايا الثقة القديمة وموجة الثقة الجديدة جعلت المسلمين يثقون بعلمائهم وشبابهم المتدينين في عصرنا اكثر من ثقتهم برئيس النظام ووزرائه وجهازه.. وهذا دليل على ان الأمة تريد الاسلام وقيادة العلماء والمتدينين ولا تريد انظمتها غير الاسلامية..

ثالثاً: المساجد، التي هي مراكز لالتقاء العلماء بالمسلمين على اوسع نطاق وتوجيههم بالاسلام.. والمسجد من الخصائص العظيمة لبلاد المسلمين ومجتمعاتهم، فلا يوجد معبد ولا مركز له دور في حياة امة من الامم ووجدانهم كما للمسجد في حياة المسلمين ووجدانهم..

وقد كانت المساجد وما زالت خنادق للدفاع عن الاسلام ونشر معارفه بين المسلمين، وللعلماء دورهم الطبيعي فيها لا يزاخهم فيه احد.. وأياً كانت الظروف السياسية والضغط من قبل السلطة وعملاتها ووزارة أوقافها على عالم المسجد ان لا يطرح للمسلمين قضاياهم السياسية وان لا يبين لهم حكم الشرع فيها وواجبهم نحوها.. فإن باستطاعته ان يجعل من المسجد مركزاً لاهل القرية والحلة عامراً بالعبادة والدروس الاسلامية.. سواء في خطبة صلاة الجمعة ام في الدروس الفقهية المختصرة بعد صلاة المغرب او العشاء، او الدروس القرآنية والاخلاقية والعرفانية، لعامة المصلين او لمجموعة منهم، والتي يمكن ان تكون في كل يوم وخاصة ليالي الجمعة وايامها، او في حلقات الدروس بالكتب لطلبة العلوم الدينية، او بإحياء المناسبات الاسلامية والاحتفال بها في المسجد بالكلمات والقصائد والأناشيد الاسلامية المحلية، أو بما يناسبها من إحياء.. خاصة مناسبة شهر رمضان المبارك والمناسبات المرتبطة بالنبي «ص» مثل المولد الشريف والاسراء والمعراج والمبعث والهجرة، ويضاف اليها

المناسبات المرتبطة بأهل بيته «ص» التي يهتم بها الشيعة عادة اكثر من غيرهم كمنااسبة عاشوراء وذكرى مواليد الأئمة ووفياتهم.. ان كل مسجد من مساجد المسلمين مهما كان بناؤه متواضعا وعدد المصلين فيه قليلا هو منبر رسول الله «ص» في محيطه، وان احياءه واعادة دوره الاسلامي اليه من اسس طريقة حزب الله في العمل ومن نقاط القوة التي يجب ان يجيد اهل العلم الاستفادة منها.. ويلي المساجد في الاهمية وان كانت دونها بمراتب الحسينيات والزوايا والتكايا المنتشرة في بلاد المسلمين والتي ينبغي استثمارها للعمل الاسلامي بدل محاربتها كما يتوهم البعض..

رابعاً: المعاهد والحوارات العلمية، فهما كانت المؤامرة التي نفذت ضد المراكز والمؤسسات العلمية الاصلية فقضي على بعضها قضاء تاما، واستبدل بمؤسسات لا تغني ولا تسد حاجة المسلمين، وافرغ بعضها من اكثر محتواه، واستبدل نمط التدريس الحلقى فيه بالنمط الغربي.. الخ. فإن المؤسسات الموجودة نقطة قوة في وضع العلماء المعاصروهي تحتاج منهم الى ثلاثة انواع من العمل:

الاول: العمل على اعادة المحتوى العلمي الاسلامي اليها بتقريب مناهجها ما أمكن من المناهج الاسلامية الاصلية التي تقوم بشكل اساسي على إتقان أدبيات اللغة العربية وبقية المقدمات ثم التوسع في علوم الكتاب والسنة، والتعمق فيها، والاختصاص في بعضها..

والثاني: العمل لتحقيق اي نسبة ممكنة من استقلال هذه المؤسسات عن الانظمة ووزارات التربية والتعليم والاعراف.. استقلالها العلمي في المناهج والبرامج وحرية تدريس العلوم والكتب الاسلامية على مختلف المذاهب.. واستقلالها الاداري ومنع التدخل في شؤون علمائها وطلبتها.. واستقلالها المالي بأن يكون الهدف ان تعاملها الحكومات على الاقل كما تعامل مؤسسات الاقليات المسيحية الموجودة في بلادنا فتقدم لها الميزانية السنوية وتترك لإدارتها حرية التصرف، أو كما تعامل الدول المسيحية المؤسسات الكنسية والتبشيرية فتقدم لها المساعدات، وتشجع الناس على تقديم المساعدات، وتعفيها من الضرائب، ولا تتدخل في شؤونها المالية..

والعمل الثالث: ان نشيع نمط الدراسة الاسلامي من جديد الذي يقوم على نظام الحلقات الدراسية والاجازات.. فقد كان العالم المسلم مدرسة أينما حل، نحويًا كان أوفقيهاً أو محدثاً، أو فيلسوفاً، أو عارفاً متصوفاً، يقصده طلبة العلوم الاسلامية فيلتي عليهم دروسه في المسجد أو في المدرسة أو في بيته، وهم يدرسون طلبتهم الاقل مرتبة منهم، وكانوا يكتبون الرسائل في الموضوعات، أو الكتب، ويعرضونها على استاذهم، أو يبحثون معه المسائل، فيكتب لهم اجازات حسب مستوياتهم العلمية، وكانت اجازة العالم المعروف شهادة معتبرة عند جماهير المسلمين وفي مؤسسات الدولة.. وها هي الجامعات الغربية اخذت تعتمد في شهاداتها العليا نظام الاجازة الاسلامي، ونحن احق بإحياء نمط دراستنا الاصيل في العلوم الدينية، وهذا لا يكون الا بأن يعود العلماء الى التدريس في المساجد كل بما يتقنه وبمن يتيسر له من طلبة علم.. حتى لو كان عالماً في قرية يستطيع ان يدرس النحو والمنطق والفتاوى الفقهية، أو مجرد قراءة القرآن وترتيله، وتيسر له طالبان أو طالب واحد فينبغي له ان يدرسه في كل يوم ان استطاع، أو في بعض ايام الاسبوع، ليكون مساهماً في نشر العلم وحياء السنة، وسيرى بركة عمله بما لم يكن يخطر على باله.

إذا استطعنا اشاعة نمط الدراسة الاسلامية وانتشرت من جديد حلقات الدرس في المساجد وفي بيوت العلماء، واخذ العلماء المعروفون يعطون لطلبهم اجازات في النحو والفقه والحديث والتفسير والتاريخ والفلسفة والخطابة وغيرها من العلوم والفنون الاسلامية.. فإننا نكون خطونا خطوة كبيرة في نشر العلم بين المسلمين وتكثير عدد طلابه واعادة النمط الاسلامي في الدراسة، بل سترتب على ذلك احساس الامة بأهمية علوم الدين وعودتها للإنفاق من زكواتها وتبرعاتها على طلبته، وستضطر المؤسسات الرسمية للاعتراف بشهادات الاجازة من العلماء الى جانب الشهادات الرسمية من الكليات والجامعات..

* * *

خامساً: خوف العدو والأنظمة من العلماء، فالقرآن الكريم يصف خوف الكفار والمنافقين من المسلمين، وتاريخ صراعنا معهم يسجل ذلك، وحاضرنا يشهد عليه.. فالاسلام

يثيرهم، والمسلمون يرعبونهم، والحضارة التي تشكل خطراً عليهم هي الحضارة الاسلامية، فهذا الدين الالهي لون حضارى جديد ومتكامل، ولا يوجد على وجه الارض منهج غيره مرشح لأن يكون بديلاً لحضارتهم المادية..

هذا مايقوله اعداؤناسرا، ويطفح على السنتهم منه الكثير.. فمن ماذا يخافون من الاسلام الا من قرآنة وسنته، ومن ماذا يخافون من المسلمين الا من علمائهم وشبابهم المتدين، وجماهيرهم المستضعفة..

إن أعداءنا أئمة الكفر العالمي الغربي والشرقي عند مايفكرون في بلد من بلادنا الاسلامية فأول ما يغيظهم تمسك أهله بالاسلام وموقف علمائه وشبابه المتدين ضدهم..

وان رئيس النظام غير الاسلامي عند مايفكر في وضع حكمه فأول ما يخشاه حالة التدين في الامة وموقف العلماء والمتدينين منه..

اذا عارض رئيس النظام زعيم سياسي علماني او حزب سياسي علماني، فالأمر عنده اعتيادي، لأنه يعرف ارتباطهم بهذه الدولة الغربية او الشرقية او تلك، ويعمل للتحالف مع اسيادهم، او للتحالف معهم، او لضرب قوتهم المحدودة، واذا ضرهم فسوف لا يتحرك عامة الناس، وقد لا يغضبون لذلك، وقد يرتاحون، لأن الزعامات والأحزاب السياسية العلمانية اليمينية واليسارية ليست منهم ولا تخصهم.. اما اذا عارضه عالم دين ولو كان في قرية وكان حوله عشرة مسلمين، فالأمر ليس عادياً، لأن القضية معارضة عالم دين مهما كان مستواه، وصوت من مسجد مهما كان صغيراً وبعيداً عن العاصمة، ولأن القضية اسلام يؤمن به كل الناس ويؤيدون معارضة الحاكم على اساسه.. ويتحير الحاكم فيما يصنع فإذا استعمل الارهاب والسجن فإن الناس سوف تلهج باسم هذا العالم المجاهد ويصبح له شعبية ومؤيدون اكثر، واذا قتله وجماعته فسيصبحون شهداء ورمزاً للمعارضة، واذا استعمل معه اللين فان هذا العالم سيمضي في معارضته فتسري الى العلماء والمساجد والجماهير..

العالم المسلم في نظر أعدائنا هو أساس الخطر وأصل البلاء، فهو الذي يحمل من علوم الاسلام ويبينها للناس، وهو الذي يدعوهم الى معارضة النظام ويفتي لهم

بمقاومته، وهو الذي يعلم الشباب على روحية الشهادة والتضحية، وهو الذي يجعل المسلمين يعملون للاطاحة بالحضارة الغربية واقامة حضارتهم الاسلامية..

من يقرأ مايكتبه مفكروا اعدائنا وسياسيوهم وما تبثه وسائل اعلامهم يدرك مدى رعب هؤلاء من الاسلام ومن علمائه ويشكر الله تعالى على هذه النعمة.

ومن يسافر الى البلاد الغربية يستطيع ان يلمس الهيبة التي اعطاها الله لعالم الدين في نفوس الغربيين وكيف ان زيّ عالم الدين عندهم يعني الاسلام وقوته في مواجهتهم، ويستطيع ان يقدر كيف تحسب انظمتهم لعالم الدين المسلم الف حساب..

ومن يلتقي باحد من رؤساء انظمتنا ووزرائهم يلمس خوفهم من عالم الدين وكرههم ونفاقهم.. ان اهل العلم في كل بلدٍ هم كابوس الحاكم الظالم، وحتى اذا تقرب اليهم أحدهم فانهم بخطورته يشعرون ويغتابونه بمجرد ان يخرج من الغرفة، ولا يرتاحون حتى يفقدوه شعبيته في جماهير المسلمين و يسقطوا شخصيته ومكانته في نفوسهم، ولذلك فهم يخادعون حتى يتورط معهم اكثر و يؤيدهم بقوله وفعله ويخدع المسلمين بزيه واسمه..

ولكن خوفهم الاكثر ورعبهم الاكبر من العالم الذي لايساوم ولا يداهن، و يصدع في نهيم عن المنكر وامرهم بالمعروف، ويحمل راية الاسلام في وجه رايتهم..

نقاط الضعف

اولاً: ان بعض العلماء لايعرف قدر نفسه ولا مدى قوته، فضعف الشخصية وعدم الثقة بالنفس من اكبر الاخطار على عالم الدين.. إن كل مسلم يجب ان يكون قوي الشخصية واثقا بنفسه، وذلك في عالم الدين أوجب وأكثر..

ان ثقة المؤمن بنفسه خاصة العالم المجاهد هونوع من الثقة بالله تعالى، والكفر بها نوع من الكفر والريب بالله تعالى، ولذلك نرى أنه كلما ازداد نصيب عالم الدين من اليقين بالله عزوجل ازدادت ثقته بنفسه..

لعل من المفيد ان نذكر عوامل الضعف في شخصية بعض العلماء، العوامل

البشرية منها والعوامل الاجتماعية، حيث ان غالبية علماء المسلمين من ابناء الفئات المستضعفة.. ولكن الانفع ان نتذكر اهم عوامل القوة التي يملكها عالم الدين في مواجهته للعدو الكافر والنظام التابع له:-

- الانسان في القرآن الكريم والسنة الشريفة هو المحور، لافي الارض فقط بل وفي عوالم الكون ومخلوقاته.. والانسان المؤمن الذي يحمل في قلبه توحيد الله تعالى والايمان بنبيه «ص» له قيمة عليا عند الله تعالى تحيط به عناياته وألطافه وملائكته.. فكيف بعالم الدين الذي يحمل شيئاً من علم رسول الله «ص» ويهدي به المسلمين ويقارع المنافقين والكفار..

- المؤمنون من ابناء آدم عليه السلام في كل جيل هم أصحاب الارض الشرعيون والخلفاء فيها، والشهداء على شعوبها غير المؤمنة، ولذلك تسمى الاراضي التي يحررونها من الكفار فيثأ، لأنها حق فاء ورجع الى اهله، كما ورد في الأحاديث الشريفة.

- العلماء ورثة الأنبياء، وكل عالم دين مهما كان مستواه وتأثيره فهو ممثل لرسول الله «ص» في نطاقه وحدوده، وليس ممثلاً لنفسه أو لعائلته وأقاربه وقومه..

- اعداء الاسلام عداوتهم الحقيقية ليست مع المسلمين وعلمائهم، بل هي مع الله تعالى ورسوله «ص» كما يكشف لنا القرآن.. فطرف القضية معهم في الصراع هو الله تعالى، وعالم الدين والمتدينون الذين يخوضون معهم الصراع انما هم وسائل وأدوات بيد الحق عزوجل، فهم يمثلونه في عملهم وجهادهم..

- لم يصف الله تعالى أحداً في القرآن بأنه الأعلى إلا موسى على نبينا وعليه السلام وذلك عند مواجهته لفرعون وسحرته، قال عزوجل «قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى» لأن موسى في تلك المواجهة لا يمثل نفسه ولان علوه علو لكلمة الله تعالى.. والا المسلمين في مواجهتهم لأعدائهم فقال عزوجل «وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» لأنهم في مواجهتهم للكفار والمنافقين لا يمثلون انفسهم، ولأن علوهم علو لكلمة الله تعالى..

- ميزان الكرامة في الاسلام هو التقوى وليس مظاهر السلطان وماديات الدنيا الزائلة «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» وعالم الدين أتقى من رئيس النظام المنحرف عن

الاسلام وجماعته، فهو أكرم منهم بنص كتاب الله تعالى، فكيف يحط لهم من كرامته..

وميزان الرفعة والمكانة في الاسلام هو الايمان والعلم «يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ» وعالم الدين اكثر ايمانا وعلما من رئيس النظام وجماعته، فهو ارفع منهم درجة بنص كتاب الله تعالى، فكيف ينزل نفسه الى صف درجتهم أو أدنى منها..

- ميزان القوة في الاسلام ليس القوى المادية الظاهرة، فهناك القوى الغيبية والإمداد الإلهي لعبده المؤمن مهما كان ضعيفا، خاصة اذا وقف في مواجهة اهل المنكر والانحراف ومن وراءهم من الكفار.. وهذا يعني ان الله تعالى يؤيد عالم الدين ومن معه من المسلمين منذ اول خطوة يخطونها في المعارضة والنهي عن المنكر، والامر باقامة الاسلام..

ان العوامل التي تبعث القوة والكرامة والعزة والرفعة والسمو والصلابة في شخصية عالم الدين كثيرة جدا في مفاهيم القرآن والسنة وسيرة النبي «ص» واصحابه واهل بيته، وسيرة علماء الامة الاتقياء المجاهدين.. والذي ينعم الله تعالى عليه بهذه المكانة والكرامة، كيف يسمح لنفسه ان يتطرق اليها الريب والشعور بالضعف والعجز عن نصرة الاسلام واهله ومقاومة الباطل واهله..

كيف يسمح لنفسه ان يذل نفسا اكرمها الله تعالى بتمثيل نبيه «ص» فيخضع لغني لغناه، او لحاكم لسلطانه، او لتخويفه له وضغطه عليه، أو لسجنه اياه ونفيه، او لخوفه من افتراءاته عليه وتشويه سمعته..

إن اقل مسلم متدين هو اعظم قدراً وارفع مكانة، وأكرم واشرف من جميع اهل الانحراف والنفاق والكفر.. وان علماء الدين في المرتبة العليا من المكانة فكيف يجوز ان يقيسوا أنفسهم بهم او يذلوا كرامتهم لهم.. وكلما اطلعنا على حقيقة مسؤولي الأنظمة الظالمة في بلادنا كلما اكتشفنا تفاهة شخصياتهم ومهانتهم وجهلهم، وعرفنا اكثر كرامة العلماء والمتدينين في مقابلهم..

ثانياً: قلة تلاقي العلماء في الله تعالى، وهذه نقطة ضعف في كثير من المناطق حيث يمنعهم من التلاقي انصراف كل منهم الى عمله أو انتظار الواحد ان يبادر أخاه أولاً الى زيارته، وما شابه ذلك من الموانع والظروف التي لا تشكل مبرراً شرعياً لعدم التلاقي والتواصل..

ان الدواعي الموجبة لالتقاء اهل العلم أكد من غيرها، فمضافاً الى اخوة الايمان وما ربما يكون بينهم من صداقة، توجد اخوة العلم التي هي نسب بين اهله.. و يوجد موجب اعظم واهم هو اخوة المسؤولية المشتركة والتشاور والتناصح والتعاون في خدمة المسلمين والعمل على رفع البلاءات الجاثمة على ديارهم وصدورهم..

وينبغي ان يبدأ بهذه السنة الحسنة أو الفريضة بشكل عام، العالم الاكثر تواضعاً او الاقدر على الحركة فيزور اخوانه اهل العلم في منطقته وغيرها لله تعالى و يتحدثون في هم المسلمين واساليب العمل، وسوف يهديهم الله عزوجل و يشد أزهرهم ببعضهم وبمن حولهم من المؤمنين..

ان هذا التلاقي المخلص الذي يثمر التواصل والتزاور وتبادل الافكار، ثم التشاور والتعاون.. والذي يبدأ عادة بين العلماء المتقاربين في اماكنهم من اهل المنطقة الواحدة او المدينة الواحدة او البلد الواحد، او المتقاربين في افكارهم عن مسؤولية العلماء والوقوف في وجوه اهل المنكر ومقاومتهم، والعمل لاقامة حكم الاسلام.. هذا التلاقي سيكون نواة مباركة لوحدة علماء المسلمين المجاهدين في ذلك البلد..

ويحدث في بعض المناطق ان يوجد بعض العلماء الكبار وآخرين من صغار العلماء، فهم ينتظرون ان يبادر هو ويدعوهم الى الالتقاء والتعاون والعمل، و يتقدم امامهم فيتبعونه.. ولكنه من النوع الذي لا يتحرك لسبب وآخر.. إن مثل هذا الوضع غير طبيعي ولا ينبغي ان يمنعهم عدم تحرك العالم الكبير أو العلماء الكبار ان يتلاقوا في الله ويتعاونوا في سبيله بحسب قدرتهم. ان قلة التزاور والتعاون نقطة ضعف في عمل العلماء يجب العمل لرفعها على أي نطاق ممكن، والتعاون والوحدة انما تبدأ بين العاملين المجاهدين، ثم تكون احداث العمل فتتحرك من كان فيه خير وله توفيق..

ثالثاً: الارتباط المالي بالمؤسسات الرسمية وشبه الرسمية، إذا طرحنا هذا السؤال، مآبال الانظمة الحاكمة في بلادنا تقلد الانظمة الغربية في مؤسساتها المختلفة ولا تقلدها في امر المؤسسة الدينية، فنرى رجال الدين في الغرب ومؤسساتهم يتمتعون بالاستقلال المالي والاداري التام، ومضافا الى مواردهم من الاوقاف، تقدم لهم الحكومات تبرعات سنوية، وتشجع الناس على التبرع لهم وتعفي المبالغ المتبرع بها من الضرائب، وفي بعض الحالات تحسبها من الضرائب المستحقة لها.. بينما تربط حكوماتنا المؤسسة الدينية بها حتى المعاهد الدينية وكلية الشريعة إن وجدت، وحتى الأوقاف التي اوقفها المسلمون لتدار بنظر العلماء، وحتى جهاز القضاء الشرعي، وجهاز مفتي الجمهورية او مفتي المملكة..

الجواب بسيط ان الجهاز الديني الغربي هو من جنس تلك الحكومات، بينما جهاز علماء الدين في بلادنا ليس من جنس الحكومات والحمد لله، فهي تخاف من استقلاله المالي والاداري.. ان حكوماتنا تبقى عصرية وتقدمية تأخذ بأحدث الاساليب الغربية حتى تصل الى الدين وعلمائه فتنسى عصريتها وترضى بالتخلف والتسلط..

ان مشكلة الارتباط المالي لعلماء الدين بالمؤسسات الحكومية وان لم تمنع معارضتهم للحكومات ومقاومتهم لها، ولكنها نقطة ضعف كبيرة تؤثر على العديد منهم.. وهي عند الشيعة محلولة او قابلة للحل، فقد جرت سيرتهم على عدم الارتباط بالحكومات سواء كان الحاكم فيها شيعيا ام سنيا، وتعود الناس ان يقدموا للمرجع والعلماء الاخماس والزكوات والتبرعات، فحفظوا بذلك استقلال العلماء ومؤسساتهم..

وفي المسلمين السنة لم تكن المشكلة سابقا في حجمها الفعلي، فقد كان للعلماء استقلالهم المالي والاداري في بعض البلاد والاوساط خاصة التي تتركز فيها الطرق الصوفية، وكان لهم قدر من الاستقلال في بعض البلاد الأخرى.. ولكن هذه الحكومات المتأخرة زادت من سيطرتها على الجهاز العلمائي ومؤسساته..

واول الحلول للمشكلة تعويد الحكومات على ان الراتب الذي يأخذه علماء الدين من بيت المال لا يعني تبعيتهم لسياستها، فلا يوجد قانون وضعي في الغرب او العالم يجيز للحكومة ان تحاول فرض سياستها على العلماء بواسطة الضغط عليهم بقطع رواتبهم

وقوت اطفالهم..

وعملية التعويد هذه لا تتم بمطالبة الحكومة بوضع قانون لذلك، وانما بالوقوف في وجهها عند ما تستعمل الارهاب المالي مع عالم يعارض سياستها ويقاومها.. إن وقوف العلماء ضد قطع رواتب العلماء المجاهدين وضد الضغوط المالية والمعنوية عليهم مضافا الى انه من واجبات النصر والتعاون، فهو من انفع الاساليب في تخلي الحكومات عن هذا الاسلوب الوضيع.. وكلما اتسعت معارضة العلماء للحكومة كلما بطل مفعول المحاربة المالية.. وبالفعل فقد اضطرت بعض الحكومات ان تخفف من استعمال هذا الاسلوب خشية ان تواجه ردة فعل من العلماء والمسلمين..

مضافا الى هذه المعالجة ينبغي توعية المسلمين وتعويدهم على الإنفاق على حاجات العلماء وطلبة العلم من زكواتهم ونذورهم وتبرعاتهم، و ينبغي توجيه الاهتمام في هذا المجال الى الفئات المستضعفة فإن انفاقهم على العلماء والطلبة يوثق العلاقة بينهم، واموالهم أحلّ وأكثر بركة، حتى لو جمعت بالدرهم ونصف الدرهم، وهي بعد خالية من المن والأذى، كما يفعل اكثر الأغنياء..

اما اذا دخلت مقاومة العلماء للحكومة في مراحلها السياسية الساخنة، فان تعويد جماهير المسلمين على الإنفاق يصبح ضرورة، واول ما يجب من ذلك المبادرات المتنوعة والمتعددة للإنفاق على عوائل المجاهدين الذين فقدوا مواردهم من قبيل المسجونين والمضطرين للاختفاء عن السلطة او الهجرة، وعوائل الشهداء والمتفرغين لأعمال الجهاد والمقاومة..

ان الخير في أمة رسول الله «ص» خاصة الجماهير المستضعفة، وان باستطاعة العلماء اذا التصقوا بالجماهير، ونبضوا بنبضهم الاسلامي، وساروا في طريق المقاومة، ان يحققوا الاكتفاء المالي الذاتي في كل منطقة مهما كانت فقيرة..

ومن الضروري التنبيه هنا الى اتجاه خاطيء عند بعض الحركات والعلماء، لتحقيق الاستقلال او شبه الاستقلال المالي عن طريق جمع التبرعات من بعض الحكومات والاثرياء.. يقولون قبل ان نبدا مرحلة المواجهة السياسية الساخنة علينا ان نوّمن كفايتنا المالية عن طريق مشاريع ومؤسسات اقتصادية تغطي ارباحها نفقاتنا

الضرورية او جزءا كبيرا منها على الاقل، فالحكومة سوف تقوم بمحاربة شبابنا بفصلهم من وظائفهم وسجنهم واجبارهم على الاختفاء والهجرة، وفي هذه الحالة يجب ان نوّمن الحد الأدنى من الانفاق على عوائلهم، مضافا الى انفاقات الاعلام والعمل..

ان ذلك يشبه الاتجاه عند بعض علمائنا الشيعة الى صرف وقته وجهده في جمع التبرعات لبناء مركز ديني، فهو يريده مركزاً لنشاطه لهداية الناس وخدمتهم، ولكنه يقضي عمره في السفر وفي مكاتب التجار وبيوتهم، ومع الخرائط والمهندسين والفنيين، حتى يتوفاه الله او يتعب قبل اكمال مشروعه او بعد إكماله، ولكن قبل أن يتفرغ لتبليغ الاسلام وهداية الناس..

ان هذا الاتجاه فيه عدة اخطاء..

الأول، ان الله تعالى امرنا ان نكون هداة لاجباة، فالعمل الاساسي لعالم الدين هو التبليغ والهداية والقيادة، اي ان يحدث في المسلمين حركة هداية تنتج فيهم خيرا كثيرا من جلته ان يقوموا بإنشاء المساجد والمؤسسات اللازمة لأمر دينهم ودنياهم.. وعمل الحركة الاسلامية هو احداث حركة اسلامية في المسلمين يكون من جملتها حركة المؤسسات.. اما اذا اصبحت المشاريع والمؤسسات هدفنا الاساسي أو نصف هدفنا الاساسي او رבעه، فقد تحولت طاقتنا عن مصبها الطبيعي، وهذا ما يحدث عملياً شئنا أم أبينا..

إن غاية ما يقال في هذه المشاريع انها مقدمات هامة جداً للعمل الاسلامي، وادنى ما يقال في كلفتها انها تستهلك جزءاً من طاقة العالم وقيادة الحركة كان يجب أن يصرف في تكثير عدد الملتزمين بالاسلام ودفع جماهير الامة الى مراحل جديدة في مقاومة النظام واقامة حكم الاسلام، والتفريط بأي جزء من طاقتنا وصرفه في غير المصرف الاساسي خسارة كبيرة للاسلام.. ان مئات الساعات بل الوف الساعات التي يصرفها العالم والحركة على هذه المشاريع غالية جدا بحساب حاجة الامة ومسؤوليتنا..

والثاني، ان هذه المراكز والمؤسسات بالنسبة الى العالم والحركة ليست مقدمات لعملهم الاسلامي بمقدار ما هي نتائج له، فلو ان العالم او قيادة الحركة صرفوا طاقتهم

في مصرفها الطبيعي في التوجيه العقائدي والسياسي والروحي فان الأمة سوف تقوم بإنشاء هذه المراكز نتيجة فتوتيار الدين واتساع جماهيره وحاجاته..

نعم اذا كان قصد العالم والحركة الذين يوجهون اهتمامهم الى هذه المشاريع و يقضون اكثر وقتهم وعمرهم فيها ان تكون مقدمات لعمل غيرهم، فهذا امر حسن وجزاهم الله خيرا، ولكن دورهم يكون تهيئة بعض المقدمات لتحريك الامة بالاسلام، وليس تحريكها بالفعل..

الثالث، أياً كان موقع هذه المراكز والمشاريع من العمل الاسلامي، مقدمات ضرورية او ثانوية او نتائج، ومهما كانت ضرورتها وقداستها وثوابها، فما الموجب لأن ينشغل بها العلماء والشباب القيادي للأمة.. أليس الأولى أن يوجهوا اليها بعض المؤمنين الذين يمكنهم القيام بها ولا يمكنهم القيام بعمل التبليغ والهداية والقيادة..

الرابع، ان مجموعة مفاهيم الاسلام عن توجيه الامة وقيادتها، ومجموع سيرة النبي «ص» واهل بيته واصحابه، وسيرة العلماء المجاهدين عبر أجيال الامة الى عصرنا، لا يوجد فيها هذا الحجم الذي يعطيه بعض العلماء والحركات للمراكز والمؤسسات، ولانراهم شغلوا بها انفسهم كما يفعل هؤلاء الاخوان..

واخشى ان يكون انشغالنا بإنشاء المراكز والمؤسسات الاقتصادية واعطائنا لها حجماً في العمل اكثر مما كان يعطيه السلف الصالح.. أن يكون نقصا في توكلنا على الله تعالى وتأثراً بمفاهيم المادية الغربية ونمط عمل رجال كنيستهم وأحزابهم السياسية..

الخامس، أيها انفع بميزان الاسلام: أن يشعر أهل المنطقة المستضعفة التي يعيش فيها العالم أو الشباب الأعضاء في الحركة بأن عالمهم وحركتهم يجمعون لهم التبرعات من أثرياء وحكومات البلدان الأخرى لإنشاء المراكز وتأمين نفقات عوائلهم فيصابون بالإتكال والترهل، أم أن يشعروا بأن عليهم ان يقوموا هم بإنشاء هذا المسجد والمركز الضروري بالتبرع بالدرهم ونصف الدرهم من نفقة عيالهم، وبالعامل بأيديهم، وبما يتييسر لهم من أرض وبناء.. وان عليهم ان يقاوموا السلطة الكافرة و يضحوا في سبيل الاسلام بدمائهم، واذا استشهدوا فإن الله لعوائلهم، واذا سجنوا وقطعت رواتبهم فإن

الله لعوائلهم، وسوف يهيء لهم من جيرانهم وأقاربهم ومن مبادرات الأمة وعلمائها وحركاتها من يقوم برعايتهم، وإذا حدث ان ابتلاههم بالفقر والحاجة فسوف يتحملون ويصبرون حتى يفرج الله من فضله بالغنى والنصر..

ان الآثار السلبية على اهل المنطقة واعضاء الحركة التي يتجه عالمها وقيادتها هذا الاتجاه في الاستقلال والكفاية المالية آثار متعددة وخطيرة، كما أن سلوك الطريق الطبيعي في العمل له آثاره الايجابية المتعددة والمباركة..

مثلا عند ماتقوم السلطة الظالمة بقطع رواتب عدد من العلماء والشباب وفصلهم من وظائفهم بسبب مقاومتهم لها، ونعتبر ذلك محنة وقعت علينا فنقرر انه يجب ان نخفف المقاومة فعلا حتى لا تقوم السلطة بزيادة حجم المحنة، وأن علينا ان نحقق قدرا من الاستقلال المالي لمرحلة المواجهة القادمة، فنتجه الى بعض الأثرياء والحكومات لتمويل مشاريع نوفر بها العمل لشبابنا المفصولين من اعمالهم أو الإنفاق على عوائلهم فإذا نكون صنعنا في هذه الحالة..؟

الواقع اننا نكون حولنا نعمة أنعم بها الله علينا الى محنة وكارثة.. حولنا ورقة بيد الاسلام الى ورقة سلبية.. فبدل ان نجعل إرهاب الحكومة المالي قضية نجتمع حولها العلماء والجماهير ونقض بها مضجع رئيس النظام، نكون قد خضعنا لضغطه.. وبدل ان نحسس جماهيرنا بظلامه علمائهم وابنائهم المجاهدين وندفعهم الى المبادرات لسد حاجتهم حتى لو كان ذلك بجمع التبرعات لهم في المساجد والاسواق بالدرهم وبنصف الدرهم وبشكل علني في صناديق كتب عليها «تبرعات المسلمين للعلماء والمجاهدين المفصولين من وظائفهم» نكون قد تركنا جمهورنا وذهبنا بعيدا..

يقول غاندى «تعلمت من الحسين ان اكون مظلوما فانتصر» ونحن الاسلاميين اولى بان نتعلم من سيرة نبينا «ص» واهل بيته وصحابته وسيرة علمائنا المجاهدين ان نستثمر الظلامه جيدا لنصرة الاسلام ولا نخوّلها الى محنة..

والخلاصة، ان العمل لتحقيق الاستقلال المالي للعلماء واعمالهم الاسلامية امر مهم وحيوي، ولكن بشرط أن نحرك له الأمة ولا نشتغل به عن تحريكها بالاسلام، وبشرط ان يكون دور العالم توجيه المسلمين لإنشاء هذه المراكز والمؤسسات واشرافه

عليها اشرافا عاما، دون ان يباشر القضايا المالية بنفسه إلا عند الضرورة القصوى..

رابعاً: قلّة الشجاعة في بعض العلماء: بشكل عام كان المسلمون في السابق اشجع منهم اليوم، وكان العلماء المجاهدون في طليعة الشجعان، اما في صدر الاسلام فكانت شجاعتهم امثولات كالأساطير، وكانت مع الاسلام سببا لأن يفتحوا عمدة بلاد العالم و يقيموا فيها حضارتهم. ومع أن الأمة الاسلامية اصبحت في هذا القرن مسيطراً عليها مغلوبة على امرها، الا انها مازالت تحتفظ بقابلياتها العظيمة في الشجاعة والحمد لله، فعندما تجد جماهيرها قائداً شجاعاً يتقدم بها في مواجهة أعدائها تتفجر طاقاتها وتسطر صفحات من الشجاعة تذكرنا بصدر الاسلام، وفي طليعتها صفحات شجاعة العلماء.. ان الكفر العالمي الغربي والشرقي لم يواجه وسوف لا يواجه أمة في مستوى شجاعة أمتنا ولا قيادات بمستوى شجاعة علمائها.. وهذا تاريخنا القريب في مقاومته ينطق بمواقف العلماء وجهادهم، ومن خلفهم جماهير الأمة.. وهذا حاضرننا في غرب بلاد المسلمين وشرقها حيث الكفر العالمي يشدد قبضته فتراجع عن الساحة كل أحزاب وزعامات المعارضة العلمانية، وتتقدم المعارضة الاسلامية بقيادة العلماء.. نعم ان الحالة الكلية للأمة والمحصلة العامة تعتبر جيدة والحمد لله، ولكن المستوى المطلوب اسلامياً اعظم منها بكثير..

هناك روح تسري من عالم الدين الى من حوله ومن يتأثر به من المسلمين، فتؤثر فيهم شجاعة واقداماً وتضحية إن كانت، وتحفظاً وتضييعاً للفرص وتخوفاً، ان كانت.. إن طلبية العلم الذين ندرسهم، والمسلمين الذين ندرسهم ونعظّمهم ونحدثهم لا يتربون بالمفاهيم الاسلامية التي نقدمها لهم فقط، فقد لا يبلغ تربيتهم بهذه الحقائق الشريفة والمعادلات العلمية أكثر من نصف القضية، اما النصف الآخر الذي نربيهم به وان لم نشعر، فهو ما تحمله نبرات احدنا من نبضات قلبه وأجزاء روحه وصفات شخصيته الباطنة.. ولهذا نرى ان روح العالم الشجاع المضحي في سبيل الله تسري منه الى من يشاء الله من تلامذته وجهوره، وروح العالم المتردد المتخوف تسري منه الى من يشاء الله من تلامذته وجهوره.. إن عالم الدين ينقل صفات شخصيته الاساسية الى

المسلمين، وكفى بها مسؤولية خطيرة ان يقول له الله تعالى يوم القيامة لماذا خوفت عبادي وثبطتهم عن التضحية في سبيلي وجهاد عدوي..

ولعل من المفيد هنا ان نستعرض العوامل التي توجب نقص الشجاعة في بعض علماء المسلمين، وهي بشكل عام عوامل من تأثيرات مفاهيم الحضارة المادية المسيطرة على العالم، ومن تربية الاسرة وما تغرسه الام والأب في أولادهما، والمحيط الاجتماعي الذي ينشأ فيه أحدنا.. وهي بشكل خاص من تربية المعاهد الدينية والجامعات والحوزات العلمية، تربيتها لطالب العلم أن يطلب الشهادة في سبيل الله، او يطلب الحياة ولو على حساب سبيل الله..

ولكن الأنفع ان نستذكر العوامل التي توجب أن يكون العالم شجاعاً مقداماً لايهاب الموت، محباً للتضحية والشهادة في سبيل الله والاسلام والمسلمين.
فنها، أن يعرف العالم ويشعر بأنه مهما كان قليل العلم كثير التقصير فهو من ورثة الأنبياء صلوات الله عليهم الذين يقول عنهم عز وجل «الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ».

وان نبينا «ص» الذي ورثنا من علمه قد صدع بالاسلام في وجوه المشركين واليهود والنصارى والمنافقين، ولم يخش الا الله تعالى.. فلماذا يخشى احدنا ان يصدع بالاسلام ويبينه على واقعه كاملاً للمسلمين، ويواجه به الكافرين والمنافقين.. لماذا نخشى ان نقول للناس ان الله تعالى انزل هذا الدين ليكون هو المنهاج في الارض، والشريعة، والسيد المهيمن، وان المصدقين به هم اصحاب الارض وحكامها، والقيمون الشهداء على شعوبها.. وان المكذبين به هم اعداء الله واعداء الناس وهم الكفار والطواغيت، وان الذين لا يحكمون بشريعته هم الكفار والفساق او الظالمون، او هم الصفات الثلاث مجتمعة.. وان الذين لا يعملون لإقامة نظامه وتطبيق احكامه مقصرون وعاصون، لا يرضى الله عنهم ولا يقبلهم حتى يعملوا لإقامة دينه وجهاد عدوه..

مادام الاسلام كله حقاً منزلاً، ومادام لا يوجد فكر مقابله يستحق الاحترام، ومادام لا يوجد احد مقابله يستحق أن نخشى منه، ومادام لا يوجد شيء من حياتنا

الدنيا يستحق ان نخشى عليه.. فلماذا نخشى..؟

ومنها، ان علماء المسلمين بحكم كونهم علماء الأمة الخاتمة يملكون من تجارب الشجاعة والتضحية والصمود ما لا يملكه علماء أمة قبلهم.. إن المجموعة الضخمة من تجارب الأنبياء والأئمة والصدّيقين والشهداء والصالحين صلوات الله عليهم من اجيال البشرية هي بين ايدينا في كتاب الله تعالى وسنة نبيه «ص» وكتب التاريخ، وفي ختامها وطليعتها تجارب النبي «ص» وصحابته الأبرار واهل بيته الاطهار.. وفي آخرها تجارب علماء المسلمين الأبطال عبر اجيال الأمة الى تاريخنا القريب والحاضر.. وكلما كانت ثروة المؤمن من التجارب أكبر كانت استفادته منها أكثر، فكيف بالمؤمن القيادي الذي يبحث عن التجربة هنا وهناك ليستفيد منها ويثري بها توجيهه للمسلمين حوله..

لقد كان الأنبياء واصحابهم صلوات الله عليهم يُنشرون بالناشير، ويلقون في الآبار على أسنة الرماح المغروزة فيها، ويلقون في أخاديد النار ومحابس الوحوش... فلا يزيدهم ذلك الا إيماناً وتسليماً.. فهل من الكثير على العالم المسلم الذي يحمل من علم رسول الله «ص» ويلبس زياً يرمز الى زيه الشريف، ان يغضب عليه حاكم لأنه انكر عليه منكره وأمره بمعروف الله، فيضايقه في معيشته، او يطلق الافتراءات والشائعات ضده.

هل يستكثر على احدنا أن يهان في سبيل الله ويؤذى، او يسجن، او يقتل، فتكون شهادته المباركة دفعا لحركة الامة بالاسلام..

ومنها، واقع الأمة الذي يثير في عالم الدين غير الاسلام، وغيره الفطرة الانسانية.. فعالم الدين من أبناء هذه الأمة المستضعفة، يعيش مع جماهيرها ويلمس بيده وقلبه ماحل ويحل بهم من فقر وظلم، وسحق لشخصياتهم، وخنق لحرياتهم، وعشرات المآسي والظلامات التي تدمي القلوب وتفتت الكباد..

ويرى من ناحية اخرى حفنة قليلة مترفة من الفساق العصاة التافهين، تتسلط على المسلمين وتتنعم بأموالهم، لسبب واحد فقط، هو انحرافها عن الاسلام وميلها الى الكفر العالمي الغربي او الشرقي، وخروجها من ولاية الله واوليائه ودخولها في ولاية

أعدائهم.. ويرى من ناحية ثالثة أحكام الله معطلة وشريعته مقصاة واحكام الكفر والظلم والجور تطبق على شؤون المسلمين، من اكبر قضية في العقيدة والحكم، الى اصغر قضية في الشؤون الشخصية.

ويرى من ناحية رابعة ائمة الكفر العالمي يتصرفون في شؤون البلد كما يريدون بواسطة سياستهم التي يملونها على الحاكم، وبواسطة حفنة ابنائهم في البلد الخبراء في سياسة معاداة الاسلام وارهاب ابنائه وقعهم..

إن كل ناحية من هذا الواقع بل كل مفردة فيها، تشير في عالم الدين غير الاسلام وتدفعه الى الجهر بإنكار المنكر ونصرة المسلمين ومقاومة عدوهم.. بل حتى لو كان العمل لتغيير هذا الواقع ليس واجباً مفروضاً من الله تعالى، فإن فطرته الانسانية تدفعه الى مقاومة هذا الظلم والطغيان ونصرة هؤلاء المظلومين المستضعفين..

ومنها، مجموعة مفاهيم الاسلام واحكامه التي يكفي بعضها لأن يجعل عالم الدين شجاعاً مضحياً في سبيل الله محباً للقاءه.. يكفيه اليقين بأن الله تعالى مع عبده المؤمن الذي ينصر دينه وأمة رسوله ويقاوم أعدائه.. معه يسدده، ويمده، ويدافع عنه، وبهيء له انصاراً ولو بعد حين، ويجعل افئدة من الناس تهوي اليه، ويقويه عندما يضعف، وينصره عند ما يشاء.. واذا كتب عليه البلاء في سبيله أعانه عليه، واذا كتب له الشهادة جعلها بركة للمسيرة من بعده، وتقبله بأكرم قبول..

يكفيه أن ينظر نظرة اجمالية في المفاهيم والاحكام المرتبطة بالشجاعة والخوف في القرآن والسنة، ويرى الصور الجميلة الشاحخة التي ترسمها الآيات والأحاديث الشريفة للأبطال الشجعان الصامدين صلوات الله عليهم ورضوان الله عليهم، وفي مقابلها الصور السيئة الممقوتة للخائفين الجبناء الذين يحبون الحياة مع الذل ويكرهون الموت شهداء..



وينبغي أن نؤكد هنا على ظاهرة تأثر المسلمين البارزة بصفة الشجاعة والخوف التي يتصف بها علماء مساجدهم ومحلاتهم او العالم المرجع الذي يقلدونه، او يتصف بها القادة المؤسسون او الفعليون للتنظيم الاسلامي الذي يتربون في حلقاته.. واذا كان

يصح القول ان الناس على دين ملوكهم بسبب تأثرهم بهم من بعض الجهات، فإنه يصح القول ان المسلمين على دين علمائهم وحركاتهم في الشجاعة والخوف، والاقدام والتردد وحب الشهادة في سبيل الله او حب الدعة «في سبيل الله».

خامساً: الطروحات الخاطئة، الفكرية والعملية، الواقع انها نقطة ضعف كبيرة في وضع العلماء المعاصر، أما على الصعيد الفكري اي على صعيد طرح الاسلام نظاما شاملا للحياة ووجوب العمل لإقامته، فإن الجوال العام الحاكم على اوساط العلماء هو الاصاله والحمد لله كما ذكرنا، ولكن ذلك لايعني عدم وجود حالات انحرافية تطرح الاسلام العلماني.

عند ما قام الغربيون بآخر ضرباتهم للكيان السياسي للاسلام واصدروا أمراً بإلغاء الخلافة سنة ١٣٤٣ هـ أثار ذلك غيرة علماء المسلمين وجماهيرهم في انحاء العالم، وقامت ضجة احتجاج وإدانة، بمستوى الوعي والهمة الموجودين في الأمة آنذاك، ونشط بعض العلماء والشخصيات في التحرك لإعادة الكيان السياسي للاسلام بخلافة جديدة أو جامعة اسلامية.. الخ.

في تلك الاجواء قدم الغربيون طرحا منحرفا للاسلام بقلم علي عبد الرزاق احد المتزيين بزّي العلماء فنشروا كتابه «الاسلام واصول الحكم» ليثبتوا به ان الاسلام ليس فيه نظام حكم، وبالتالي فإن المطالبة باقامة خلافة او كيان سياسي اسلامي هو عمل مخالف للاسلام او غير ضروري!

طبعاً لم يؤثر هذا الطرح على اصاله العلماء والجماهير بل أثار نقمتهم، واصبح صاحبه مثلاً للعمالة، ولكنه هو الذي غلب عملياً على فكر انظمة الحكم ومؤسساتها الثقافية الى يومنا هذا، وسيطر بالتالي على أذهان المثقفين المتغربين.

ان الطروحات العلمانية للاسلام او لفصله عن الدولة وان وجدت اليوم في الانظمة وفي المثقفين اليمينيين واليساريين، ولكنها لا توجد في اوساط العلماء الاعداد الشذاذ من ورثة خط عبد الرزاق المكشوف، او في الخط الذي يشابهه عند الشيعة الذي يسمى خط القاعدين لأن اصحابه يدعون الى القعود وانتظار المهدي الموعود

عليه السلام، ولا يوجبون اقامة النظام الاسلامي قبل ظهوره. ولكن كلتا الحالتين الانحرافيتين ليس لها تأثير يذكر على جماهير المسلمين والحمد لله..

اما على الصعيد العملي، اي على صعيد فهم الواقع السياسي العالمي، اوفي بلد معين، اوفهم استراتيجية عمل العلماء والحركات الاسلامية، فإن الطروحات الخاطئة كثيرة، نكتفي باستعراض نوعين أساسيين منها:

النوع الاول، الطروحات المغالية في تقدير قوة الدول الكبرى وقبضتها على بلادنا والمستهينة في نفس الوقت بقدرتنا على مواجهتها..

يتصور اصحاب هذه الطروحات أن الامة الاسلامية واقعة في قبضة اخطبوط هائل، وانه لافكاك لها من مخالبه في المدى المنظور، وان اي محاولة للتنفس تعني تضيق مخالبه علينا، واي محاولة للخروج منها تعني ولادة ارجل جديدة ومخالب جديدة للاخطبوط وتشديد قبضته من جديد..

تقول لهم، مارأيكم بما حققه المسلمون والعلماء في ايران، فيقولون نعم، ولكن أما رأيت ولادة المخالب الجديدة وتشديد القبضة الاستعمارية على المسلمين، ولا بد ان نرى المزيد ايضا..

تقول لهم، ما رأيكم بما حققه الشباب المسلم في لبنان وافغانستان، فيقولون نعم، ولكن انتظر المزيد من تشديد القبضة الكافرة على المسلمين والمزيد من تدمير لبنان وافغانستان..

تسألهم: هل معنى هذا انه لا يجب على المسلمين العمل لازالة السيطرة الكافرة واقامة حكم الاسلام، فيقولون بلى، ولكن مع مراعاة الظروف الموضوعية العالمية، وفي كل بلد.

تسألهم: ماذا يعنون بالضبط بالظروف الموضوعية هذه، فان صارحوك بما في انفسهم قالوا: يعني اننا يجب ان نتعايش مع الباطل الاستعماري ولكن لانعترف به، ويجب ان نعمل على المدى الطويل، وبحكمة بالغة، وان نركز عملنا على الناحية الثقافية التربوية..

احد العلماء القادة في ايران سمي اصحاب هذا الطرح «المرعوبين من القوى الكبرى» وقال انهم بحاجة الى المزيد من معرفة قوتهم والثقة بانفسهم والتوجه الى المعنويات..

لا اعرف بالضبط مدى تأثير هذا التصور الخاطيء للواقع الاستعماري وامكانية مواجهتنا له، على ذهنية قيادات الحركات الاسلامية المعاصرة في بلادنا الاسلامية وعلى العلماء الذين عملوا فيها او تأثروا بأفكارها.. ولكني لمست تأثيره علينا في حركة الدعوة الاسلامية، فقد كان هذا التصور للإستعمار والأمة هو المسيطر في النجف في أواخر الخمسينات ميلادية، وفي ظله تأسست حركة الدعوة على فكرة المراحل الأربع الفكرية ثم السياسية ثم القيادية ثم الحكيمة او التطبيقية، وأعطى المؤسسون رضوان الله على الشهداء منهم للمرحلة الفكرية منها اكبر حجم اعطته حركة اسلامية للناحية الفكرية على الاطلاق، ثم اكدنا نحن كتاب ثقافة الدعوة وقيادتها هذا الحجم الخيالي..

كنا نتصور، مضافا الى المبالغة في قدرة القبضة الاستعمارية، أن الأمة قد تخلت عن ثقافتها وان القضية تحتاج الى بناء امة داخل الأمة، وأن هذه الأمة الجديدة هي تنظيم الدعوة، وان المرحلة الفكرية او مرحلة البناء تحتاج الى عمل فكري لمدة ثلاثين او خمسين سنة او اكثر حتى نحقق منها الهدافين المطلوبين: هدف بناء الكتلة المنظمة او الأمة داخل الأمة التي تعلن عن نفسها يوما وتستطيع مواصلة عملها بشكل علني.. وهدف بناء الاوساط المؤيدة لهذه الكتلة من الامة التي تناصر عملها عند ما تعلنه وتدخل معها في المرحلة السياسية..

كان هذا الطرح يمثل في نظرنا اعماق الفهم لواقع الاستعمار والامة والحركة المطلوبة منها..

وكانت معادلته تقول:

القبضة الاستعمارية قوية جدا بحيث يستحيل البدء بالمواجهة واعلان الطرح الاسلامي.

يجب ان يكون الاعلان بحركة مباغته يقوم بها التنظيم المبني تحت الارض

وان تكون حركة مذهلة للعدو بحيث لا يستطيع القضاء على التنظيم ومنعه من مواصلة عمله..

بناء القوة المباغته يكون باحتضان الدعاة في حلقات الدعوة وتثقيفهم بنشراتها الداخلية والكتب المتبناة، وبنشاطهم الفكري لكسب افراد جدد، والقيام بالتوعية الفكرية في الامة، ولكن كل ذلك بدون القيام بأي نشاط سياسي.. ومهما استغرقت فترة البناء هذه ثلاثين او خمسين او مئة سنة فلا بأس، لأن الكتلة التي يتم بناؤها هي رأس المال وهي العملة الصعبة والاساس لكل مايكون في المراحل الآتية..

الامة لا تتبنى الحل الاسلامي ولا تتحرك الا بأن توجد فيها امة متغيرة هي التنظيم، فاذا اعلن التنظيم عن نفسه وطرحه الاسلامي تبدأ اوساط من الامة بتأييده ومناصرته في معركته السياسية غير المسلحة..

من اين جاءتنا هذه المبالغة في تقدير قبضة الاستعمار وان الامر يحتاج الى نصف قرن او قرن حتى نستطيع ان نعلن عن انفسنا ونقول له يا استعمار نحن موجودون ونريد الاسلام!

ومن اين جاء هذا الاعتماد المفرط على الكتلة المنظمة وفعلها السحري في اليوم الموعود او الظرف الموعود يوم تعلن عن نفسها وتبدأ مرحلتها السياسية.. من اين هذا الاتجاه النخبوي الذي يركز على قيمة الكتلة ودورها، ويقلل شأن ام ابى من قيمة الامة ومجراها هيرها ويجعل دورها ثانوياً..؟

من اين جاءت فكرة الحركة المباغته بعد عمر طويل في البناء..

وهل يكون مثل هذا العمل الفكري التنظيمي بناء لامة داخل الامة، ام حشداً لأفكار وكتب في اذهان عدد من الناس.. وهل يمكن بناء القاعدة والكوادر بغير الممارسة العملية للصراع السياسي والفكري والعسكري مع اعداء الاسلام..؟

اصل المشكلة في هذا النوع من الطروحات في اعتقادي هو الرعب من قوة الاستعمار الكافر من دون ان يقابله الثقة بقوة جماهير الامة واصالتها وفهمها.. هو الاتجاه الى التنظيم والطلعية والنخبة بدل الاتجاه الى جمهور الامة من الفقراء والمستضعفين أولاً.. والاتجاه الى الحركة المباغته بدل الحركة الطبيعية، والاتجاه الى

تربية الكتلة في المحاضن النظرية بدل تربية الامة بحركة الصراع..

في اعتقادي أن هذه الرؤية المفرطة في قدرة الاستعمار وعجز جماهيرنا المسلمة هي المسؤولة عن عدد من الطروحات التي صبت جهودها على الكتلة بدل الأمة وعلى الناحية الفكرية بدل الناحية السياسية والعسكرية..

سأل أحد العلماء عالماً لبنانياً من أصحاب هذه الرؤية:

- لماذا لا تطرحون حكم الأكثرية المسلمة في لبنان؟

- الظروف الموضوعية العالمية والمحلية لا تسمح بذلك.

- وهل إذا وضعت فرنسا اساساً وقالت ان الاقلية المسيحية يجب أن تحكم

الأكثرية المسلمة يجب أن نتبعها؟

- لا يجب، ولكن الأمر يحتاج الى تهيئة مقدماته.

- وما هي مقدماته بنظركم؟

- تهيئة أرضيه واعداد فكري للمسلمين على مدى طويل، وترقب ظروف عالمية

ومحلية مؤاتية..

- يعني أننا نرضى الآن بحكم المسيحيين الى مدى طويل قديكون خمسين سنة او

مئة سنة..؟

- لا اقول نرضى بالباطل ولا نعطيهِ الشرعية ولكن نتعايش معه..

- أيها السيد، الظروف الآن مؤاتية، والعالم لا يستطيع أن يقف في مواجهة طرح

حكم الاكثرية في أي بلد، والأقلية المسيحية حقوقهم محفوظة وفق الاحكام الشرعية

الاسلامية.. أنا أتعجب من حالتنا، أعداؤنا اليهود كانوا يسيطرون على ٦٪ من أرض

فلسطين وطرحوا الحكم اليهودي في بلادنا ونفذوه، وهم اليوم يطرحونه من الفرات الى

النيل، ونحن نخاف أن نطرح الحكم الاسلامي في ارضنا وبلدنا ونحن الاكثرية..

إن جماهير المسلمين في لبنان تتحرك وتتقدم وقد طرحت حكم الاكثرية، ونرجو

أن تساعدوها في حركتها ولا تكونوا عائقاً أمامها..

ومنها، الطروحات التي تتجه الى إصلاح النظام القائم على أساس غير إسلامي

على أمل تحويله الى نظام اسلامي، إما بالأمل في رأس النظام أن يصبح رجلاً صالحاً ويطبق الاسلام وإما بمشاركة العلماء والحركة الاسلامية في بعض الوزارات والمناصب الحكومية ليستطيعوا بذلك التأثير على مجرى الأمور وتشريع القوانين وتقريبها من الاسلام مهما أمكن، أو ليستفيدوا من مراكزهم حمايةً وقوةً للحركة الاسلامية.. الخ.

لا أقول إن هذه الطروحات بكل أنواعها وحالاتها حرام، فلا أعرف من يفتي بجرمتها من علماء المذاهب الأربعة ماعدا حركة الشهيد مصطفى شكري التي عرفت باسم حركة التكفير والهجرة.. وفي فقها الشيعة حكمها الشرعي يتبع المصلحة التي يقدرها ولي الأمر، فقد تكون المشاركة في النظام الجائر عملاً محرماً أو مباحاً أو واجباً.. وفي سيرة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام نجد هذه الحالات الثلاث، وفي فتاوى فقهاء المذهب ايضاً.. فالمسألة تعود إلى نوعية النظام، والظرف السياسي، وحالة الحركة في الأمة، ونوعية الشخص أو الاشخاص المشاركين.. الخ.

ولكن الخطأ في هذه الطريقة في عصرنا أنها تنطوي عادةً على واحد من ثلاثة أخطار حقيقية على العمل الاسلامي، وقد تجتمع الأخطار الثلاثة جميعاً:

الخطر الأول: الإفراط في الأمل في تقدير قابلية النظام للصالح أو قدرته على ذلك إن أراد.. والإفراط في تقدير قدرة الوزير أو الوزراء في النظام غير الاسلامي على التأثير والاصلاح..

فرؤساء هذه الأنظمة المعاصرة هم من النوعية المتغربة التي لا ترى العالم والأشياء إلا بالمعادلات الغربية وبالمنظار الغربي، أي من الشخصيات المسحوقة حضارياً التي يقرب شفاؤها من المستحيل.. وأحدهم مضافاً الى ذلك أسير لمجموعة أشخاص يحيطون به أو يتصلون به كثيراً أو قليلاً، يكونون هم أصحاب الكلمة والقوة الحقيقية، ويكون هو الواجهة، أو يكونون أصحاب تأثير كبير عليه.. من قبيل كبار مستشاريه أو كبار الرأسماليين أو ضباط الجيش ومسؤولي البعثات الغربية في البلد.. الخ، وهؤلاء يمنعون من الصلاح إذا هو أراد..

واما هذه الحكومات فَمَثَلُ المشاركة فيها كَمَثَل المشاركة في فيلم أو مسرح لا يملك

المتدينون فيه إلا بعض الممثلين، فكان المسرح وعماله، وكاتب السيناريو، والمخرج، وأكثرية الممثلين هم من غير المتدينين أو من خصومهم.. فقدرة المشاركين المسلمين على التأثير تكون محدودة جداً أو معدومة.

الخطر الثاني، أن تكون هذه الطريقة على حساب العمل الجماهيري لإقامة النظام الاسلامي، وهو أمر يحدث عادة، إذ يشترط النظام على العلماء والحركة الاسلامية أن يمنعوا المسلمين من القيام بأعمال المعارضة والضغط على السلطة، أو يقوم العلماء والحركة أنفسهم بمنع الناس منها، أو تخفيف اندفاعهم، من أجل الحفاظ على المكاسب المتصورة من مشاركتهم في الحكم، أو يشعر الناس أنفسهم بأن عليهم المدارة والتريث وتخفيف معارضتهم انتظاراً لتمكن من يمثلهم في الحكم من تحقيق مطلبهم في الحكم الاسلامي أو بعض المطالب في طريقه.. وأكثر ما يحصل الإضرار بالحركة الاسلامية الشعبية عند ما يشارك قادتها ورموزها المعروفون في السلطة فيشعر الناس كأن هدفهم تحقق ووصل زعيمهم أو زعمائهم الى مركز القرار السياسي، أو يشعرون بالإحباط وخيبة الأمل من زعيمهم أو تحركهم الذي لم يحقق شيئاً ملموساً..

الخطر الثالث، خطر احتواء الحركة وضررها.. فعند ما تثبت الحركة الاسلامية قوتها ولا يستطيع الاستعمار القضاء عليها فلا شيء أحب اليه من أن تدخل في المساومة وتشارك في نظامه غير الاسلامي، وهو يحرص أن تكون مشاركتها بقيادتها الحقيقية من العلماء الذين تثق بهم جماهير المسلمين أو قيادة تنظيمهم.. وأول هدف يحققه بذلك أن يقبل هؤلاء الأعداء المتعصبون الذين يريدون طرده من البلد، أن يقبلوا الأخذ والعطاء معه ويدخلوا الى ناديه وبيته فيعرفهم عن قرب، ويكتشف نقاط الضعف فيهم، ويبدأ في عملية إسقاطهم في أعين جمهورهم، وتمييع حركتهم.. ومطلبهم المستحيل.

إن حركة المسلمين ما دامت حركة شعبية بعيدة عن المشاركة في النظام الكافر، وبعيدة عن التفاوض معه أيضاً، فهي تملك قوة خاصة وهيبة خاصة في نفس المستعمر والنظام، وتبقى رعباً موحشاً له، لأنه لا يستطيع أن يقدر قوتها الحقيقية فعلاً أو تطور قوتها عند أي منعطف.. أما إذا شارك زعمائها في حكومته فإن الأمر يعني عنده

انحلال اكثر المشكلة، فما كان مرعباً مجهولاً عنده سيصبح مكشوفاً، وسيجد فيه نقاط ضعف مثالية..

على أي حال ينبغي أن يكون واضحاً لدينا أننا بالمشاركة في حكومات الأنظمة غير الاسلامية حتى في الحالة التي نراها أحسن الحالات، فإننا نقدم للعدو مكاسب عظيمة جداً لم يكن يحلم بها أو يستطيعها.. نعطي اعترافنا بإمكانية التعايش معه ولو مرحلياً، ونعطي القدرة على كشفنا والإمساك بنقاط ضعفنا، ونعطي ما هو أغلى من ذلك جميعاً وأخطر: القدرة على تنفيس حالة الغضب الجماهيري، لأننا نفتح له الباب لخداع المسلمين وإسقاط قيادتهم وتمييع ثورتهم..

إن ملاحظة مجموعة الآمال التي عقدها العلماء والحركات على إصلاح رؤساء الأنظمة والملوك في مشرق البلاد الاسلامية ومغربها ابتداءً بالملك فاروق وإلى الملوك والرؤساء المعاصرين، وملاحظة تجارب المشاركة في عدد من الحكومات والهيئات الحكومية وآخرها تجربة المشاركة في حكومة النخيري.. تكشف لنا أن ربح الاسلاميين من المشاركة في الحكم لم يكن يوماً أكثر من خسارتهم..

نعم ينبغي أن لا ننسى الفرق بين مشاركة الاسلاميين في الوزارات والمناصب الحكومية التي هي جزء من الجهاز التنفيذي للنظام، وبين مشاركتها في المؤسسات ذات الصيغة التمثيلية للمسلمين من قبيل المجالس النيابية والبلدية والنقابات الرسمية والهيئات التأسيسية للدستور.. فإن المشاركة في هذه المؤسسات أقل ضرراً من المشاركة في الحكومة بشرط أن يكون لها دورٌ حقيقي في صنع القرار، وقدرة معتدٌ بها في الرقابة على الحكومة والتأثير عليها.. أما إذا كان دورها شكلياً محضاً كما في العديد من الأنظمة فإن المشاركة فيها لا تختلف كثيراً عن المشاركة في السلطة التنفيذية..

المؤسسة العلمائية عند الشيعة وعند السنة

ولاية الفقيه في فقهاء الشيعة تعني انه لا يوجد فراغ في القيادة السياسية الاسلامية حتى عند ماتعطل الخلافة والامامة ولا يبقى للمسلمين دولة او كيان سياسي..

فالفقيه الجامع للشرائط في كل عصر «المرجع» هو ولي الأمر والامام الشرعي، وحكمه نافذ حتى على الفقهاء المجتهدين الآخرين..

وإذا وجد عدة فقهاء في عصر واحد، وكان كل واحد منهم في نظر مؤيديه جامعاً لشرائط التقليد والمرجعية، فالفقيه الذي يتصدى للقضايا العامة وإدارة الأمور له ميزة في فقهاء الشيعة بحيث أن سيرة فقهاءنا رضوان الله عليهم جرت على الاحتياط وعدم التصدي للقضايا القيادية مادام يتصدى لها فقيه جامع للشرائط.

أما إذا قام هذا الفقيه بمقاومة السلطان الجائر وأقام دولة إسلامية، فله ميزة فقهية أكبر، لأنه يصبح حاكماً شرعياً مبسوط اليد، وتصبح الدولة التي أقامها كيانا شرعياً يحرم إضعافه، وتجب تقويته، والمحافظة عليه.. هذا مضافاً إلى الرأي الفقهي القائل إنه يجب على أهل الخبرة والحل والعقد أن يعينوا الفقيه ولي الأمر في كل عصر.

وعليه فإن ولاية الفقيه تعني لعلماء الشيعة أن عليهم دائماً أن ينتظموا تحت قيادة الفقيه المرجع، خاصة إذا تصدى للقضايا الاجتماعية والسياسية، وبالأخص إذا قام بالأمر.. وبذلك يكون الجهاز العلمائي الشيعي محدد القيادة والعلاقات.. وقد جرت سيرة المراجع على اعتماد نظام الوكلاء، فالعلماء في البلاد والمناطق الشيعية في العالم هم بشكل عام وكلاء للمرجع ولي الأمر، كل بحسب مستواه العلمي ومحيطه العملي.. وقد جرت عادة الشيعة على أن يسألوا عن العالم هل معه وكالة أو إجازة من المرجع، وما هو مستواها وحدودها، فمنها الإجازة بالاجتهاد والقضاء، أي أن يقضي بين الناس باجتهاده ورأيه.

ومنها الوكالة بالقضاء، أي أن يقضي بين الناس حسب فتوى المرجع.
ومنها الإجازة في الحديث أي أن يروي عن المرجع ما صحت له روايته عن سلسلة شيوخه وصولاً إلى الأئمة والنبي «ص».

ومنها الوكالة في قرية أو منطقة بالإرشاد وتبليغ الأحكام وإمامتهم في الصلاة.
ومنها الوكالة بتولي الأوقاف وولاية من لا ولي من الأيتام وما شابه..
ومنها الوكالات المالية بقبض الزكاة والخمس والنفوس والكفارات وما شابه، التي تسمى الحقوق الشرعية أو الوجوه الشرعية، وأن يصرفها حسب نظره، أو يصرف

ربعها أو ثلثها أو نصفها حسب نظره، ويسأل المرجع عن صرف الباقي، أو يرسلها إليه أو الى وكالة العام في البلد، وما شابه.. وتسمى هذه «الوكالات في الأمور الحسبية».

ومنها الوكالات في الأمور الاجتماعية والسياسية، بأن يكون أحد العلماء أو عدد منهم وكلاء للمرجع أو ممثلين له في إدارة أمر، أو جميع الأمور.. الخ. فالعلماء عند المسلمين الشيعة وإن كانت لهم مكانة محترمة كل حسب تأثيره وعلمه، ولكن مكانتهم الأساسية تأتي من توثيق المرجع وتوكيله لهم.. فالعالم الذي لا يثق به المرجع يسقط عن الثقة أياً كان مستواه العلمي، والعالم الذي عنده وكالة من المرجع يثقون به ويأخذون منه فتوى المرجع، ويستجيزون منه صرفها أو صرف قسم منها، حتى لو وجد عالم غيره أعلم منه وأقرب اليهم وليس عنده وكالة.. أما ممثل المرجع في القضايا الإدارية والسياسية، فله تقدير خاص، لأنه ممثل لولاية الفقيه وأمره ونهيه في القضايا وتقييمه للأشخاص يعتبر حكماً شرعياً..

وبصورة عامة، فإن المسلمين الشيعة يرتبطون بالمرجع في أخذ الأحكام الشرعية منه، فالعلماء يدرسونهم فتاواه أو «الرسالة العملية» التي يكتبها وهي كتاب مركزي في كل أبواب الفقه أو أغلبها، أما المسائل التي لا توجد في الرسالة فيسألون عنها وكلاءه، أو يرسلون اليه رسائل الاستفتاء..

ويرتبطون به في قضاياهم المالية فيدفعون الى وكلائه الحقوق الشرعية والتبرعات..

ويرتبطون به في قضاياهم الاجتماعية والسياسية فيأخذون منه ومن ممثليه الخط والمواقف السياسية..

وهذا تكون مشكلة الهيكلية العملية للجهاز العلمائي محلولة عند الشيعة من ناحية فقهية، ومن ناحية ترسخها في حياة العلماء والناس.. فنظرية المؤسسة العلمائية موجودة فقهياً وممارسةً، وإنما تحتاج من المرجع الى الإجراءات التطبيقية من التوسيع والتنشيط ورفع المستوى العلمي والعمل وما شابه.. ومن الطبيعي أن تكون لها مشكلاتها في هذا المجال، ولكنها تبقى مشكلات تطبيقية، أو من فعل التدخلات

السياسية لأعداء الاسلام، ويبقى المبدأ العام المسلّم به عند العلماء والناس مبدأ المرجعية ووكلائها وارتباط الجماهير بها.

وقد كانت المشكلة عند المسلمين السنة محلولة أيضاً عبر أجيال الأمة، فكان قاضي القضاة أو شيخ الاسلام في كل بلد يشبه المرجع عند الشيعة، وكان القضاة وأئمة الجمعة يشبهون وكلاء المرجع، لأنهم جميعاً يرتبطون بقاضي القضاة ويتم تعيينهم واعتمادهم من قبله.. وكان شيخ الطريقة الصوفية في المناطق التي تترسخ فيها الطرق، وممثلو طريقته في الزوايا المنتشرة في البلدان، يشكلون هيكلية جهاز علمائي أيضاً، بشكل وآخر..

ولكن عند ماسيطر الغزاة الغربيون على بلادنا وأقاموا فيها أنظمة على أساس غير الاسلام، ألغوا القضاء الشرعي في أمور المسلمين الاجتماعية والسياسية المختلفة، وحصروه في الاحوال الشخصية، فضربوا بذلك موقع العلماء القضاة، وقللوا عددهم الى حد كبير، ونشطوا للقضاء على الحواضر العلمية الرئيسية مثل الأزهر والزيتونة والقرويين، وعلى المعاهد الشرعية والمدارس التي كانت منتشرة في أنحاء البلاد لتخريج العلماء والقضاة والخطباء، فأضعفوا مكانتها ومحتواها وقلصوا عددها وأعداد طلابها.. وكان ذلك ضربة كبرى للجهاز العلمائي عند السنة لم تعوض الى اليوم.

نعم يوجد في عصرنا لعلماء المسلمين السنة أجهزة في عامة البلاد بشكل وآخر والحمد لله، ولكن مشكلة العالم السني أنه يجد نفسه جزءاً من جهاز لا يحقق طموحه في توعية المسلمين والعمل لاقامة الحكم الاسلامي.. فسؤولوا هذا الجهاز يقيّدون حريته ولا يسمحون له بالعمل حسب علمه وقناعته.. فالجهاز القضائي يرأسه كبير القضاة، ووكيل وزارة العدل ووزير العدل، والجهاز التعليمي في المعاهد الدينية والكليات الشرعية يرأسه وزير التربية ووكلاؤه، وجهاز الخطباء وأئمة المساجد يرأسه وزير الأوقاف ووكلاؤه.. وهؤلاء المسؤولون هم في الغالب جزء من النظام القائم على غير الاسلام، فكيف يسمحون للعالم أن يقوم بتوعية المسلمين على مسؤوليتهم في إقامة الشريعة الاسلامية، ومقاومة أعداء الاسلام.. بل نراهم يأمرّون العلماء دائماً

و يشددون عليهم أن يكتموا عن المسلمين ما أنزل الله تعالى في شأن النظام الحاكم، وانحرافه عن الاسلام، وظلاماته للمسلمين، وارتباطه وتبعيته للعدو الكافر، بل يطلبون منهم أن يمدحوا رئيس النظام، ويضخّموا حسناته الواهية، ويسكتوا عن سيئاته الكبرى، وفي طليعتها غصبه لمنصب حكم المسلمين..

إن عقد الأمل على هذه الاجهزة أن تصلح، وتنهض مع الجماهير في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد لإقامة الحكم الاسلامي، ومقاومة الكفر العالمي.. يشبه المستحيل، وغاية ما يتوقع منها أن تكفّ عن ممارسة الإرهاب المالي ضد العلماء وأن تكف عن تقييد حريتهم في أن يبيّنوا للمسلمين ما أنزل اليهم من الكتاب والسنة والفقه.. وهي مكاسب ترتبط بضغط العلماء على هذه المؤسسة، وترتبط بحركة الاسلام في الأمة وفي البلد، وبالصحوة الاسلامية العالمية المباركة التي بدأت تجبر الحكومات على تخفيف قبضتها على الأجهزة العلمائية..

إن الحل العملي للمشكلة هو ما يفعله العلماء المجاهدون في عدد من بلاد المسلمين من اعتماد نظام الجماعة والإمرة أو الحركة والإمرة، حيث تتلاقى جماعة من المهتمين بأمر المسلمين والعمل، على صعيد محلة أو مدينة، أو بلد، فيبايعون أحد العلماء بالإمارة ليقود عملهم الاسلامي على كتاب الله تعالى وسنة نبيه «ص» واجتهاد رأيه، أو يقومون بإنشاء حركة بإمارة أحد العلماء، أو يقوم عدد من العلماء بمبايعة أحدهم بالإمارة ويعملون معه في صفوف المسلمين..

إن حركة الإمارة والجماعة هذه لها أرضية وقبول في الأمة، وعند ما تكون مؤطرة سياسياً وغير مؤطرة تنظيمياً فإنها تكون ميسرة أكثر، وتلاقي من الناس قبولاً أكثر.. وكلما تقدمت حركة الاسلام في البلد في مراحلها الجهادية، كلما تبلورت تجربة العلماء أمراء الجماعات، وازداد تقارهم ولقاءاتهم، حتى يحقق الله تعالى وحدتهم فيؤلفوا هيئة شورى، أو مجلساً لقيادة المسلمين، أو يبايعوا أحدهم بالإمارة العامة..

إن كل الدلائل تشير الى أن المستقبل في بلادنا الاسلامية هو للعمل العلمائي المسجدي الجماهيري، وأن مجموعة العلماء المجاهدين الذين يقودون هذه الصحوة الاسلامية المباركة هم البديل عن هذه الأنظمة الضعيفة المتغربة.

وفي نفس الوقت الذي نركز فيه على اعتماد طريقة أمير الجماعة وأمير الحركة باعتبارها الوحدة الأساسية المجاهدة في الأمة، والتي تمثل طريقة حزب الله، وعلى وحدة العلماء المجاهدين أمراء الجماعات.. فإن وجود أي صيغة تحقق أي مستوى من الوحدة والتعاون بين العلماء في منطقة ما أو بلد ما أو في العالم، هي مكسب اسلامي مهم، مادامت نابعة من العلماء ومن الاسلام.

وخلاصة القول أن المؤسسة العلمائية الشيعية بحاجة الى جهود في تطبيق نظريتها الفقهية، نظرية المرجع و ولاية الفقيه والوكلاء والمندوبين.. بينما تحتاج المؤسسة العلمائية السنية الى حركتين معاً، حركة الضغط على المؤسسات الحكومية لترفع قبضتها المالية والمعنوية عن العلماء، وحركة إنشاء وتركيز المؤسسة العلمائية المجاهدة التي تقود جماهير المسلمين لإقامة حكم الاسلام..

الأساس الثاني

تحديد العدو وتركيز النظر عليه

ضرورة تحديد الكافرين والمنافقين في عصرنا

يتصور بعض السياسيين وبعض العاملين للإسلام أن من الحكمة أو الحنكة السياسية أن لا نسمي الدول الكافرة المعادية لنا جميعاً لكي لا نثيرها كلها ضدنا، ثم لا نستطيع أن نواجهها دفعةً واحدة، فتراهم يتكلمون بالعموميات أو يسمون بعضها دون بعض حسب ما يتصورونه مصلحة.. وهو اتجاه خاطيء ضرره أكثر من نفعه، لأننا إذا لم يكن عندنا جرأة على إعلان أساء أعدائنا ولعنهم والبراءة منهم فكيف نستطيع أن نقاومهم.. إن التقية والحكمة والحنكة السياسية تكون في أساليب مواجهتهم وجهادهم لعنهم الله، أما في أصل إعلان عدائنا لدول الكفر العالمي فلا تقية فيه ولا مصلحة سياسية، بل هو ضعف وتراجع عن مجاهرة العدو بالعداء.. وهذا كتاب ربنا تبارك وتعالى يسميهم ويلعنهم ويأمرنا بمعاداتهم والبراءة منهم.. وهذا نبينا «ص» كان يسميهم ويلعنهم ويبرأ منهم، بل ورد أنه «ص» كان يسمي زعماءهم بأسمائهم ويلعنهم في القنوت في بعض صلواته وفي أدعيته..

نعم قديقتضي المقام أن نقدم بعضهم على بعض، أو نركز على بعضهم دون بعض، أو نذكرهم بأساء وصفات عامة تشملهم جميعاً، أو تشمل قسماً منهم.. الخ. ولكن عند الحديث عن أعداء الإسلام والمسلمين يجب أن نحدد لهم كما حددهم القرآن بالكافرين والمنافقين، أو باليهود والنصارى والمشركين والمنافقين، ونحدد لهم بأسمائهم اليوم بأمريكا وروسيا وفرنسا وبريطانيا وإسرائيل، وحفنة المنافقين التابعين لهم في

بلادنا الذين يقفون في وجه اقامة حكم الاسلام..

إن هذا التحديد ضرورة عقائدية وضرورة عملية أيضاً، لأنهم في عصرنا يعملون لإخفاء أنفسهم وأعمالهم العدائية، في مطلع هذا القرن وبعد أن غزوا بلادنا وسيطروا عليها استعملوا أسلوباً جديداً لإدامة سيطرتهم، فاعتمدوا على المنافقين من أبناء المسلمين وسلموهم حكم البلاد في الظاهر، بينما أجهزتهم السرية، وخططهم الثقافية، وأنظمتهم المالية، وتهديدهم العسكري، هي التي تتحكم في شؤون بلادنا ومصيرنا.. فهم يأملون بهذا الأسلوب الذي يسمونه «الاستعمار الجديد» أن يخدعونا بأننا نحكم أنفسنا، وبأنهم لا طمع لهم في أرضنا وثرواتنا، وبأنهم لا يتحملون مسؤولية ما يجل بنا، ولا يعملون للقضاء على ديننا وحضارتنا..

ولكن خدعتهم أخذت تنكشف لشعوبنا والحمد لله، وأصبح حتى الأطفال وأهل البوادي في البلد المسلم يعرفون أن حاكمهم وجماعته ما هم إلا أشخاص ينصبهم العدو الكافر متى يشاء، ويعزلهم متى يشاء، وأن أمور البلد وإن كانت بيدهم في الظاهر فهي في يد العدو الكافر في الواقع.. يعرفون أن ما يسمى الدول الكبرى امريكا وروسيا وبريطانيا وفرنسا ومعها إسرائيل هي التي تسيطر على سياسة بلادنا وثرواتها وقوانينها وشؤونها، وأن جماعة الحكام والسياسيين مهما تكلموا بالاستقلال والوطنية والقومية والدين، فهم جماعة ضعفاء تابعون لهذه الدول الكافرة وشركاء معها في ما يجل بنا.. إن خدعة أعدائنا في هذا العصر وإن كانت مكشوفة في أصلها لجاهيرنا، ولكننا بحاجة الى تحديدهم وتسميتهم دائماً، ومساعدة جماهيرنا على اكتشاف أفعالهم في بلادنا، وسياساتهم الشيطانية، لعنهم الله.

الحب في الله والبغض في الله

عند مانقرأ شيئاً من الآيات والأحاديث الشريفة المتعلقة بأعدائنا اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين، نعرف كم نحن مقصرون في بغضهم وعدائهم وجهادهم لعنهم الله وخذلهم.. ونعرف أن الحب في الله والبغض في الله مبدآن أصيلان نابعان من القرآن المجيد، وجناحان يخفق بهما قلب المسلم، ونوران ينظر بهما

الى أعدائه وأوليائه، وضرورتان لصحة إيمانه وصحة حياته أيضاً..
 إن الله تعالى جعل في الانسان طاقة حب لكي يصرفها في حبه تعالى وحب
 أنبيائه وأوليائه وأفعال الخير.. وجعل فيه طاقة بغض لكي يصرفها في بغض أعدائه
 تعالى وأعداء عباده وأفعال الشر.. ويبدو أنها طاقتان متقابلتان عند التطبيق،
 فبمقدار ما يحب الله تعالى وأوليائه نكره أعداءه وأفعالهم، والعكس صحيح..
 ولذلك نلاحظ أن المسلم الذي لا يبغض أعداء الاسلام المعاصرين بالمستوى
 المطلوب لا يستطيع أن يحب المسلمين بالمستوى المطلوب.. بينما الذي يوجه تفكيره
 وبغضه الى أئمة الكفر العالمي لعنهم الله، والى حقدهم على الاسلام وأمته، وسياساتهم
 الشيطانية ضدنا، وجرائمهم وفسادهم في بلادنا.. يصبح قلبه نابضاً بحب المسلمين
 كل المسلمين على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم وبلادهم وألوانهم، فتراه يغمر أخاه
 المسلم بعاطفته وحب، مجرد أنه مسلم يحمل في قلبه نور الشهادتين، ولمجرد كونه واحداً
 من أبناء هذه الأمة المباركة المظلومة، التي يعاديها الكافرون والمنافقون و يصبون عليها
 أنواع الظلم والقهر..

المسلمون طيبون

وعندما نقرأ أو نسمع أو نرى شيئاً من بغض أعدائنا وعداوتهم لديننا ونبينا
 وشعوب أمتنا.. نعرف كم نحن بسطاء، وكم نحن مقصرون في بغضهم وعدائهم
 وجهادهم..

وعند ما نسمع طرفاً مما يتكلمون به في مجالسهم عنا وعن نبينا وديننا، وعما يربون
 عليه أولادهم من بغضنا والحقد علينا.. نعرف كم نحن مقصرون في بغضهم وعداوتهم
 وجهادهم..

سمعت أن الشهيد سيد قطب رحمه الله كتب مشاهداته في أمريكا في كتاب
 باسم «أمريكا كما رأيت» وأن السلطة صادرت نسخته الأصلية ومنعت طباعته، وأنه
 ذكر فيه زيارته لبعض المؤسسات الثقافية الأمريكية التي تفتح دورات للطلاب في
 العطلات الصيفية، وتغريهم بوسائل اللهو واللعب، وتعرض عليهم أفلاماً ماسية مشوهة عن

المسلمين وبلادهم ودينهم، فتعلمهم كرهنا وعداوتنا والحقد علينا.
 وكنا في مدينة فيها قلة قليلة من النصارى وكان لنا جارٌ منهم، وقد أظهر هو وعائلته عند ما جاورناهم الشيء الكثير من أخلاق التقرب والتودد والنفاق، حتى خجلنا منهم.. وبدأنا نحبههم أو نألفهم.. وفي الأسبوع الثاني كانت طفلتهم التي عمرها ست سنوات تلعب مع اطفالنا يتفرجون على صور في كتاب، فلما رأت صورة مسجد أظهرت التقزز منها كما يُتقزز من القذارة، فسألها أطفالنا لماذا، فقالت: لأنه مسجد المسلمين لأحبه، إنه قذر! فقالوا لها نحن مسلمون، فقالت: وإن كان! فتذكرت قول أصدق القائلين عز وجل «هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ» ١١٩- آل عمران.
 إن مما نلاحظ في آيات القرآن الكريم المتعلقة بأعدائنا أنها لا توجد فيها آية واحدة تقول لنا إنكم سيئوا الظن بالكافرين والمنافقين فأحسنوا بهم الظن، بل نراها تقول لنا دائماً، إنكم طيبون عاطفيون تحسنون بهم الظن، فلا تكونوا ساذجين، إن صدر رهم تغلي بالحقد عليكم لسبب وحيد: أنكم آمنتم بالله ورسوله.. «قَدْ بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَقْوَائِهِمْ وَمَاتُخِفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ» ١١٨- آل عمران.

تحديد العدو وتركيز النظر عليه مفتاح كل خير

إن هذا المبدأ الاسلامي الذي تتبناه طريقة حزب الله وتؤكد عليه ليس ضرورة عقيدية فقط، ولا ضرورةً عادية للعمل الاسلامي، بل ضرورة على مستوى قضية الأمة الكبرى، قضيتها السياسية في العالم.. فلاحل لمشاكلنا الداخلية والخارجية الابتعاد عن العدو وتركيز النظر عليه، واستئناف مقاومته من جديد..

إن كل جهود التوعية والتربية والوعظ والارشاد، لا تؤثر في عودة الأمة الى الاسلام كما يؤثر فيها تحديد العدو ومواجهته..

وكل جهود التقريب بين المسلمين والعمل لتوسيع أفقهم ورفع اختلافاتهم، لا تؤثر في توحيدهم مثل تحديد العدو ومواجهته.. وكل الجهود لبناء روحيتهم ورفع معنوياتهم وإنقاذهم من الضعف والتخلف الحضاري، لا تؤثر كما يؤثر تحديد العدو ومواجهته..

وهكذا كل مشاكلنا الداخلية والخارجية بلا استثناء، فهي لا تحل أو تأخذ طريقها الى الحل، إلا إذا حددنا أعداءنا وملأنا قلوبنا بالغیظ المقدس ضدهم، واشتغلنا بمقاومتهم..

إن على علماء المسلمين والكتّاب والمفكرين والوعاظ والمربين والحركات الاسلامية، أن يعرفوا عمق هذه الحقيقة البسيطة و يعطوها قدرها.. فإذا لم يصبح بغض أمريكا واسرائيل وأوروبا وروسيا وحفنة عملائهم المنافقين عقدةً عندنا وعند جماهيرنا فسوف لا تنحل عقدنا.. نعم عقدة حقيقية ومقدسة، وعداوة عميقة لأعداء الله ورسوله، وغضب عليهم، وبراءة منهم، وغیظ من كفرهم ونفاقهم وجرائمهم بحق شعوبنا وشعوب العالم. فهذا هو مفتاح ذاتنا الاسلامية وإكسير الحلول لاختلافاتنا الفئوية والاقليمية والمذهبية والقومية.. وهذا هو الأفق الاسلامي الأصيل البديل عن آفاقنا الضيقة..

إن جماهيرنا المسلمة تعيش الظلم والقهر من أعدائها، وتعيش بفطرتها الاسلامية عداوتهم، فإذا رأت عالم دينٍ أو مشقفاً يحدد عداوها ويتقدم الى السلطان الجائر ويهتف بموته وموت من وراءه من دول الكفر، فإنها تحبه وتتأثر بإسلامه وكلامه.. أما الذين يتكلمون بالعموميات ولا يحددون العدو ولا يواجهونه، فقد تعجبها أفكارهم ومواعظهم، ولكنها لا تتأثر بهم حتى لو بُحِّث حناجرهم وأقلامهم.. وأما الذين يريدون أن يخففوا عداوتها وغضبها على ظالمها المنافقين والكفار، فهي تلعنهم معهم، و إن تزيوا بزي الدين، وتكلموا بالحلل والحرام وآيات القرآن..

إن جماهير أمتنا تقيس تدين العالم وصدقه وبطولته بمقدار تحديه لأعدائها الكافرين والمنافقين، وجهره بأسمائهم ومعاداتهم وإدانتهم، وصموده في موقفه.. وهذا هو مقياس الاسلام.

الأصالة في عداوتنا لأعدائنا

العداوة لأعدائنا تعني أننا معهم في معركة شاملة، معركة قتالية عند ما نستطيع، وحيثما نستطيع، وكيفما نستطيع.. ومعركة سياسية، ومعركة اعلامية، ومعركة من كل

نوع، وعلى كل صعيد نستطيع فيه أن نتقرب الى الله تعالى ونضرب أعداءه وننصر دينه وأمة نبيّه بقول أو فعل، أو سكوت وامتناع.. وفي كل ذلك يجب أن تكون عداوتنا أصيلة قوية المنطق والحجة، بعيدة عن الضعف والسطحية والإبتذال..

يسأل بعض المسلمين لماذا إذن نستعمل أسلوب السب والشتم واللعن..؟
والجواب قوله تعالى «وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ»
١٠٧- الانعام. فالسب وإن كان جائزاً لهم ولكنهم قد يعتدون بسببه على أقدم مقدساتنا فلا يجوز.. والسب وإن كان يليق بهم ولكنه لا يليق بنا، ففي الحديث عن علي «ع» «إِنِّي أَمْكُرُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ».

أما اللعن فهو يختلف عن السب والشتم لأنه مفهوم قرآني، وهو يعني من الله تعالى طردهم من رحمته، ويعني منا الدعاء عليهم بالطرد من رحمة الله.. وقد جرت عليه سيرة النبي «ص» وأهل بيته «ع» وأصحابه، وعلماء السلف الصالح الى عصرنا هذا.. نقل أحدهم أن الانكليز لعنهم الله عند ماتغلبوا على مقاومة المسلمين في النجف سنة ١٩٢١ واحتلوها، ألقوا القبض على عدد من علمائها وشبابها، ولما أدخلوا الشيخ محمد علي الخراساني رحمه الله على الحاكم العسكري، وكان شيخاً زاهداً عابداً واعظاً، فدخل عليه وهو يحمل القرآن و يسبح بالسبحة بلعن الانكليز، فكان الضابط البريطاني يسأله السؤال فيجيبه عليه، ثم يعود الى سبخته متابعاً: لعنكم الله، لعنكم الله..

إن قوة المنطق والحجة في عداوة أعدائنا تعني خطين:

الأول، أن نطبق عليهم الاحكام الشرعية والمفاهيم الاسلامية الواردة في القرآن والسنة، ولانكتم شيئاً منها، ولانستحي بشيء منها.. فإنما هي صفاتهم، وحكم الله تعالى فيهم، وكلها حق لا ريب فيه.

الثاني، أن نوظف واقعهم السيء في عداوتنا لهم ومعركتنا معهم، عقائدهم السيئة وسلوكاتهم وسياساتهم، وجرائمهم التي تملأ بلادنا وبلاد العالم..

إن كل دم يُراق في بلاد المسلمين، وكل ظلم يقع على أحد منهم، في برّ أو بحر، أو سهل أو جبل، أو ليل، أو نهار.. وكل سنة أماتها أو تميتها الحكومات الجائرة، وكل بدعة أحيتها أو تحيها.. إنما إثمه الأصلي ووزره الاكبر في رقاب هؤلاء الطغاة

المتسلطين علينا لعنهم الله وخذهم... أفلا يحق لنا ويجب علينا أن نلعنهم ونبرأ منهم في
سرنا وعلننا، ودعائنا وصلاتنا، ونشرح لأولادنا ما ارتكبهوه في حق ديننا وشعوبنا،
ونرتبهم على لعنهم والبراءة منهم..؟

* * *

الأساس الثالث

طريقة حزب الله والتشكيلات التنظيمية

لعلي من أولى الناس بالكتابة عن إيجابيات التنظيم الاسلامي لتجربتي الطويلة فيه عن قناعة وحب، فقد كانت فرحتي عظيمة يوم دعاني أستاذي في النجف الى الدخول في تنظيم الدعوة الاسلامية فدخلت عضواً في حلقة، وعملت فيه أكثر من عشرين سنة، في تشكيلاته المختلفة وقيادته، وكتبت في ثقافته الداخلية، التنظيمية والايمانية والسياسية والعامة.. ولكن قناعتك في قنديل جميل، وحبك له، وإسهامك في إشعال شعلته وإضاءة الطريق به للمسلمين، لا يعني أن تغمط الفجر حقه عند ما يطلع، وتتجاهل ضوءه وتمسك بقنديلك..

إن مَثَلَ القنديل والفجر هو مثل إيجابيات عملنا في تنظيم الدعوة الذي يعتبر من أنجح التنظيمات الاسلامية في البلاد العربية وأنجحها على الاطلاق في أوساط الشيعة العرب، وَمَثَلُ طريقة حزب الله العلمائية المسجدية الجماهيرية التي اعتمدها الامام الخميني وعلماء ايران..

ليس غرضنا هنا المقايسة بين الطريقتين وإن كانت بحثاً مفيداً، ولكن بيان الإيجابيات العظيمة التي تمتاز بها طريقة حزب الله قد تمس فيه الحاجة الى المقايسة.

التنظيم الحزبي يتناقض مع طبيعة مجتمعاتنا

إن مسألة فهم طبيعة المجتمعات والبُنى القائمة فيها على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، ومقدار تقبلها لبُنى جديدة، من المسائل الحضارية الهامة التي تشغل المفكرين الغربيين عن بلادنا.. طبعاً هم يبحثونها من زاوية تغريب مجتمعاتنا والقضاء على بُناها الأصلية وتحويلها الى نسخ مقلدة لمجتمعاتهم لكي تسهل سيطرتهم عليها وتصبح في النهاية تابعة لهم بشكل آلي.. إن كل الدراسات الاجتماعية والندوات والمؤلفات التي تدور حول الأصالة والحداثة، والتخلف والتنمية والتطور والتقدم والتحديث، وحول الجوانب الاجتماعية الحضارية من التكنولوجيا، وما شابه.. التي تقوم بها الجامعات والمؤسسات الغربية، والمؤسسات والمثقفون المتغربون في بلادنا، هدفها معرفة الأساليب الناجحة لتميع البُنى الأصلية في مجتمعاتنا الاسلامية وإحلال البُنى الغربية مكانها..

وطبيعي أن يكون اهتمامنا نحن بالمسألة من الجهة المضادة فنهتم بمعرفة البنى الأصلية في مجتمعاتنا من أجل المحافظة عليها وتقويتها، ورفض البنى الغربية التي يراد لها أن تحل محلها..

القضية عندنا أننا نريد لمجتمعاتنا أن تتقدم وتأخذ بكل أسباب العلم والتكنولوجيا، ولكن بشرط أساسي هو المحافظة التامة على طبيعتها وأصالتها وبنائها الاجتماعية الاسلامية، في الأسرة والعلاقات الاجتماعية وفي أوجه الحياة الاقتصادية، والسياسية...

وبشكل موجز يمكن أن نقسم البنى الاجتماعية في بلادنا الى ثلاثة أقسام رئيسية:

١ - البُنى الطبيعية أو الأصلية أو الاسلامية، والمقياس فيها أن تكون ناتجة عن وضع تكويني في مجتمعاتنا يقره الاسلام ولا يرفضه، أو عن حكم شرعي يوجبها.. إن كل بنية ناتجة عن أحد هذين العاملين أو عن التفاعل والتمازج بينهما، تعتبر بنية

طبيعية وتَشكلاً طبيعياً للمجتمع.. فالبنى الأسرية الناتجة عن طبيعة الرجل والمرأة، وعن قيمومة الرجل ومسؤوليته عن الإنفاق والإدارة، وعن عمل المرأة في البيت وتربية الاطفال، هي بُنى طبيعية إسلامية.. والبنى الناتجة عن تكليف المرأة بالعمل والإنفاق الى جانب الرجل، أو عن سحق شخصيتها وتجهيلها ومنعها من أداء دورها الاجتماعي الذي يجيزه الاسلام، بُنى طارئة غير طبيعية.. وهكذا الأمر في كل البنى والأشكال في العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فالتشكلات الناتجة عن تشريع الملكية في الاسلام تعتبر طبيعية، أما الناتجة عن نظام الاقطاع السياسي والاقتصادي فغير طبيعية. والتشكلات الناتجة عن تشريعات الاسلام في الحكم تعتبر طبيعية، اما الناتجة عن النظام السياسي الوراثي أو التسلطي فغير طبيعية..

٢ - البنى الطارئة، وهي الأشكال التي كانت موجودة في مجتمعاتنا قبل الغزو الغربي الأخير، ولكنها طارئة عليها ودخيلة، لأنها غير ناتجة عن وضع تكويني أقره الاسلام، أو عن تطبيق حكم شرعي، بل ناتجة عن انحراف عن الاسلام وتأثر بمؤثرات أخرى.. من قبيل النظام الاقطاعي، والنظام السياسي الوراثي، والبنى الناتجة عن ظلم المرأة، وما شابه..

٣ - البنى الوافدة، وهي الأشكال الاجتماعية التي وفدت إلينا من المجتمعات الغربية أو يراد بقلها إلينا، في مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المختلفة..

* * *

كانت هذه المقدمة ضرورية لكي نعرف موقع البنية أو الشكل الحزبي من بُنى مجتمعاتنا، ومن البديهي أنها من نوع البنى الوافدة التي ولدت ونمت في المجتمع الغربي الأمريكي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وأنها وفدت الى بلادنا مع تفاقم الغزو الغربي في مطلع القرن العشرين، فقد بدأ بتطبيقها العلمانيون المتأثرون بالغرب، وبعد نحو نصف قرن بدأ بتطبيقها الاسلاميون..

ومن البديهي أيضاً أن الشكل الحزبي مضافاً الى كونه وافداً، فهو يتصل بالبنية السياسية لمجتمعاتنا التي هي أعلى البنى وأكثرها تأثيراً، الأمر الذي يستوجب منا

التريث والبحث عن مدى ملاءمته أو تناقضه مع طبيعة مجتمعاتنا.. وأول الأسئلة التي ينبغي أن نوجهها بشأنه: ماهي البنى والأشكال الاجتماعية التي يراد لهذا الشكل أن يكون بديلاً عنها، وهل تفي بالغرض المقصود منه أم هناك ضرورة إليه؟ وماهي البنى والأشكال التي تتأثر بهذا الشكل الوافد سلبياً أو إيجابياً.. وهل هناك ضرورة تبرر التأثيرات السلبية إن كانت..؟

مثلاً، عند ما نريد أن نتبنى شكل التعليم الجامعي في حوزاتنا ومعاهدنا الدينية، يجب أن نفحص الشكل الأصلي المتوارث تاريخياً والقائم على نظام الحلقات والإجازات، ونتساءل: هل هناك ضرورة تستوجب استبداله بشكل الكليات ونمط دراستها وشهاداتها، أم لا..؟ وهل هناك ضرورة لتبني هذا الشكل الوافد الى جانب الشكل الموجود، أم لا..؟ وماهي التأثيرات الايجابية والسلبية له على التحصيل العلمي والروحي وعلى البنى الموجودة في علاقات الطلبة ببعضهم، وبالأساتذة، وبالأمة..؟ فإذا خرجنا بنتيجة تقول إنه لا ضرورة اطلاقاً لتبني الشكل الغربي، وأن من الضروري أن يبقى طلب العلم الديني منتشراً في المسلمين حيثما يوجد فيهم علماء، فيقومون الى جانب أعمالهم بتدريس حلقات الطلبة في المساجد والبيوت والمدارس، وتكون في بلاد المسلمين حواضر علمية تتوفر فيها الحلقات العالية يسافر اليها الطلبة بعد أن يقطعوا المراحل المتيسرة لهم في مناطقهم.. إذا وصلنا الى هذه النتيجة، كما هو الواقع، فما الموجب للإصرار على تحويل حوزاتنا وجامعاتنا الدينية الى جامعات وكليات و ثانويات على النمط الغربي..

إن الأمر في التنظيم الحزبي السياسي وطريقة حزب الله العلمائية المسجدية الجماهيرية أوضح منه في مسألة الشكل الدراسي الحوزوي والغربي..

قديقال: إن الشكل الحزبي ليس بديلاً عن شيء من البنى والأشكال الاجتماعية الأصيلة الموجودة في مجتمعاتنا، ولا هو شكل وبنية أخرى تضاف اليها، وإنما هو طريقة فنية لجمع طاقات المجتمع وتنشيطها والتنسيق بينها، فهو يتعامل مع البنى الأصيلة الموجودة في الأمة ولا يمسّها بل يقوّها ويرسخها.. إن الحزب في أوساطنا الشيعية يشري الحوزات العلمية بالطلبة ويدفع طلبتها الى العمل، ويعمل على تنشيط

الجهاز العلمائي في الأمة وإعمار المساجد والحسينيات، وهو يؤمن بقيادة المرجعية والعلماء وينسجم معها ويقورها..

وهو في الأوساط السنية طريقة عمل لأهداف الاسلام بقيادة أمير، أو قيادة على أساس الشورى الاسلامية، تجمع في إطارها طاقات العلماء والمثقفين والشباب والناس وتدفعهم الى العمل.

قد يقال نعم إن الشكل الحزبي بهيكلته الحديثة طريقة وافدة لم تعرفها مجتمعات أمتنا ولكنها مجرد طريقة فنية لجمع الطاقات والتنسيق بينها، ولا يضر بالطرق الفنية التي نستخدمها أن تكون غربية المنشأ أو شرقية..

لعل هذا أقوى كلام يقال في الدفاع عن الشكل الحزبي والتنظير له، وقد سمعت فكرته في أوائل الستينات من أستاذنا الشهيد الصدر رضوان الله عليه فأعجبني، وأخذت أطرحها بشكل وآخر في حلقات الدعوة ثم في ثقافتها.. كان في ذلك الوقت يقول «إن التنظيم الحزبي يشبه مسألة توزيع كتاب، حيث يطرح فيها السؤال: ما هي أفضل طريقة لتوزيعه وإيصاله الى أكبر عدد من القراء.. والتنظيم إنما هو طريقة لإيصال أفكار الاسلام الى أكبر عدد ممكن من المسلمين..» كان رحمه الله يتبنى آنذاك أسلوب العمل الحزبي، ويتبنى شرعية قيادة شورى الحزب المكونة من علماء ومثقفين..

ولكن بعد سنوات عند ما تبلورت في ذهنه نظرية ولاية الفقيه وأخذ يطرحها في نطاق ضيق على أنها الصيغة الشرعية التي تستوعب فئات الأمة بمن فيها التنظيمات والأحزاب، أحسنا في الدعوة بأن ذلك يعارض أطروحة قيادة الدعوة للأمة، ولكنه اختلاف لم يكن له أثر عملي مهم، فعمل الدعوة فكري وعمل المرجعية فكري ولا تعارض بينهما. ولكن قناعتنا كانت بقيادة الدعوة وليس بولاية الفقيه، لا بسبب أن ولاية الفقيه لا تملك دليلاً فقهياً أو تملك، بل بسبب أننا لانؤمن بولاية الفقهاء الذين نعرفهم والذين كان السيد الصدر رضوان الله عليه يسمي مرجعياتهم «المرجعية الذاتية» ويطرح في مقابلها مشروع «المرجعية الموضوعية» وكذلك لم نكن نتبنى مرجعيته رحمه الله بانتظار أن تنمو ونرى مقدار تقدمها في قيادة الأمة وانسجامها مع

خط الدعوة.. كان أحد أعضاء القيادة رضوان الله عليه يردد كلمته بقوة مجيباً على مسألة قيادة المرجعيات او قيادة الدعوة «القيادة لمن يتقدم، فليتفضلوا وليقودوا، فمن يمنعهم» كانت الناحية العملية هي المقياس لشرعية القيادة في نظرنا، وقد أصدرنا ذلك في نشرة حول المرجعية سنة ٧٠م ولم نتخذ موقفاً بتأييد أو تبني مرجعية أحد حتى السيد الصدر قدس سره، وقد كنت أحد المتحمسين لمرجعيته رحمه الله ولكني كنت أتبناها كما يتبناها عدد من الدعاة بصفتنا الشخصية وليس بقرار من الدعوة أو تعبيراً عن رأي القيادة.. وقد خشي رحمه الله أن أطرح مرجعيته في منطقة عملي فأرسل لي رسالة يشدد فيها بأن الظروف الموضوعية لا تسمح بذلك وأنه لا مصلحة فيه، فاقترعت على طرحها ضمن قيادة التنظيم في المنطقة وبعض الناس..

قلنا في تلك النشرة عن المرجعية إن في المرجع جانبين جانب المفتي وجانب القائد، وإن مسألة التقليد بالفتاوى تخص الدعاة ولا تخص الدعوة، فباستطاعة الداعية أن يقلد من يقتنع بتقليده، أما مسألة القيادة فهي تخص الدعوة، والدعوة تؤيد وتبني قيادة أي مرجع بمقدار ما يتقدم ويعطي من نفسه لقيادة الأمة.. كان اعتقادنا آنذاك أن المستقبل كله للدعوة التي ستتقدم هي وحدها لقيادة الأمة، فيواكبها المراجع ويتبعها العلماء والناس.. ولم نكن نعرف أن مرجعية الامام الخميني المهاجرة في النجف والمحجوبة عنا تخطو في قيادة الأمة بخطى حثيثة، بينما نحبون نحن حبواً في مرحلتنا الفكرية، ونحشد أفكارنا الاسلامية في رؤوس دعائنا.

رضوان الله على الشهيد الصدر، لقد كان أصدق منا في تطبيق مقولتنا «القيادة لمن يتقدم» و «القيادة فعل قيادة وليست منصب قيادة» فعند ما رأى مرجعاً جامعاً للشرائط تقدم في قيادة الأمة، وهز العالم وأضاء الفجر، انضم الى رايته وذاب في مرجعيته وفاز بالشهادة، وبقينا نحن في قيادة الدعوة نتناقش لمن القيادة: للفقهاء الذي تقدم وقاد الأمة بالفعل، أم لشورى الدعوة، أم لمجلس فقهاء الدعوة..

وتفتقت اذهاننا الفقهية والتنظيمية أخيراً عن الجمع بين ولايتين وقيادتين و إمامتين، اولاهما إمامة عامة للأمة، وثانيتهما إمامة خاصة للدعوة، فكأننا بذلك اهتدينا الى فتوى لنقول للدعاة: صلوا مع جماهير المسلمين بإمامة إمامهم، ولكن كونوا في

زاوية خلف إمام الدعوة، وانووا الإلتزام بالإثنين معاً..

إن الشكل الحزبي ليس مجرد طريقة فنية لإيصال الفكر الاسلامي الى الأعضاء والناس، لنقيسه بشبكة بريدية، أو شبكة مراكز لتوزيع الكتاب.. فهو مضافاً الى الجانب الفني بُنية اجتماعية تمس أهم البنى والأشكال الطبيعية في مجتمعاتنا، وهي الشكل القيادي فيه، وإن ماذكرته عن التعارض بين قيادة المرجعية وقيادة الحزب ليس إلا جزءاً مما حصل مع مرجعية السيد الصدر رضوان الله عليه، التي كانت أقرب مرجعية الى الدعوة، واكثرها معرفة بها وحباً لها، مع أن عملنا جميعاً كان عملاً فكرياً ليس إلا.. وإذا استعرضنا تجارب التنظيمات الاسلامية الأخرى في بلاد المسلمين فسوف نجد فيها الكثير من أمثلة التعارض بين قيادة التنظيمات والعلماء، أقصد العلماء العاملين لا القاعدين..

يجب أن نكون صريحين، فقيادة الحزب والتنظيم الاسلامي تطرح نفسها وحزبها قيادة حقيقية للأمة، قيادة سياسية كاملة، وقيادة فكرية، وقيادة فقهية أيضاً، ولكن بشكل غير صريح.. فهي في أوساطنا الشيعية مشروع بديل حقيقي عن قيادة المرجع، ولجانها المحلية بديل عن وكلائه، ولا تنسجم مع قيادة المرجع إلا إذا صار في قيادتها، ولا مع قيادة العلماء إلا إذا صاروا في لجانها.. وهي في الأوساط السنية بديل حقيقي عن قيادة العلماء، فهي مشروع لقيادة المسلمين بمن فيهم العلماء، ومشروع لرئاسة الدولة الاسلامية والخلافة..

كان الجيل الماضي في قيادة الدعوة رضوان الله عليهم صادقين شجعاناً، فكانوا يطرحون ذلك صراحة ويقولون للمراجع: القيادة لمن يتقدم، ونحن سوف نتقدم.. وفي أواخر الستينات وفي ظل مرجعية مهيمنة في العراق طرحوا مشروع مجلس الفقهاء واصدره أحد المتأثرين بفكر الدعوة في كتاب، وكانت مهمة هذا المجلس في تصورنا تغطية الجانب الفقهي الذي تحتاجه الدعوة، أي مهمة المفتين للدعوة، أما القرار السياسي والعملي فهو لقيادة الدعوة، وليس لمجلس الفقهاء..

كنا نطرح هذا الموضوع مع دعائنا باعتزاز فنقول لهم أنتم القادة، ونقول لشبابنا في لجان المناطق واللجان المحلية: العلماء واجهات اجتماعية جيدة فاستوعبوههم و

وجهوههم واستفيدوا منهم، فالداعية يقود و يؤثر ولا يتأثر..

وأكثر من هذا، فالتنظيم الحزبي يطرح نفسه بنيةً بديلةً لكل بنى الفعل الطبيعي في الأمة، فهو ليس بديلاً للمرجعية والحوزة وعلماء المناطق فقط، بل بديل لوجهاء بلاد المسلمين وهيأتهم الشعبية ورؤساء العشائر.. إنه من نوع مشاريع التأميم الاقتصادي التي تشمل إنتاج واستيراد وتوزيع كل السلع الاستهلاكية، حتى البيض..

وفي الأوساط السننية لا يختلف الأمر شيئاً، فقيادة التنظيم بديلة عن كبار علماء البلد حتى لو كان بعض أعضائها لا يصلح تلميذاً مبتدئاً عند بعضهم في التفسير أو الفقه أو الحديث، ولجان التنظيم وأفراده بديلة عن علماء المسلمين وعن فعاليات المجتمع الطبيعية.. وقد رأيت بعض العلماء الفضلاء يعيشون مع بعض أعضاء التنظيمات حالة استلابٍ كاملٍ للشخصية، فقد عوده الشباب أن ينتظر الرأي منهم ويطيع..

لأقصد بهذا الكلام اتهام أعضاء التنظيمات وقياداتها في نياتهم، فالأعضاء في الأعم الأغلب لا يلتفتون الى مسألة البنى الطبيعية في الأمة وأهمية المحافظة عليها، وخطورة استبدالها ببنى وأشكال وافدة.. والقيادات وإن كان يوجد فيها من يدرك العمق الفقهي والحضاري والاجتماعي للمسألة، وأنهم بطرحهم التنظيم وقيادته يقدمون بديلاً عن الشكل القيادي المتوارث في الأمة.. ولكنهم مدفوعون بحماس عظيم للإسلام وبردة فعل عنيفة من قصور الاشكال الطبيعية وتقصيرها في قيادة الأمة، وهم في نفس الوقت معجبون بشكل التنظيم الحزبي وما قرؤوا عن تطبيقاته في أمريكا وأوروبا وروسيا، ولا يرون ضرراً في أن يحل هذا الشكل محل الأشكال الموجودة العاجزة، أو يحصل من تمازجها شكل متوسط.. ولكن الذي يحصل بالنتيجة ليس حلول الشكل التنظيمي بدل الاشكال الطبيعية، ولا التمازج بينهما، بل التعارض والتناقض والإنقسام الحاد، ثم غلبة البنى الطبيعية، ولو بعد سنين طويلة..

كيف يبدأ التناقض

عند ما يتحسس بعض المثقفين والشباب المتدين في منطقة بضرورة العمل الاسلامي، ويتداولون الرأي بينهم ماذا يعملون، فيقول بعضهم يجب أن نأتي للمسجد بعالم دين يؤم المسلمين في الصلاة ويدرس الدروس الدينية ونساعده في نشاطه.. أو يجب أن نعمل على تحريك العالم الموجود ولاندعه يعيش بعيداً عن التدريس وجمهور أهل المحلة.. الخ.

و يقول آخرون، هذا لا يفيد أو لا يكفي، يجب أن ننشيء تنظيمًا أو هيئة، تدير العمل، أو نبحث عن تنظيم.. الخ.

من هذه النقطة يبدأ الفرق العظيم بين تفكيرين واتجاهين.. فالاتجاه الأول يريد إيجاد البنية الطبيعية في مجتمعنا وتقويتها.. والاتجاه الثاني يريد إيجاد بنية بديلة وتقويتها، ولامانع من تقويتها بالبنية الطبيعية..

الاتجاه الأول يصب جهده في مجرى طبيعي فيهم بوجود عالم في المحلة وبالتلميذ عنده، وتكثير عدد الطلبة والناس في دروسه، والصلاة خلفه، وبعلاقة العالم بجمهور المحلة، وأعماله الفكرية والاجتماعية والسياسية.. وإرسال طلبة من أهل المحلة الى المعاهد الدينية وكلليات الشريعة والحوزة..

والاتجاه الثاني يصب جهده في التنظيم ليكسب له الأفراد، وينشر أفكاره الاسلامية السياسية، ويحافظ على سرية من السلطة ومن الناس، ويؤثر بأفكاره على العالم وشباب المحلة والمصلين..

وليت المسألة تقف عند هذا الأمر، فتكون تنوعاً في الاتجاهات والجهود المتواكبة المتناسقة.. ولكن التعارض سيحدث منذ المرحلة الفكرية، ثم يستحكم في مرحلة الصراع السياسي، أما بعد النصر فسوف يتأصل ويكون صراعاً حقيقياً بين البنية الطبيعية والبنية الوافدة..

من آثار التناقض في البنية الوافدة

عند ما نتحدث عن التناقض بين البنية الوافدة والبنية الطبيعية في مستوى القيادة أو القاعدة، فإنما نقصد التناقض بين الأشكال الحزبية وبين العلماء والمبلغين وجماعاتهم الذين يريدون أن يخدموا الاسلام والمسلمين، الذين يشاركون التنظيم من أول الطريق أو فيما بعد في معارضة السلطة وطرح البديل الاسلامي، بشكل وآخر، ومستوى وآخر..

لهذا ينبغي أن نستبعد حالات التناقض المرضية بين بعض ممثلي البنية الطبيعية وبين التنظيم، كما في حالة الذين يعادونه بسبب أنه عمل اسلامي لاسبب أنه تنظيم يريد أن يحل محل العلماء، فهؤلاء بشكل عام يكونون مرضى بالخوف، فهم يغارون على الركود المخيم على المجتمع ان يُمسّ، ويعادون كل تحرك فكري أو سياسي سواء كان من عالم دين أو تنظيم..

وكما في حالة إصابة الساحة الاسلامية في البلد أو المنطقة بمرض الاختلاف والتناقض الفئوي الى حد تشغل معه البنى الطبيعية والوافدة ببعضها عن مقاومة السلطة ونصرة الاسلام.. فهذه الأنواع من التناقضات مع الشكل التنظيمي وان كان فيها جانب موضوعي، الا أن الجانب الذاتي يكون فيها غالباً أو كلياً، ولا تكون البنية الطبيعية طرفاً فيها..

إنما نقصد حالات التناقض الطبيعي بين التنظيم والمرجعية والعلماء، أي التناقض الذي لا يكون فيه عوامل إضافية أو يكون الغالب فيه أنه تناقض بين التنظيم باعتباره بنية وافدة تريد أن تستوعب قيادة العلماء وفعاليات المجتمع وتحل محلها، وبين البنى الطبيعية صاحبة القيادة والفعل في المجتمع.. في هذه الحالة يحدث في البنى الطبيعية أنها تعمل لاستيعاب التنظيم وتحمل منه، وفي نفس الوقت تصر على موقعها وتقاومه.. وكلما اتصف عالم الدين بسعة الصدر وسعة الأفق والاهتمام بالعمل الحقيقي وليس الشكلي كلما حقق القوة لبنية القيادة الطبيعية في الأمة..

أما التنظيم فتحدث فيه عدة ظواهر بسبب هذا التناقض، أولها وأكثرها دلالة التستر بالبنية الطبيعية..

لوسألنا أنفسنا في التنظيمات الإسلامية لماذا تزداد حاجتنا إلى ما كنا نسميه في تنظيم الدعوة الواجهات العلمائية كلما تقدمنا في مراحل العمل الفكري، ثم تصبح ضرورة لا بد منها في مرحلة المواجهة السياسية مع السلطة..

التفسير الوحيد لذلك أن الشكل التنظيمي كلما ازداد تعامله مع جماهير المسلمين كلما احتاج إلى صفة الشرعية في قيادته، والشرعية في مجتمعاتنا إنما هي لعلماء الدين، وليس لقيادة التنظيم ولجانه وأعضائه.. جماهير المسلمين لا تعرف حزباً أو تنظيمًا وحركةً بل تتحسس من هذه الصيغ والبنى الوافدة، التي عرفت في أتباع الغربيين والشرقيين من أبنائها، إنما تعرف إمام المسجد الذي يصلي بها ويخطب، ويعقد عقود زواجهما، ويصلي على جنازتها، الذي درس الدين في معاهد الشريعة، وفي الحوزات عند العلماء، والذي يلبس زياً معيناً ويتعامل مع الناس بسمت معين وروحية معينة.. أمّا فلان الشاب المثقف المتدين، وفلان الكاتب الإسلامي، وفلان السياسي المسلم، فتحبهم وتقدرهم، ولكنها تريد أن يصلوا معها خلف المجمع، ويمشوا معها خلفه..

ترى عند ما يبحث التنظيم عن أغلبية شرعية لقيادته ولجانه وما يريد أن يقوله للناس ويطلبه منهم، فماذا يعني ذلك؟

إنه يعني الكثير، وأول ما يعنيه أننا نحن أصحاب الشكل التنظيمي نعتز بأننا بنية وافدة لا يقبلها الناس، فهي بحاجة لأن تستر بالبنية الطبيعية.

قديقال: إن حاجتنا إلى الغطاء الشرعي والواجهة العلمائية إنما هو بسبب تركيز السلطة والعدو الكافر على التنظيم الإسلامي أكثر من تركيزهم على العلماء.. ولكننا نعرف أن التنظيم الإسلامي يحرص على الغطاء العلمائي اتقاءً للسلطة من ناحية، وتقرباً إلى جماهير المسلمين من ناحية أخرى..

ومن الملاحظات الطريفة في تجارب استغلال تنظيماتنا الإسلامية بالعلماء، أنها غير قابلة للاستمرار إلا مع أولئك الضعاف ذوي القابلية للاستلاب والعيش بالمعية..

أما العلماء الناجحون في عملهم مع الأمة فيستقلون عن التنظيم ولوبعد حين..

ومن ظواهر التناقض في الشكل الحزبي، الحرص على سرية القيادة والهيكلية التنظيمية حتى عند ما ينتفي الموجب لذلك، وحتى عند ما تدعو الحاجة الى الإعلان.. وسبب ذلك أن التنظيم مشروع لقيادة الأمة، فهو يحتاج الى غطاء شرعي يتناسب مع أطروحته وبما أن القيادة ولجانها ليست بهذا المستوى في نظر الأمة، فإن الحل إبقاؤها سرية على الأمة وعلى الأعضاء أيضاً، والاستفادة مما تعطيه السرية من إبهام وهالة حولها..

ومن آثار التناقض في البنية الوافدة هذه العصبية التي تنشأ للتنظيم والتي يسميها سيد قطب صنمية الدعوة، فلا يوجد فئة في مجتمعاتنا الاسلامية تتجمع لها العوامل التي تدعوها إلى العصبية والتعصب مثل الأقليات المذهبية الباطنية في محيط معاد، ومثل الأحزاب والتنظيمات في محيط الأمة.. فعامل العصبية للبنية الوافدة، وعامل التستر بالبنى الطبيعية، وعامل السرية في القيادة والتشكيلات وكثير من الأعمال، وعامل الخوف من البنى الطبيعية، والشعور بعدم القبول من الأمة.. الخ، تتجمع على تغذية العصبية للتنظيم، وتؤكد الشعور بالفثوية.. وبالتالي زيادة تناقض البنية الوافدة مع البنى الطبيعية..

وهناك آثار عديدة لهذا التناقض، ليس هذا مجال تعدادها وشرحها..

هذه الجهود الضخمة متى تصب في مجراها

إن رائد التنظيم الاسلامي وإمامه في العالم الاسلامي هو الشهيد حسن البنا رحمه الله، وكتابه «مذكرات داعية» يبقى هو النموذج لتجارب كل القياديين الحركيين في التحسس والمعاناة والاتجاه نحو التنظيم.. وشخصيته بما وهبها الله تعالى من صحو وروحي وحيوية في الفكر والعمل، تبقى هي الملهم لكل قادة التنظيمات الذين جاؤوا

من بعده، وإن اختلفوا عنه في هذه الفكرة أو تلك، وهذا الأسلوب أو ذاك .. وتنظيم الإخوان المسلمين الذي ابتكر فكرته وأسسه يبقى هو التجربة الأولى والحركة الأم لجميع التنظيمات الاسلامية السياسية في العالم، فقد جاءت جميعاً محاكيةً له، او متفرعةً عنه، او مدينةً له بالأرضية التي هيأها.. إنها جميعاً نسخٌ مكتوبةٌ أو مطبوعةٌ، او فصولٌ مختارةٌ او مقتبسةٌ، أو قصائدٌ ومقالاتٌ، ترجع الى مخطوطةٍ واحدةٍ بقلم الشهيد حسن البنا.

إن نتائج جهود هذا القيادي المسلم كبيرة وواسعة في بلاد المسلمين وحياتهم، وكذلك نتائج جهود قادة التنظيمات والأحزاب الاسلامية.. فقيادة التنظيم وكوادره الفعالة هم من أكثر أبناء أمتنا نشاطاً وعملاً.. ولكني مطمئن بأن هذه الجهود الضخمة المخلصة لو كانت تصب في تقوية البنية القيادية الطبيعية في الأمة لقام الحكم الاسلامي منذ زمن بعيد، ولكان وضع الأمة اليوم متقدماً عشرات السنين..

أطمئن بأن الشهيد حسن البنا لو كان وجه جهوده الى عالم الدين في مصر، الى ملء معاهدها الدينية بالطلبة، وملء مساجدها بالعلماء، وإقامة حلقات الدرس حول كل عالم أينما كان وأياً كان مستواه.. لواجه جهوده لتحقيق الإستقلال المالي والاداري لعلماء الدين، لانتزاع الأوقاف من السلطة، وتنظيم زكوات المسلمين وتبرعاتهم للعلماء وطلبة العلم.. الخ. لاستطاع أن يعيد الى عالم الدين في مصر اعتباره في الأمة، ويعيد الى الأمة حركتها في طلب العلم والتفافها حول العلماء، وأن يعيد الى شيخ الازهر قوته التي سلبها منه المستعمر الكافر.. وإذا رجعت القوة الى الجهاز العلمائي في مصر رجعت إليه في العالم الاسلامي..

قد يقال: إن ماتريده هدف إسلامي مهم، ولكن أين هذا مما يريده الشهيد البنا.. إن تنشيط المؤسسة العلمائية وتوسيعها وتقويتها حركة إصلاحية، والحركة التي قادها البنا حركة جذرية ثورية لإقامة الحكم الاسلامي، وقد كان عنه قاب قوسين ولكن مؤامرات العدو الكافر أودت بحياته وتواصلت على حركته من بعده..

أقول نعم، ولكن هل يمكن إقامة حكم إسلامي بدون حالة فوران شعبي.. وهل يمكن تحقيق هذا الفوران الشعبي في الجماهير بواسطة غير العلماء..

الشهيد البنا عالم ومفكر إسلامي، ولكنه لو كان فقيهاً، وكان مسؤولاً لأجهزة تنظيمه وأمرء الجماعات في أنحاء مصر من العلماء، لكان الأمر يختلف.. لأن تجاوب الأمة مع العلماء يختلف عن تجاوبها مع أي أحد.. مهما كان ذلك القيادي، ومهما كان وضع العلماء الاجتماعي ضعيفاً..

أعرف أن الفترة التي عاش فيها الشهيد البنا وبدأ فيها حركته في النصف الأول من هذا القرن، كانت تشهد أعنف حملة استعمارية مسعورة ضد العلماء، فقد كان الكلام ضد المشايخ وتحجرهم وتخلفهم وسوئهم يملأ مجالس العسكريين والسياسيين الغربيين في بلادنا، وشركائهم في الحكم من المثقفين، وينتشر منهم في أوساط الناس، وفي أجهزة الإعلام..

في تلك الفترة بلغت وقاحة أجهزة الإعلام أن الإذاعة العراقية أذاعت أغنية فاحشة ضد طلبة علوم الدين، ونشرت مجلة مصرية قصة ساخرة عن شيخ الأزهر بعد وفاته، تصف كيف ذهب ولده ليزوره في الجنة فلم يجده، فذهب إلى النار فوجده بعد جهد جهيد في وادي سقر، ووجد هناك باباً الأقباط ولكنه أحسن منه حالاً وأخف عذاباً.. إلى آخر ما وصلت إليه هذه الحملة الخبيثة في هدم البنية القيادية في الأمة.

لابد أن الشهيد البنا رحمه الله كان يتألم لهذه الموجة المعادية للمشايخ التي هزت بقية مكانتهم في نفوس المسلمين، ويتألم لحالة الإنزاع العامة فيهم أمام موجة الغزو الغربي، وقد كان على علاقة وثيقة مع علماء مدينة الاسماعيلية، ثم مع علماء الأزهر في القاهرة.. الخ. ولكن تفكيره كان متجهاً إلى بناء بنية جديدة وشكل جديد لقيادة الأمة، فوجه جهوده نحوها وبني جيلاً من الكوادر كان العديد منهم في مستواهم الثقافي والسياسي أكفأ من المشايخ، وقد أحببتهم جماهير الأمة، وثقت بهم أكثر من أي فئة سياسية أخرى، ولكن تجاوبها معهم بقي محدوداً، لأنها تريد بنيتها القيادية الطبيعية.. تريد قيادة المشايخ..

هذا المسلم القروي البسيط من أسوان أو الصعيد، أو من أحياء القاهرة المستضعفة عند ما يسمع الإسلام من شاب مثقف يعجب به ويحبه، ولكنه يسأل عنه شيخ المسجد في محله أو شيخ القرية ليعرف منه شرعية أفكاره، حتى لو كان هذا

المثقف مفكراً، وكان ذلك الشيخ محدوداً جداً..

الشهيد البنا رحمه الله كان من أهل العرفان والتصوف، فهو يعيش المفاهيم العرفانية في التوحيد والعبودية، ويلتزم بأذكار وأوراد، ويحفظ من أدعية النبي «ص» ويحمل في جيبه أدعية الامام زين العابدين «ع» «الصحيفة السجادية» وكان الجمهور المحب للتصوف والطرق الصوفية يحبه، وهو جمهور واسع في مصر، ولكنه يسأل عنه مشايخه في الزوايا والمساجد، ويأخذ بشهادتهم في حقه.. وعند ما استشهد رحمه الله تأثر عليه جمهور الطرق كثيراً، ولكنهم عند ما يستشهد لهم شيخ زاوية عادي يتأثرون عليه أكثر، ويجعلون قبره مزاراً يتبركون به، و يقيمون ولده مكانه و يتبركون به، و يكثر عدد أتباع طريقته ومريديه..

والشهيد البنا رحمه الله كان عالماً واعظاً، يصلي اماماً ويعظ فينكي ويكي، وكان فيه الكثير من سمات العلماء وتواضعهم، والكثير من صفاتهم، بل كان أستاذاً لعدد من العلماء، وقدوة للعديد منهم.. وكان الجمهور المسلم يحبه كثيراً، ولكن بقيت هناك فواصل تجعل هذا الحب والتقديس محدوداً وتمنع الجمهور أن يطلقه على مداه و يذوب فيه... فالحب والتقديس المفتوح عند جماهيرنا للعالم الفقيه فقط، والشهيد البنا في حس جماهير المسلمين برزخ بين العالم والمثقف، فهو لم يدرس الدين في حلقات العلماء ومعاهد الشريعة، لم يدرس الألفية والمغني والبيضاوي والبخاري والشاطبي، وهو يلبس البدلة الغربية وليس الجبة والعمامة، وهو بعد رئيس حزب، والعلماء لا يدخلون في الأحزاب..

ومثل آخر أكثر وضوحاً، لوقارتنا في المستوى الفكري والتأثير بين الشهيد سيد قطب والشيخ متولي شعراوي لرجحنا الشهيد قطب عليه بمراتب، ولكن شعبية الشيخ الشعراوي في حياته أكثر من شعبية سيد قطب في حياته بمراتب.. فما السبب؟

نحن نعرف أن سيد قطب أو أي مثقف إسلامي في مصر لو دخل في وزارة لانتهدت شعبيته وسقطت شخصيته عند الناس، بينما لم يسقط شعراوي عند الناس وإن تأثرت شعبيته كثيراً.. ومن ناحية أخرى فقد رأينا حجم ردة الفعل الشعبية في مصر لقتل الشهيد سيد قطب، ونستطيع أن نقدر حجمها بأضعاف مضاعفة فيما لو أراد النظام

أن يقتل شعراوي، وقد يمنعه، وإذا فعل فيمكن أن نتصور قبره مزاراً، وصوره تملأ البيوت والشوارع، وشهادته تحدث في الجماهير الموجهة تلوموجة ضد النظام.. حتى مع الأخذ بعين الاعتبار الفرق بين النظام السابق والفعلية ودرجة الصحوة الاسلامية في الستينات والثمانينات..

إن جماهير أمتنا تحب المثقفين الاسلاميين، والشباب المتدين من أتباع التنظيمات والأحزاب الاسلامية، وتؤيدهم في مقابل السلطة غير الاسلامية، وفي مقابل الفئات والأحزاب العلمانية، ولكن كل ذلك الى حدود، أما حبها للعلماء المجاهدين ففيه قداسة خاصة وليس فيه حدود.. ونحن إنما نريد الاسلام لهؤلاء الملايين من أمة رسول الله «ص» وليس فقط لأعضاء تنظيماتنا والمثقفين..

قد تقول: إذا كان العالم في مفهوم جماهيرنا البسيطة هو فقط الذي يدرس على النمط القديم ويلبس الجبة والعمامة، وكانت تقبل بقيادته حتى لو كان جاهلاً، ولا تقبل بقيادة غيره حتى لو كان عالماً.. فهل يجب علينا أن نخضع لمقياسها غير الاسلامي، أم يجب أن نعمل لتوعيتها وتصحيح مقياسها..

ولكن الجواب أولاً، لو فرضنا أن مقياس الأمة خاطيء، وأنها تنقاد فقط لجهاز كهنوتي فيه القليل من العلم والكثير من الجهل، وأنها تمشي وراء الجبة والعمامة بلا تمييز.. فهل أن مهمة التنظيم الاسلامي أن يحرك جماهير الأمة بما تتحرك به لمقاومة العدو، وإسقاط نظامه، وإقامة النظام الاسلامي، ثم يشتغل في ظله ببناء المجتمع الاسلامي وتصحيح مقياسه.. أم أن مهمته أن يدخل مع جماهير الأمة في مناقشة مقياسها في القيادة، ويفتح معها معركة في أفكارها وعواطفها الراسخة حولها.

إذا كان أحدنا ابن منطقة ينقاد الناس فيها لرؤساء عشائريهم ووجهائهم فقط، وقد سيطر عليهم جميعاً عدو كافر.. فأيهما يخدم الهدف أكثر، أن نعمل على تحريك الناس ببنيتهن القيادية الموجودة لطرد عدوهم، أم أن نعمل على تغييرها ببنية أخرى صحيحة، أو أكثر صحة..؟

إن من الفروق العميقة بين طريقة حزب الله وطريقة الأحزاب الإسلامية، أن طريقة حزب الله تريد شيئاً واحداً من جماهير المسلمين أن يتحركوا لمقاومة عدوهم و

إقامة الاسلام، فهي لا تمس شيئاً من أوضاعهم العقيدية والاجتماعية والعاطفية بل تقول لهم، كما أنتم بلامانع، فالمهم الآن أن تطردوا عدوكم الكافر وتقيموا حكم الله.. بينما تريد الأحزاب من الأمة أولاً أن تقبل بتفصيل مجتمعتها وفق مقاييسها، وثانياً أن تتحرك معها بهذا التفصيل الجديد لتحقيق هدف الاسلام، وتكون النتيجة أننا نستطيع أن نفصل على مقاساتنا جزءاً ضئيلاً من الأمة من المتعلمين والشباب فيغيرنا ذلك، ثم ندخل مع الأمة في نقاش لا ينتهي حول مقاساتها ومقاساتنا..

والجواب ثانياً، أن عالم الدين عند جماهير الأمة عِلْمٌ ونمط، وليس علماً فقط، والزّي جزءٌ من هذا النمط، نعم فالزّي له في حس الجماهير دلالات كثيرة، وهي دلالات يقرها علماء الحضارات ويهتمون بها ويقرها الاسلام ويهتم بها الى حد أن مصادر فقهاء الاسلامي الشريف فيها أبواب أو كتب تحت عنوان «كتاب اللباس والهيئة» أو «كتاب الزّي والتجمل» أو ما شابه من عناوين وضعها الفقهاء رضوان الله عليهم عنواناً للآيات والأحاديث والأحكام الشريفة المتعلقة بالزّي، للرجال والنساء، وما يحل منه وما يحرم وما يكره ويستحب..

زّي عالم الدين في حس جمهور الأمة يعني الأصالة، يعني هذا النمط المقدس المتوارث عن أسلافنا الصالحين المتصل بالأجيال الأولى.. الى رسول الله «ص»..

يعني الثبات والصمود على نمط خاص بنا في مقابل أنماط الزّي التي حملتها الحضارة الغازية.. فالجبة والعمامة والعباءة والجلباب والكوفية وأمثالها أشياء لنا، تخصنا، تخص تاريخنا واجيالنا وديننا.. والجاكيت والبنطال والقبعة أشياء لهم، تخص أجيالهم وكفرهم، وإن خفّت خصوصيتها لهم بعد انتشارها في العالم ومرور السنين..

الزّي في حس جمهورنا يعني أن صاحبه يؤكد حضارتنا، ويواجه الحضارة الغازية، ويعني أن في هذا الشخص القابلية لأن يكون مقدساً، وإن لم يكن كذلك بالفعل..

والزّي يعني في حس عالم الدين أموراً كثيرة، ويدفعه الى الترفع عن أشياء كثيرة، فتأثيره التربوي أكثر من تأثير لافيّة يعلقها رجل على صدره دائماً كتب عليها «إني متدين» واللحية جزء من هذا النمط الأصيل أيضاً..

والدراسة على يد العلماء، دراسة البرنامج التقليدي في الكتب الصفراء، نعم في

كتبنا الصفراء المقدسة، جزء أيضاً.. وإذا كانت الدراسة في حلقة المسجد أو الزاوية أو المدرسة الدينية التقليدية أو في مشاهد الأئمة والأولياء فهي في حس جمهورنا افضل من الدراسة في المعهد الديني الحديث وكلية الشريعة الحديثة والجامعة الحديثة، فالحادثة هنا في حس جمهورنا تعني التغريب..

والسمت المتواضع الخاشع، والخلق القيادي الموجه الأمر الناهي بأسلوب العلماء الخاص، ومجموعة الصفات التي يريدها جمهورنا في العالم، أجزاء من النمط أيضاً.. ومقاييسهم فيها دقيقة، في الحد الأدنى منها، وفي الدرجات العالية، وفيما يتسامح به أولاً يتسامح.. الى آخر موازين هذا الحس العميق الدقيق الذي تدخل فيها قيمنا الفقهية والحضارية ومواجهتنا المعاصرة للعدو، والتي يدركها عوام أمتنا بفطرتهم أكثر مما ندركها نحن بعلمنا وثقافتنا..

في أوائل الستينات سمعت من أحد كبار علماء النجف رضوان الله عليه حديثاً عن الزّي، خلاصته، أن زينا الديني ليس أكثر من عنصر وهمي يريده الناس ويتأثرون به، بينما يجب أن يكون التأثير فقط لفكر ومضمون الانسان لالزيه.. وأن الأنبياء والأئمة عليهم السلام لم يكن زهم يختلف عن عامة الناس..

أذكر أنني بقيت أياماً يعاودني التفكير، لماذا هذا الكهنوت والتميز عن الناس، لماذا هذه الفتوى لطلبة العلم والعلماء، لماذا أقبل أن أغشّ الناس بعنصر وهمي وان كانوا هم يطلبون هذا الغش.. وفكرت في أن أترك زي الطلبة وأن أحمل مايقوله عني زملائي والناس، وعدت إليه رحمه الله أسأله وأناقش معه الموضوع، وأناقشه في زيّه هو لماذا يرتديه.. فأقنعني بأن هناك أموراً وهمية عديدة عند الناس نخضع لها لأن في الخضوع لها مكسباً للإسلام أهم من مكسب مخالفتها، وفي نفس الوقت نعمل لإزالتها، وأن مسألة الزي تحتاج الى تدريب طويل بأن نبداً بتعويد الناس على احترام الشاب المتدين المثقف والاستماع اليه والصلاة خلفه، الى جانب استماعهم وصلاتهم خلف المعمم، ثم ننقل الى الحوزة وطلبة العلم، فنشجع بالتدريب عدم لبس الزي الخاص بالطلبة والعلماء.. حتى يتم القضاء على هذا الوهم.

الى هذا الحد كان إغراقنا في التجريد والنظرية واعجابنا بالمهارة العقلية

والمعادلات الفكرية والهندسية، وإلى هذا الحد كانت فواصلنا الفكرية عن جمهورنا.. كان جمهورنا بفطرته الإسلامية أذكى منا فهو يرى أن الزيتي الغربي لا يصلح لعلماء المسلمين، ونحن نرد عليه بأن الأنبياء والأئمة «ص» كانوا يلبسون زيتي أهل زمانهم، ولكنه لا يقتنع، ولا يستطيع أن يقول لنا لقد غفلتم أيها السادة عن أن وضع أمتنا غير طبيعي، وأن الأنبياء والأئمة «ص» كانوا يلبسون أزياء مجتمعاتهم عند ما تكون طبيعية أما عند ما تكون أزياء الحضارة الكافرة الغازية كما في زمن داود وسليمان وعيسى فلا يلبسونها.

وكان جمهورنا أذكى منا فهو يريد بنيته القيادية الطبيعية، ولكننا اندفعنا نعمل نحو ربع قرن ليلاً نهاراً نغرس في المجتمع البنية الوافدة ونسقيها ونقويها، ونستعين بالبنى الطبيعية ونتسترها، ورأينا الإنتاج جيداً في فئة الشباب وعجبتهم الهيئة اللينة، فشكلناها بنيتنا وفصلناها بمقاييسنا، نحسب أننا ملكنا بهم مفتاح جماهير الأمة أو ملكناهم مفتاحها، وإن البنى التنظيمية ستسري منهم إلى المجتمع كالماء في سواقي البستان، أو كالحادي في حلقة ذكر أو في موكب حسيني، أو كرئيس العشيرة يثير نخوة رجاله لدفع غارة.. ولكننا تفاجأنا عند أول نازلة بمثالية أفكارنا عن خصوبة ساحتنا الرئيسية وحيويتها، وتفاجأنا بما هو أعظم، بأن الأمة تقول لنا عزيز علينا يا أبناءنا ما تلاقونه، فأنتم أعز علينا من كل هؤلاء العلمانيين وأحزابهم ولكننا لا نتحرك إلا ببنانا الطبيعية فنحن نريد شيوخ عشائر ومرجعاً وعلماء مناطق وهيآت حسينية وشيوخ طريقة.. أما تجاوزنا الماضي معكم فقد كان قسم منه لكم، ولكن أكثره كان للبنى الطبيعية التي استظلمت بها، بنية المرجعية والعلماء..

أطمئن بأن جهودنا الضخمة المخلصة التي صرفناها على بناء التنظيم في العراق و إعداد كوادره لقيادة الأمة، لو أننا صرفناها على تقوية البنى الطبيعية في المجتمع، على عالم الدين في العراق، وملء حوزة النجف والمعاهد الدينية وكلليات الشريعة بطلبة العلوم الدينية وملء المساجد بالعلماء، وتقوية شيوخ العشائر وجذبهم.. لكان الأمر يختلف، ولكننا انشغلنا بصناعة محرك جديد للمجتمع، ولم نهم بإصلاح محركه الطبيعي إلا بشكل ثانوي مساعد.. فكان أن عجز المحركان.

طريقة حزب الله والتشكيلات التنظيمية

يوجد ثلاثة أنواع رئيسية من التنظيم في العمل الاسلامي :

النوع الأول: التنظيم الحزبي السياسي: وهو التنظيم الذي يقدم نفسه أطروحة قيادة في منطقة كبيرة أو صغيرة، ويكون نظرياً أو عملياً قيادة بديلة عن قيادة العلماء وبقية البنى الطبيعية، أو قيادة شريكة لها، ويكون مؤطراً تنظيمياً، أي أنه يتضمن نظام عضوية وهيكلية تنظيمية على رأسها قيادة فردية أو جماعية... فكل تنظيم اسلامي اجتمعت فيه هذه الصفات فهو تنظيم حزبي وإن لم يتسم حزباً وتسمى حركة أو منظمة، وما شابه من الأسماء..

وطريقة حزب الله لا تتبنى هذا التنظيم ولا تراه صحيحاً لمجموعة أسباب نؤكد منها على سببين اثنين: أولهما، أنه يتناقض مع بنية القيادة الطبيعية في الأمة كما تقدم، وثانيهما، أنه يؤطر فئة محدودة في إطاره التنظيمي دون بقية المسلمين، وبالتالي يعجز عن استيعاب المسلمين بفئاتهم المختلفة..

النوع الثاني: التنظيم الحزبي السياسي، بقيادة العلماء، ويمكن أن نتصور هذا النوع من التنظيم بعدة صور، ولكن انسجامها مع طريقة حزب الله في العمل مشكل جداً، حتى لو كان تنظيمياً خاصاً بمنطقة معينة واشترك في قيادته كل علمائها.. فالعقبة الاساسية المستعصية الحل هي عملية التأطير التنظيمي لفئة من الناس مهما بلغت، وتمييزها عن بقية المسلمين بعضوية الحزب.. فهذه العملية تتضمن سلبات كبيرة على العمل الاسلامي، وعلى قيادة هؤلاء العلماء لبقية المسلمين الذين لم يسجلوا في حزبهم، والذين يكون الكثير منهم أفضل من عدد من أعضاء الحزب، وأقرب منهم الى العلماء..

إن المشكلات الأخرى أمام الحزب السياسي بقيادة العلماء قد تكون قابلة للحل من قبيل أخذ شرعية العمل من المرجع وليّ الأمر، والحفاظ على وحدة علماء الحزب مع غيرهم، وعدم المساس بالبنى القيادية الطبيعية في المجتمع.. الخ. ولكن مشكلة التأطير التنظيمي ونظام العضوية واللجان المسؤولة تبقى مستعصية الحل، فإن

تمسكت القيادة بها بشكل كامل كما في الأحزاب السياسية المتعارفة، وحتى بشكل جزئي في بعض القضايا، صارت في نظر الجماهير قيادةً فئوية، أو تحولت بالفعل إلى قيادة فئوية، وإن تسامحت بها ابتعاداً عن الفئوية صارت العضوية واللجان شبيهة بعدمها، وضعف الإطار التنظيمي وتلاشى، ولم يبق من الحزب إلا اسمه.. وفي هذه الحالة فإن التعبير عنه بـ «الهيئة العلمائية المؤتلفة» أصح من التعبير عنه بالحزب السياسي..

النوع الثالث: التنظيمات التنفيذية: وهي تشكيلات إجرائية لتسيير الأعمال، تكون بإشراف الحزب أو التنظيم، وتكون في طريقة حزب الله بإشراف العلماء.. وتكون هيئات إدارية على مستوى البنية القيادية، أو على مستوى الأجهزة التنفيذية، من قبيل هيئة العلماء في المدينة أو المنطقة، أو مجالس قيادة التحرك والثورة، والأجهزة الاعلامية والمالية والعسكرية والسياسية المتنوعة..

بحسب البعض أن طريقة حزب الله في العمل الاسلامي عند ما لا تقبل التنظيم الحزبي فهي تؤيد الفوضى وتعادي نظم الأمور وإتقانها، وتكوين أجهزة حديثة لها.. كلاً، فالاعتقاد بأن الأمة الاسلامية لا تقاد إلا بعلمائها وبُنائها الطبيعية الأخرى السائرة في خطهم لا يعني القبول بالفوضى، أو بالأساليب القيادية والإدارية المتخلفة، ورفض الأساليب الحديثة، المبتكرة منها أو الغربية أو الشرقية.. نعم هو يعني عدم صحة الإندفاع وراء التشكيلات التنظيمية والإدارية التي لا تنسجم مع طبيعة مجتمعاتنا وأهداف أعمالنا.. وهذا هو الضابط الأول لجميع التشكيلات التنظيمية التي تتبناها طريقة حزب الله.. وفيما يلي نذكر عدة ضوابط أخرى أو ملاحظات حول هذه التشكيلات:

فنها: أنه ينبغي الإقتصار على الحد الأدنى الضروري أو اللازم من هذه التشكيلات، فكثرتها من غير لزوم فيها أضرار كثيرة، فهي تستهلك الطاقات، وتعرقل الأعمال، وتنشر أخلاقية الروتين في الناس وتقلل فيهم الاعتماد على النفس، والتفكير بالمبادرات والإبتكار..

ومنها: أنه ينبغي أن تكون بسيطةً بعيدةً عن التعقيد، فالجهاز الذي يحتاج إلى

حلقتين أو ثلاث حلقات عرضية أو تسلسلية لا يُنشأ له خمسة، والجهاز الذي يكفي لإدارته شخص لا تنشأ له هيئة، والجهاز الذي له عمل من طبيعة واحدة لا يعطى عملاً من طبيعة أخرى بعيدة والجهاز الذي ينبغي أن يكون محصوراً في منطقة معينة لا يعطى عملاً في منطقة أخرى، وهكذا.. والبساطة في الأجهزة تعني أيضاً أن يبدأ الجهاز بالمتيسر، ولو بشخص واحد ويتكامل من خلال حاجة العمل وتهيؤ الأشخاص المستعدين للعمل..

ومنها: ان لا تحتكر الأجهزة العمل، وتمنع المسلمين من المبادرات والنشاطات التي من نوع عملها بحجة المركزية.. مثلاً إذا أنشأت طريقة حزب الله أجهزة مالية وإعلامية وعسكرية، فلا يصح أن تمنع الأمة من النشاطات المشابهة، وحتى من إنشاء أجهزة مماثلة، مادام القائمون بها متدينين يخدمون أهداف حزب الله ولا يضررون إضراراً مباشراً بأجهزته، سواء كانوا أفراداً أو هيئات أو تنظيمات وأحزاباً.. أما إذا قبل أصحاب العمل التنسيق مع أجهزة حزب الله وإشراف العلماء، فيكونون جزءاً لا يتجزأ من أجهزة حزب الله..

إن مقاومة السلطة أو مقاومة العدو الكافر تحتاج الى سبل من العمل الجماهيري وأمواج من فعل المقاومة، ولا يجوز لنا أن نمنع أحداً من المسلمين من المشاركة في ذلك لمجرد انه لم ينسجم معنا في الطريقة، ما لم يبلغ حداً مهماً من الضرر على أصل العمل.. أما إذا قامت أجهزة حزب الله بمنع غيرها من القيام بأعمال من نوع عملها، أو اعتبرت نفسها وحدها تمثل حزب الله، مع أن الاعمال والأجهزة الأخرى خاضعة لإشراف العلماء ومقبولة منهم، فعنى ذلك أن هذه الأجهزة قد أُصيبت بالفئوية، وأصبحت شبيهة بأجهزة الأحزاب والتنظيمات العاملة في الساحة، وقد يكون غيرها أقرب الى طريقة حزب الله منها..

ومنها: أن تحرص هذه الأجهزة على العلنية مهما أمكن إلا عند الضرورة، لأن علنية أعمال المقاومة على أي مستوى كان بحد ذاته يعتبر مكسباً لقضية الاسلام.. مثلاً عند ماتعتقل السلطة عدداً من المجاهدين وتقتل بعضهم أو تفصل البعض من وظائفهم، يقوم العلماء بحث المسلمين في المساجد على التبرع لعوائل إخوانهم، وإنشاء صندوق

لمساعدة عوائل الشهداء والمسجونين، وجمع التبرعات علناً في المساجد والاسواق في المدن والقرى.. إن فرض هذا العمل العلني على السلطة مكسب كبير للاسلام حتى لو اعتقلت بعض القائمين به مرات متتالية، وتحولت مسألة جمع التبرعات الى «قضية» مع السلطة..

ومنها: أن هذه الأجهزة والتشكيلات مضافاً الى ضرورة انسجامها مع البنى القيادية الطبيعية، ينبغي أن تنسجم مع الحس الاسلامي الاجتماعي في مجتمعاتنا، سواء في هيكليتها الإدارية أو في عملها.. مثلاً من المتعارف في مجتمعاتنا أن يكون لبعض المتدينين المتميزين في مواهبهم وتأثيرهم علاقة وثيقة بمجموعة أشخاص في محله أو محل عمله أو مدرسته، فهم يثقون به ويريدون العمل معه، فينبغي مراعاة ذلك في الجهاز العملي واعتبار فلان وجماعته جزءاً من الجهاز، كما كان يُراعى ذلك في صدر الاسلام ويُعهد ببعض الأعمال الى فلان وأصحابه..

كيف يشرف عالم الدين على تشكيلات حزب الله

من الأمور الجوهرية في شخصية عالم الدين أن يعرف أنه مبلغ وموجه للمسلمين وليس مديراً تنفيذياً، وإن كان من أقدر الناس على الإدارة والتنفيذ، وإن كان العمل الإداري لخدمة المسلمين مقدساً وعظيماً المثوبة.. فطاقة الانسان محدودة وعمره محدود، وهناك أولويات تحكم أعماله، والأولوية التي يجب أن تحكم أعمال العالم دائماً هي التبليغ والتوجيه، والإنشغال بالعمل الإداري سيأخذ قسماً من طاقته، ويكون على حساب عمله في التبليغ..

وهناك مقام جعله الله تعالى لعالم الدين أنه وارث الأنبياء والأئمة «ص» وممثلهم في حدود علمه وحقل عمله، في قرية أو مدينة، على نطاق خمسة أشخاص يصلون خلفه ويستمعون اليه، أم على نطاق بلد من بلاد المسلمين، أم على نطاق العالم الاسلامي.. وهناك أعمال تناسب هذا المقام المقدس، وأعمال لا تناسبه..

بل إن عمل عالم الدين في الواقع أعم أنواع الإدارة وأرقاها على الإطلاق، لأنه يتعاطى مع افكار الناس وعقائدهم لتصحيحها وتقويتها، ومع أخلاقهم لرفع مستواها

ومع أعمالهم لكي تنسجم مع ما أحل الله تعالى وما حرم.. وعند ما يؤثر على الناس في هذا المستوى الراقى بأي مقدار، يكون قد أثر بأضعافه على إدارة أعمالهم، ورفع مستواها.. أما إذا انشغل عن تقريب المسلمين من الله تعالى فإنه يصبح كما قال بعضهم عن بعض التفاسير: كتاب فيه كل شيء إلا التفسير، فيكون هو مشغولاً بأي شيء إلا بعمل العلماء في الهداية والتبليغ.

إن من أصول الإدارة أن عمل الانسان كلما اتسع احتاج الى التفرغ والاشراف، وتركيز نظره واهتمامه على أصول العمل وكلياته وخطوطه العامة، دون الانشغال بالجزئيات والتفاصيل.. فالموظف المسؤول عن عمل جزئي لا بد أن يهتم به ويتقنه، أما اذا صار مسؤولاً عن قسم فيه ثلاثون موظفاً فلا بد أن يتركز اهتمامه على أسس العمل ومجراه العام، وإن اهتم أحياناً بالجزئيات.. وهكذا كلما اتسع حقل المسؤولية كلما وجب تركيز الاهتمام على كليات الأمور ومهماتها.. وحقل عمل عالم الدين أوسع الحقول على الإطلاق، لأن عليه أن يراقب كل حقول عمل الناس ويوجه أصحابها ويقرب عملهم مما يريده الاسلام، فكما أن علم الدين هو علم العلوم وأرقاها لأنه يوجهها جميعاً، فكذلك عمل عالم الدين هو توجيه الناس في إدارتهم للأعمال، فهو أرق أنواع الإدارة.

وعلماء الدين من أبناء هذه الأمة، ومن أنواع الناس، فطبائعهم في إدارة الأمور مختلفة، فمنهم من يهتم بكليات الأمور والأعمال دون الجزئيات، ومنهم من يهتم بالجزئيات دون الكليات، ومنهم من يحاول الجمع بينها بأسلوب وآخر.. كما أن تربيتهم الإدارية أيضاً مختلفة، فمنهم من تأثر في أسلوب تعاطيه مع الأمور وإدارته للأعمال بمحيطه، أو بشخصية أعجب بها، أو ببعض الأفكار والنظريات، فغلب عليه التسامح في التفاصيل مادام الخط العام محفوظاً، أو غلب عليه التدقيق في المناقشة والمحاسبة.. الخ، ولكن الذي يوحد الأسلوب القيادي والنمط الإداري عند علماء المسلمين أو يجعله متقارباً هو معرفتهم بالعقيدة والشريعة والأخلاق الاسلامية، واقتداؤهم بالنمط القيادي والإداري عند النبي «ص» والأئمة «ع» والسلف الصالح من علماء الأمة، هذا النمط التوجيهي الروحاني الخاص الذي يتعامل مع أعالي الأمور

وكلياتها، فيؤثر فيها وفي جزئياتها أكثر مما لوانشغل العالم بها وركز اهتمامه عليها..
 مثلاً، عند ما يفكر عالم الدين بعمل لمساعدة عوائل الشهداء والمسجونين،
 ويريد تكوين جهاز لجمع التبرعات والزكوات من المسلمين، يختار شخصاً متديناً
 يتصف بالصفات اللازمة لهذا العمل، مثل الغيرة على عوائل المسلمين والقدرة على
 أداء العمل، فيعهد إليه بالأمر، ويعطيه الخطوط العامة للعمل، فيقول له مثلاً:
 يا فلان، إهتم بهذا الأمر فإنه عبادة لله تعالى بخدمة عوائل إخوانك المظلومين،
 وعبادة لله تعالى بكشف اضطهاد السلطة لمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر،
 وعبادة لله تعالى بتعويد المسلمين على الإنفاق على العمل الاسلامي.. وعبادة من
 جهات أخرى عديدة..

أسس صندوقاً باسم «صندوق عوائل الشهداء والمسجونين» واطبع وصولات
 باسمه، وأمسك دفترًا للوارد والصادر، واختار شخصاً متديناً أميناً شجاعاً وزعهم
 على مساجد المدينة ليجمعوا التبرعات من المسلمين.. وعلمهم ماذا يقولون للناس،
 وكيف يواجهون شرطة السلطة وأزلامها بكلام عاطفي منطقي قوي، وأنه إذا اعتقل
 أحدهم فقد دخل في عبادة أعظم من عمله، وأنه بالخيار بين أن يقول إسمك ويحملك
 مسؤولية هذا العمل، أو يتحملة هو فقط فيكون أجره أكبر.. وأوص كل واحد منهم
 أن يهنيء من يثق به، لكي يحل محله و يقوم بعمله إذا اعتقل..

وإذا اجتمع عندك وارد شهر فقسمه على عوائل الشهداء والمسجونين حسب
 حاجتهم، وعدد أفراد العائلة، ومستوى المعيشة في المحيط الذي يعيشون فيه، واكتب
 لهم مع المبلغ كلمات مبشرة مسرة، واطلب منهم الدعاء للتوفيق بعملك، ولا تدخر
 مما تجمع شيئاً في آخر الشهر مادمت لم تستوعب كل العوائل ولم تسد كل حاجتهم..

وإذا رأيت ان الأمر يحتاج الى تفرغك فتفرغ واترك عملك الشخصي، وخذ من
 الصندوق نفقتك بمقدار متوسط الناس، ووسع عملك عند ما تستطيع لتشمل المدن
 الأخرى وحتى القرى، واجعل فروعاً للصندوق في المناطق حسب الحاجة، وفرغ
 الأشخاص النشيطين للعمل.. الخ.

في مثل هذا الجهاز المالي، يكفي في إشراف عالم الدين جلسة كل شهر مثلاً مع

مسؤول الصندوق، يقدم له تقريراً عن عمله، فيوجهه بما يلزم من أحكام شرعية وأخلاقية وملاحظات عملية، وهم بالأمور الطارئة الهامة مثل اعتقال من يجمعون التبرعات، فيشكوا ذلك الى المسلمين في المسجد، ويتصل بالعلماء الآخرين للتعاون في إخراجهم من المعتقل، وبالضغط على السلطة لكي تفرج عن المسجونين، ولا تمنع المسلمين من مساعدة عوائلهم، وما شابه..

وحتى لو تطور هذا الجهاز المالي فأصبح مؤسسة كبيرة تنفق على العمل الاسلامي ولها مشاريعها الانتاجية، فإنه يكفي لإشراف العالم عليها جلسة أو جلستان في الشهر مع هيئتها الإدارية.. وهذه الطريقة يستطيع عالم الدين أن يدير أجهزة وتشكيلات كثيرة. ويحتفظ بمقامه الشرعي، ويحتفظ بمهمته الأساسية في الوعظ والإرشاد والتبليغ والتدريس ومجالس القرآن والدعاء، والتفكير في المجرى العام لحركة الاسلام في المنطقة، وحركة أعدائه..

كيف يتعامل العالم مع الأحزاب والتنظيمات

التنظيم الاسلامي في نظر عالم الدين فئة من فئات الأمة العاملة في مقاومة العدو، وجزء من طريقة حزب الله التي تشمل كل الفئات، وموقع التنظيم من العالم ومن طريقة حزب الله هو موقعه العملي من حركة الأمة في مقاومة العدو ونصرة الاسلام.. وهذه بعض النقاط التي ينبغي لعالم الدين مراعاتها في تعامله مع الأحزاب والتنظيمات

فنها، شرعية عمل التنظيم الاسلامي، فالتنظيم يطرح نفسه قيادة في الأمة الاسلامية على أي مستوى من المستويات، فلا بد أن تتوفر في قيادته شروط القيادة الشرعية بحسب فقه المذهب الذي تبناه، وإلا كانت راية ضلالة كما في بعض الأحاديث الشريفة، أو راية لا تعرف شروط العمل السياسي الاسلامي.

فعلى فقه المذاهب الأربعة لا بد أن تتوفر في قائد التنظيم الشروط الشرعية المطلوبة في الأمير على الأقل، من الاستقامة والكفاءة السياسية والقيادية.. الخ، وإذا كانت قيادة التنظيم شكلاً من أشكال الشورى فلا بد أن تستند الى فتوى بعض المذاهب في

جواز القيادة لشورى مؤلفة من أكثر من شخص، أو تختار أميراً جامعاً للشرائط.. وعلى فقه مذهبنا الشيعي لابد للتنظيم من إجازة الفقيه ولي الأمر، لأنه صاحب الحق الشرعي في إدارة الشؤون السياسية للمسلمين، وعمل التنظيم ودعوته المسلمين الى العمل معه من أبرز التصرفات في شؤون المسلمين، فهي تصرف في حق ولي الأمر، ولا يجوز التصرف في الحقوق المعنوية والمادية إلا بإجازة أصحابها.. ولا يكفي لشرعية التنظيم إطلاع ولي الأمر على وجوده وعدم اعتراضه عليه، بل ولا حتى تعامله وتعامل أجهزته معه، لأن السكوت والتعامل في مثل هذه الأمور السياسية لا يعد إقراراً ولا إمارة عليه، خاصة من ولي الأمر الذي عليه ان يجذب كل فئات المسلمين ويوجههم نحو مقاومة العدو.

ومع أن شرعية قيادة التنظيم وعمله مسألة أساسية، إلا أن طرحها من قبل عالم الدين يثير قيادة التنظيم وأعضائه عادة ويعتبرونه عملاً عدائياً، فينبغي للعالم أن يعامل المسألة على أنها شأن يخص براءة ذمتهم بينهم وبين الله تعالى، وحكم شرعي يجيب عنه اذا سأل أحد ولم يكن في إجابته ضرر على وحدة الصف، خاصة أن قواعد التنظيم الاسلامي تكون مطمئنة الى شرعية تنظيمها وعملها، وهدف عالم الدين جمع كل الطاقات وتوحيدها في مواجهة العدو.

ومنها، أن يتحمل عالم الدين حالة الفتوى الشديدة والإعتداد الذي تصاب به التنظيمات عادة، فتتصور قيادة التنظيم وأفرادها أنهم أصحاب الساحة وممثلوا الأمة دون سواهم، فيجب أن يُرجع إليهم في كل أمر، وأن لا يُعمل عملٌ إلا برأيهم.. وينسبون أعمال أفراد الأمة الى تنظيمهم لأوهى سبب وبدون سبب، و يضيقون ذرعاً بالإشادة بأعمال الفئات والتنظيمات الأخرى، و يذكرون اسم تنظيمهم في محله وغير محله.. الخ.

وهي حالة تحتاج الى معالجة متأنية بالتوجيه والاشادة بالأعمال الجيدة التي يقوم بها التنظيم، وتخفيف حدة الفتوى وعرض الذات عند قيادته وأفراده، وتوسيع أفقهم وصدرهم لفئات الأمة العريضة المستقلة عنهم، أو المنافسة لهم..

ومنها، أن يحتفظ عالم الدين بعلاقته بالتنظيم الاسلامي وفق الصيغة التي تطرحها

طريقة حزب الله تعالى، وهي علاقة المسؤولية العامة والإشراف والتوجيه والتأييد العام لمجموع المسلمين في منطقة عمله بمن فيهم التنظيم أو التنظيمات الاسلامية.. إن هذه العمومية في المسؤولية والعلاقة، وتحقيق الموازنة فيها بين مجموع الفئات أمر أساسي لعالم الدين، ولكنها تحتاج مع التنظيم الى دقة أكثر، لأن التنظيم يريد علاقة مميزةً بالعالم خاصة إذا كانت له شعبية وتأثير، ويعمل على احتوائه ونسبته ونسبة أعماله إليه، وينبغي للعالم أن لا يضيق صدره لذلك وأن يحقق الموازنة عملياً في علاقته مع الجميع، وقولياً عند ما ينبغي ذلك..

ومنها، أن التنظيم الاسلامي عادة يحتاج الى دفع مستمر الى العمل والتضحية أكثر من أفراد حزب الله وجماهير الأمة، خاصة إذا أدمنت قيادته وأفراده على العمل الفكري وترسخ فيهم الإحساس الفئوي، فهم يميلون الى العمل الفكري الاعلامي الاجتماعي والدعاية السياسية، يريدون بذلك الاحتفاظ بعناصر التنظيم وأجهزته، وتعريف الأمة به وبأمجاده، ولا يحبون زج عناصرهم في خضم الصراع السياسي الساخن، ولا تعريضهم للشهادة..

إن هذه الروح التجارية من أسوأ حالات الركود التي تصاب بها قيادة التنظيم الاسلامي، لأنها حينئذ تريد أن يكون تنظيمها على هامش الصراع مع العدو وأن يتصدر الانتصارات والدعاية السياسية.. ومعالجتها تكون بدفع التنظيم الى العمل والتضحية بوسيلة وأخرى، وإلا فإن دوره يتقلص طبيعياً ويتحول الى جماعة شبه قاعدة، أو شبه عاملة.

ومنها، أن قيادة بعض التنظيمات الاسلامية تحرص على سرية نفسها دون موجب خاصة إذا أصبح التنظيم فئة من معارضة واسعة للنظام، أو كانت قيادته مهاجرة ومعروفة لنظام بلدها وللإستعمار..

إن هذا التقليد الحزبي، أي تقليد القيادة المجهولة للأمة ولعناصر تنظيمها، يخالف سيرة القيادة في أجيال المسلمين وعند مختلف مذاهبهم، فقد جرت سيرتهم على أن تكون القيادة معلومة مشخصة لأنصارها ولأمة، وحتى الفئات الباطنية السرية كالإسماعيلية كانت سريرتهم في عناصرهم وليس في قيادتهم..

نعم إن العمل الاسلامي يحتاج الى سرية تشكيلاته العسكرية وسرية عناصره في الظروف القمعية، ولكن ينبغي الحرص على علنية قيادته لعناصرها على الأقل، أما إذا انتفى الموجب لسريتها فيجب أن تكون معلنة، لأن في بقائها مجهولة أضراراً متعددة على التنظيم، وعلى الذهنية العملية في الأمة..

لذا ينبغي لعالم الدين أن يعمل على معالجة هذا النقص في التنظيم فيحرص على التعاون مع قيادة معلومة للناس..

الأساس الرابع

حرية العمل للامة وتشجيع مبادراتها

مدرسة حب الجماهير والثقة بها

يوجد عاملان يجعلان الانسان محترما في المجتمع، أن يكون المجتمع في حالة مدنية دينية، أو مدنية مادية، ولا ثالث لهما..

فالمجتمع الذي يعيش مجموعة مفاهيم الاسلام، عن الانسان وأنه أفضل المخلوقات في الكون وخليفة الله في الارض، وأنه يحيط به غيب كبير، وأن لأفكاره وافعاله واقواله قيمة كبرى، وأن حرمة عند الله اعظم من حرمة الكعبة، فحقوقه المادية والمعنوية مقدسة يغضب الله على من يمسها، وخدمته المادية والمعنوية عمل مقدس يحب الله من يسعى بها.. الى آخر مفاهيم وأحكام الاسلام الضخمة العميقة والدقيقة التي تحيط بالانسان وشؤونه.. إذا كان المجتمع يعيش هذه النظرية عن الانسان ويمارسها في التطبيق بمستوى مقبول، فهو يعيش في حالة مدنية إسلامية، والانسان يكون فيه محترما له كيانه وشخصيته وحرمة وحقوقه، وعليه واجباته..

والمجتمع الذي يعيش المدنية المادية كالمجتمعات الغربية المعاصرة يكون الانسان فيه محترما أيضاً، وإن كان منطق هذا الاحترام مختلفاً، ودرجته أقل.. فنطلق الإحترام في المجتمع الاسلامي أن الانسان كائن عظيم المكانة، وأن الله تعالى يشدد على احترامه ويعاقب من لا يحترمه.. اما المنطلق في المجتمع المادي فهو معادلة في التعايش يتوصل اليها اهل ذلك المجتمع بعد تجاربهم الطويلة المتنوعة في الصراع

والعدوان تقول: إن الحل أن يحترم الناس بعضهم البعض وفق ضوابط وقوانين الحياة المادية، وذلك بقطع النظر عن مفاهيم الدين عن الانسان، و بقطع النظر عن وجود الله تعالى، وعن الإيمان والإلحاد، فالإنسان قديكون قرءاً قفز إلى هذا الوضع الجديد أو أي شيء آخر، ولكن حياة المجتمع لا تتم ولا تزدهر إلا باحترام حقوقه..

هذه النتيجة في احترام الانسان تشبه النتيجة التي يتوصل اليها ركاب سفينة عانوا طويلاً من الصراع مع بعضهم وإلقاء بعضهم في البحر، وأوا معاناة غيرهم أيضاً، فاقنعوا أخيراً أن حل المشكلة بالاحترام المتبادل وفق ضوابط متفق عليها..

إن منطلق احترام الانسان في المجتمعات الغربية وجوهره هذه المعادلة المادية في التعايش لا أكثر.. ولذلك، فإن عمقه ليس في الضمير ولا في عقوبة الله تعالى ومثوبته.. عمقه أن يطال ك القانون ويرك الناس قد أو ثقته ورميته في البحر، أما إذا اغتنمت غفلته فدفعته، أو دبرت له مزلقاً ولم يطل ك القانون، فيحق لك أن تفرح بأنك ذكي.. أما إذا اشتريت من القبطان حق الحكم في السفينة، أو اشتريت السفينة وصار القبطان موظفاً عندك، فقد صرت السيد المحترم وصار احترام الجميع ضمن إطار احترامك..

ولذلك، فإن مدى هذا الإحترام هو مدى أطراف معادلة التعايش، أي مدى هذه السفينة فقط دون السفن الأخرى، لأن المعادلة تعني أن نعيش نحن أهل السفينة باحترام، ولا تعني أن لانكون قراصنة على السفن الأخرى، مادام ذلك ضمن معادلة الاحترام.. وهذا هو السبب في أن حقوق الانسان تعني عندهم إنسانهم فقط، أما إنسان الشعوب الأخرى غير الغربية فلا تعنيه ولا تشمله..

وأياً كان الأمر، فالانسان العضو في المجتمعات الغربية محترم بسبب هذه المدنية المادية أكثر من الانسان في مجتمعات العالم الثالث التي لم تتوصل بعد الى هذه المعادلة المادية في التعايش، ولا هي تعيش مفاهيم الاسلام عن الانسان وتمارسها، ماعدا تجربة الدولة الاسلامية في إيران التي بدأت بتطبيق احترام الاسلام للانسان، أما في عامة شعوب العالم الثالث فلا هناك حالة مدنية إسلامية ليكون الانسان في ظلها مقدساً، ولا هناك اتفاق اجتماعي على التعايش باحترام..

وهكذا فقدنا بتخلّينا عن مدينتنا الاسلامية الاحترام الإلهي للانسان، ثم لم نستورد احترام المدنية الغربية لإنسانها.. بل على العكس سادت في بلادنا منذ الغزو الغربي مدرسة اضطهاد الانسان المسلم واحتقاره حيث مارسها بحقنا الغزاة القراصنة بحكم أننا من سفينة أخرى، ثم علّموا في مدرستهم هذه سياسيينا ومثقفينا، وغرسوا في أذهانهم أن الانسان الجدير بالحرية والحقوق والاحترام هو الانسان المتمدن الراشد، الانسان الغربي ومعه النخبة المتغربة في كل بلد، وأن جماهير الشعب لا يمكن اعطاؤها الحرية لأنها متخلّفة جاهلة فهي تحتاج الى قيمومة النخبة الراقية لتثقيفها وتمدينها وترشيدها على مدى طويل.. وما زالت مدرسة تحقير الانسان هذه هي السائدة عند الغربيين وتلامذتهم.. ومن أول مظاهرها هذا القمع الدموي لشعوب أمتنا وفرض أنظمة وحكام عليها بالقوة، ومنعها أن تختار حاكمها ونظامها بإرادتها كما تفعل الشعوب الغربية..

أما أسوأ التأثيرات الثقافية لمدرسة التحقير الغربية لإنساننا فلعلها التأثير اللاشعوري على أذهان بعض علماء المسلمين ونظرتهم الى جماهيرنا المسلمة. وأسوأ ما في هذه النظرة أن بعضهم يلبسها ثوباً اسلامياً فيأخذ وجهاً واحداً من نصوص الاسلام عن الانسان كآيات والأحاديث التي تصف أكثر الناس بأنهم لا يعلمون ولا يؤمنون ولا يعقلون، وما شابه، وينسى أن نظرة الاسلام للانسان تتكوّن من عدة وجوه متكاملة، وأن هذا الوجه السلبي لأكثرية الناس لا يرفع قداسة جماهير المسلمين والثقة بها، بل يؤكدّها.

من أين جاء لبعض علمائنا هذا الكفر بجماهيرنا المسلمة، وعدم الثقة بها إلا من مدرسة التحقير الغربية التي تعمل على نشر الشعور بالصّغار والدونيّة في شعوبنا.. إن مرض النخبوية والتعالي الفئوي عن الجماهير الذي يعيشه سياسيون ومثقفون الغربيون قد سرى إلينا نحن أيضاً، الى بعض علماء الدين المترفين، وبعض العلماء المتدينين جداً، والى كل الحركات الاسلامية التي تعتمد على الفكر والطليلة الحركية أكثر من اعتمادها على الجماهير..

أما عالم الدين المترف ترفاً مادياً أو فكرياً، فلا يكاد يختلف في نظره الى جاهير المسلمين عن المثقف المتغرب، بل هو تلميذه في ذلك وان لم يشعر..
وأما أولئك «المتدينون جداً» فهم المثاليون في فهمهم للتدين بالاسلام، الذين يرون أنه لا يوجد متدينون في المليار مسلم إلا أفراد قليلون جداً، وأما عامة المسلمين فهم عوام جهال همج رعاع، طلاب دنيا، أشباه المسلمين، ليسوا أهلاً للثقة.. الى آخر أحكامهم ومقولاتهم..

هؤلاء النوعية من العلماء وقعوا في مرض النخبوية «الدينية» لأنهم وضعوا أمام أعينهم مستوى تدين الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم، وخاصة الخاصة من الأولياء، الذين هم قدوات البشرية وقم الإيمان العليا، ثم أسقطوا من الحساب كل مستويات التدين ودرجاته الأخرى، وابتلوا بسوء الظن بالمسلمين، حتى بإيمان المؤمنين ونوايا العاملين وتضحيات المضحين.. أيها السادة، إن الله تعالى لم ينزل دينه لخاصة الخاصة فقط، ولم يجعل درجة القبول في الجنة درجة المئة فقط، بل من رجحت حسناته على سيئاته فبلغت واحداً وخمسين في مقابل تسع وأربعين فهو مقبول وفائز.. وما هكذا كان ينظر الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم الى الناس و يتعاملون معهم، إن نظرهم الى المستضعفين من الكفار كانت مليئة بالإشفاق، أما الى المسلمين فهي الحب العميق والتقدير والثقة ما لم يخرج احدهم من الاسلام الى النفاق.. لقد بلغ من حلم إبراهيم «ص» على الكفار أنه أخذ يناقش الملائكة الذين أرسلوا بالعذاب على قوم لوط، فقد مروا عليه أولاً فوجل منهم فطمأنوه وبشروه بإسحاق، وأخبروه أنهم ذاهبون لأداء مهمتهم في قوم لوط:

«فَلَمَّا سَكَتَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطَ. إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ. يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ» ٧٤-٧٦-هود

أرايتم كيف يمتدح الله تعالى حلم إبراهيم «ص» وجداله عن هؤلاء المجرمين المفسدين المكذابين، وهل ذلك إلا لأنهم بشر، والبشر عزيزون على الله تعالى، ولا يهلكهم إلا بعد أن تقوم عليهم الحجة أضعافاً مضاعفةً وينقطع منهم أمل الخير، ومن

ذرياتهم ايضاً..

يُروى أن نبياً من أنبياء الله تعالى دعا الله على قومه بالهلاك قبل استحقاقهم، وكان ذلك النبي يصنع الفخار وبيعه، فأرسل الله ملكاً فكسره موسم الفخار الذي أعده، فشكا الى الله خسارته وتلف موسمه، فأوحى الله اليه: يا هذا إذا كان فخارك الذي صنعتته عزيزاً عليك الى هذا الحد، فاعلم أن عبادي الذين صنعتهم أعز علي من فخارك، وانت تدعوني أن أهلكهم قبل أن ينضب منهم أمل الخير..

يكفي دليلاً على أن الناس عزيزون على الله تعالى أن أنبياءه وأوليائه وخاصة عباده لا يدخلون الجنة إلا بخدمة هؤلاء الناس مهما كانوا، وببذل جهودهم وأعمارهم في سبيلهم.

إن المسلمين هم معدن الخير الى يوم القيامة، وإن غالبيتهم العظمى مازالت على سلامة الفطرة ونقاها وقابلياتها العظيمة، وعطشها لأن يسقيها العلماء من ينابيع الاسلام لتتفجر بالخير للعالم، وإن المسلم الواحد منهم عالم من الفطرة والعقيدة، والمؤمن الواحد منهم كنز لله في أرضه..

إن المشكلة ليست في جماهير المسلمين، ففيهم ملايين المتدينين، وأضعافهم من أصحاب القابليات الراقية للتدين والعطاء والتضحية.. إنما المشكلة فينا نحن أن نعرف قيمتهم ونحبهم ونثق بهم، ونتقدم أمامهم لمقاومة عدوهم..

إن حب المسلمين والثقة بهم من الواجبات العقيدية لعالم الدين لأن المسلمين باستثناء الحفنة المنافقة، أعز الناس في الارض على الله تعالى وأحبهم اليه والى رسوله وأهل بيته..

وحب المسلمين والثقة بهم من الضرورات العملية ايضاً، لأن عالم الدين لا ينال الجنة إلا بخدمة المسلمين، ولا يستطيع أن يخدمهم ويرشدهم ويحافظ على مصالحهم إذا كان لا يثق بهم ويسيء بهم الظن.. وهو من الضرورات التربوية ايضاً، فإنه لا شيء يجعل الجماهير تتقدم في تدينها ومقاومة عدوها مثل ثقة قائد بها بنفسه وثقته بها، وإعطائها الثقة بنفسها، ولا شيء يضعف الجماهير ويهد من عزمها ويشككها بقدرتها وببفسها، مثل ترزعزع ثقة العالم بنفسه وزعزعة ثقتها بنفسها..

دخلتُ على أحد العلماء وهو يلقي محاضرة فاستمعت اليه، ولما أكمل سألتني ببني وبينه عن ملاحظاتي.. كان يحدثهم من تفسير سورة الشمس و يتكلم عن تركية النفس وتذسيستها فيصت عليهم أنواع التوبيخ، و يقرع رؤوسهم بالمقارع، و يشككهم في صحة إيمانهم ونواياهم وأعمالهم، مع أن الحضور من خيرة المتدينين في تلك المنطقة، فقلت له:

وحقك إن الصفات التي كنت تصفع بها وجوه هؤلاء المؤمنين المساكين، إنما هي صفات أعدائهم من الكفار والفجار والفساق.. وأنهم بأمر الحاجة الى الثقة بأنفسهم وتدينهم، خاصة وأن مجتمعهم تسود فيه التربية القمعية في الأسرة..

وكان لي صديق في النجف، له وعي واهتمام بالعمل الاسلامي ثم انصرف عن ذلك دفعة واحدة وترك حتى علاقاته مع المهتمين بالعمل.. وكنت أسأله عن السب فيجمل الجواب، حتى صارحني فيه يوماً وقال: يافلان أنت لا تعرف، تتصور أن الناس بسهولة يمكن أن يصبحوا متدينين و يقيموا دولة إسلامية، هذه النجف على كُبرها إذا وجدت فيها عشرة متدينين واقعيين فهو شيء جيد.. النبي «ص» عمل ثلاثاً وعشرين سنة حتى استطاع أن يربي عدداً قليلاً من الصحابة، وأمير المؤمنين «ع» استطاع أن يربي أفراداً معدودين أيضاً، والامام الحسن «ع» ربي أفراداً أقل، والامام الحسين «ع» استطاع أن يجمع من الذين رباهم هو وأبوه وأخوه سبعين شخصاً.. يافلان أنت حسن الظن كثيراً وكبير الأمل بالناس.. أما أنا فأرى أن أفضل عمل للانسان أن يبحث عن قدوة يقتدي به و يبني نفسه، و يقوم بمايستطيع من خدمة للناس بقضاء حوائج فقراء المؤمنين سراً..

سألته هل وجدت هذا القدوة، فقال نعم، ودلني على اسمه بعد امتناع.. كانت أفكاره اليائسة كلها من قدوته، وكان مفتاح تأثيره عليه أنه استطاع أن يشككه في كل شيء بالعلماء والمتدينين وجماهير المسلمين، ووجدوى العمل لإقامة الحكم الاسلامي.. وقد حاولت أن اشككه بقدوته وذهبت معه ذات يوم الى زيارته، وناقشته بحضوره وأظهرت له ضعف حجته، ولكن صديقي لم يتزحزح عن ثقته بقدوته، وعن سوء ظنه بالمسلمين و يأسه منهم..

كانت الفكرة الاساسية التي يطرحها هذا القدوة على مريديه أن التدين الواقعي نادر لا يوجد في عصرنا إلا في عدة أشخاص، وأن من تروهم متدينين من المسلمين فتدينهم ظاهري لا قيمة له، لأن نواياهم للدنيا وليست لله، ومن طريف أفكاره التي نقلها لي صديقي أن «فاضل الجمالي» رئيس وزراء العراق في العهد الملكي هو من هؤلاء المتدينين الواقعيين، فهو ولي لله مخفي في ثوب سياسي، وأنه خدم الشيعة خدمة عظيمة سوف تظهر في المستقبل، فقد استطاع أن يؤثر على بعض نصوص ميثاق الأمم المتحدة أو إحدى لوائحها، ويكتب فيها نصاً لمصلحة الشيعة، ولكن صديقي لم يكن يعرف ذلك النص، وها قد مضى ربع قرن ولم يظهر أثر هذا النص في خدمة الشيعة، وقد يحتاج الأمر الى انتظار نصف قرن آخر..

كنت أتعجب من أفكار صديقي وقدوته وأضحك من بعضها، ولكني لم أعرف إلا بعد سنين طويلة أننا نحن الذين كنا نناقش هذه المثالية في التدين ونستنكرها، كنا واقعين فيها، ولكن على مستوى آخر، مستوى النخبوية الفكرية الطليعية.. كنا نبحت في الربع مليون مسلم في النجف وفي العشرة ملايين مسلم في العراق آنذاك، عن الشاب المتعلم فقط لكي يحمل فكرنا الاسلامي و ينتظم معنا في تنظيمنا، ونزهد في بحر الجماهير المقدس وكنوزه العظيمة وأنهتم به بشكل ثانوي لمصلحة التنظيم لا أكثر..

من أين جاءتنا في الحركات الاسلامية فكرة أن مشكلة الاسلام المعاصرة هي مشكلة فكر، ومثقفين يحملون هذا الفكر، وأن الأمة سوف تنقاد لحملة هذا الفكر، عند ما يصبحون ألف شاب أو ألفين..

المشكلة أيها الإخوة قصر السلطان ودباباته، وسفارات الكفر العالمي ومراكزه، وهي تحتاج إلى موج من الجماهير يصرخ في وجهها ثم يصرخ، ويرجها بالأحجار إذا لزم الأمر، ويقاقل ويقتل ويستشهد إذا لزم الأمر.. وقد يكون أعضاء تنظيماتنا في هذا الموج الجماهيري أضعف المسلمين أصواتاً، وأنعمهم أحجاراً، وابطأهم تقدماً للشهادة وصبراً عليها..

المشكلة تحلها جبال الجماهير وليس إهرامات الفكر، والجماهير لا يمكن أن

يقودها أصحاب الاتجاه المثالي في الدين، لأنهم يفكرون وحدهم، ولا أصحاب الاتجاه المثالي في التنظيم لأنهم يمشون وحدهم.. والجماهير لا تتحمل المثالي لأنه يصب ثقته على نفسه دونها، ولا تتحمل قيادة الفئة الحزبية لأنها تصب ثقته على نفسها دونها.. فقط العالم الذي يحب الجماهير ويثق بها، وينبض بنبضها، ويفهم لغتها الدقيقة العميقة، هو الذي تستجيب له الجماهير وتتحرك معه جبالها لتحل المشكلة.

طريقة اللامركزية في العمل الجماهيري

من أجل تقريب الفكرة نشير الى أربعة أنواع من المركزية:
الأول، المركزية المادية، من قبيل مركزية محطة ضخ الماء والكهرباء بالنسبة الى شبكاتهما، ومركزية سنترال التلفون لشبكته، وما شابه..

الثاني، المركزية الإدارية، من قبيل مركزية إدارة الضابط لجنوده، وإدارة الشركة لفروعها، وإدارة الوزير لمؤسسات وزارته وفروعها، وإدارة رئيس الدولة لوزاراته ومؤسساته، وما شابه..

والثالث، المركزية الحزبية في العمل السياسي والاجتماعي، وهو النمط الذي تستعمله الحركات والأحزاب السياسية في الغرب وفي بلادنا، حيث تقوم القيادة بتشكيل شبكة لجان للأعمال المختلفة والمناطق المختلفة لقيادة الجماهير..

الرابع، مركزية طريقة حزب الله، أو الموكزية العلمائية، التي تعني أن يطرح عالم المنطقة أو المحلة على الناس الأعمال المطلوبة وخطوطها العامة، ويترك لهم الحرية بإنشاء هذا التشكيل أو ذاك، واستعمال هذا الأسلوب أو ذاك، ويقوم هو بالإشراف على الأعمال إشرافاً عاماً ويتدخل فقط عند الضرورة.. أما العالم القائد للمجتمع فيعطي الخطوط العليا لمسيرة العمل فقط، ولا يتدخل في عمل علماء المناطق وتشكيلاتهم إلا عند الضرورة القصوى..

هذه الطريقة الأخيرة في المركزية، والتي هي أقرب الى اللامركزية في العمل الجماهيري تمتاز على المركزية الحزبية بعدة ميزات.

فهي أولاً، أكثر أصالةً، لأنها من نوع الأسلوب القيادي الذي استعمله النبي «ص»

والأئمة «ع» وعلماء الأمة وقياداتها، وتعودت عليه مجتمعاتنا عبر تاريخها. وهي ثانياً، تحترم الناس أكثر وتشعرهم بالثقة، وتدفعهم لأن يفكروا وابتكروا وبادروا..

وهي ثالثاً، تجعل العالم يفكر للعمل هو والناس، بينما تفكر لجنة التنظيم وحدها.. وهي رابعاً، تسمح لخصائص المنطقة بأن تظهر في الأساليب والتشكيلات فيشعر أهل المنطقة بأنها فعلهم، بينما الذي يظهر في المركزية الحزبية خصائص الحزب أو التنظيم، فيشعر أهل المنطقة بأنها فعل الحزب بينهم.. وهي خامساً، تُثري التحرك الاسلامي بأساليب وتشكيلات متعددة لايسهل على السلطة ضربها كما لو كانت نسخة واحدة..

وسادساً وسابعاً وثامناً.. الى آخر ميزات هذه الطريقة التي لم نكن نقبلها نحن في التنظيمات الاسلامية، وكنا نتصورها نحواً من الفوضى والأسلوب التقليدي المتخلف في قيادة الناس وتحريكهم.. ولكن ما أكثر الأمور التي كنا نحسبها تقليدية ففاجأتنا في تجربة الثورة الاسلامية الايرانية بنتائجها العظيمة، بينما بقيت أساليبنا التنظيمية الحديثة تراوح مكانها أو تراجعت..

آن لنا في الحركات الاسلامية أن نعيد النظر في أساليبنا المركزية التي تقول للجماهير نحن نفكر لكم، ولجاننا تعطيك المواقف والأعمال المطلوبة، مع خططها وأساليبها من البداية الى النهاية.. نتصور بذلك أننا إذا قدمنا للناس في محلة أو منطقة ثوباً جاهزاً فإننا نريحهم من عناء التفكير، ونيسر لهم العمل الاسلامي، ونغفل عن أن الجماهير تريد الطريقة الطبيعية الأصيلة، تريد أن تقوم هي في المحلة والمنطقة باختيار قماش الثوب والتفصيل والخياط والأزرار، لكي تشعر بأنه ثوبها وتعرف كيف تلبسه وتعمل فيه، وكيف تُجري عليه التعديلات اللازمة في المرة الثانية..

كنا نتصور في تنظيم الدعوة اننا خففنا من طريقة المركزية المتبعة في الأحزاب والتنظيمات الغربية والاسلامية، واعتمدنا أسلوباً وسطاً بين المركزية واللامركزية، ولكن مهما خففنا من درجة مركزية القيادة واللجان القيادية في التنظيمات، أو افترضنا أنواعاً جديدة للمركزية قابلة للتطبيق، فإن الأمر يظل يتراوح ضمن مركزية

شبيهة بالمركزية الإدارية والعسكرية، أو هي منسوخة عنها.. و يظل غالبية أعضاء التنظيم عالةً ينتظرون ماتفكره وتفصله القيادة، و يظل جمهور المسلمين يتعجب لماذا لا يعمل هؤلاء بالشكل الطبيعي..

ما أدري بالضبط ماهي العوامل التي تجعلنا في الأحزاب والتنظيمات مغرمين بالمركزية الى هذا الحد، مهما حاولنا التخفيف منها.. أهى الخوف أن يفلت التنظيم والأعمال والناس من يدنا.. أم هي النزعة المادية الغربية في العمل السياسي الاجتماعي التي تنظر الى أفراد المجتمع والتنظيم على أنهم وجودات مادية ينبغي أن نصبهم بقالب واحد، وتُحركهم بحركات واحدة، وتجعلهم يفكرون بنمط واحد.. من المؤكد أن إغراقنا النظري الناتج عن تخلفنا العملي، أو قل النزعة الهندسية في فهم الناس والتعامل معهم، قد التقت مع أفكار الغربيين عن العمل مع الناس، فأثرت فينا هذه المثالية والبعد عن الواقع..

المفاهيم الغربية تميل الى اعتبار الجماهير أجهزةً يجب أن تعمل بشكل واحد، أو أشجار شارع يعطيها مقص البستاني شكلاً هندسياً واحداً..

أما مفاهيمنا الاسلامية فتعتبر الجماهير عوالم، والانسان الواحد كلمة الله في أرضه، له مشتركاته مع الآخرين وله خصائصه وشخصيته.. وتعتبر أن تكامل البستان ليس بأن يمضي البستاني في أعمال مقصه بل بأن يترك لكل شجرة فيه شخصيتها وشكلها الطبيعي، ضمن رعايته العامة واثميره..

المفاهيم الغربية تميل الى توحيد الناس بالمركزية الواحدة، والتنظيم الواحد، والأسلوب الواحد، والزي الواحد، لأنها لا تملك لجماهيرها وحدةً أعمق من ذلك.. بينما جماهيرنا تملك وحدة العقيدة ونبضها، و وحدة الشريعة وحلالها وحرامها، و وحدة مقاومة عدوها وهدفها، ولا يضرها أن تختلف أساليبها وأنماط عملها مادامت جميعها ضمن الشارع العريض للمسيرة، ومادامت تصب في الهدف الكبير للاسلام وملايينه..

المفاهيم الغربية تميل الى بناء مجتمعها قاعةً واحدة على جسر واحد إذا انهار منها ركنٌ تلتته بقية الأركان، وكذلك هي مجتمعاتهم.. ومفاهيمنا الاسلامية تميل الى

بناء مجتمعنا مسجداً وغرفاً على أقواس وقناطر، إذا هدم منها قوس بقيت الأقواس الأخرى قائمة بشخصياتها ومركزياتها..

المفاهيم الغربية تريد الجماهير كالأحرف اللاتينية مفصلةً بالمقص والمنشار والمبرد والسكين في مركزية هندسية واحدة.. ومفاهيمنا الإسلامية تريدها كأحرف الخط العربي منطلقةً على سجاياها وطبائعها، لا يضرها أن يكون لكل حرف منه شخصيته ومركزيته، بل يزيدها جمالاً وكمالاً، ويعزز مركزيتها في روح الجمال السارية فيها، وفي معاني القرآن المكتوبة فيها..

المفاهيم الغربية عن العمل السياسي الاجتماعي واقعة تحت ضغط المركزية المادية المستولية على أذهانهم فهي تريد العمل التنظيمي كالبر الارتوازي يسقي كل الزرع في آن واحد بضخ واحد.. ومفاهيمنا الإسلامية تريد العمل السياسي الاجتماعي ينباع وعيوناً متنوعة متعددة، لكل واحدة مركزيتها، وإن تغذت جميعاً من ماء السماء..

وقادة العمل السياسي في المجتمعات الغربية بحاجة الى هذه المركزية التنظيمية لأنهم إذا افتقدوها انفلت الناس من أيديهم، ولم يستطيعوا جمعهم في قاعة أو كنيسة، ولم يستطيعوا تحريكهم الى هدف.. أما جماهيرنا المسلمة فمركزيتها حول علمائها عميقة راسخة في عقيدتها وتعاليم دينها وعاداتها، فحيثما عاشت مجموعة من المسلمين فهناك حاجة الى المسجد والعالم، وحيثما وجد جماعة من المسلمين، فهناك حاجة الى إمام الجماعة وانتظام صفوفها..

وخلاصة القضية في تعاملنا مع جماهيرنا المسلمة، أنه ينبغي لنا:
اولاً، أن نؤمن بها ونحترمها ونثق بها، بل لا يكفي ذلك حتى نحبا حباً حقيقياً، ونعجب بها إعجاباً حقيقياً.. ولعمري إنها لأهل لذلك، لفطرتها السليمة، وعقيدتها المتينة، وفائتها لقياداتها، وعطائها في سبيل الله بلا حدود.. وإن من الظلم أن لانرى هذه الإيجابيات العظيمة في جماهير المسلمين ونرى بدوها سلبيات طبيعية، أو هي جاءت من تأثير الحفنة المنافقة وثقافتها الغربية، أو من تقصير العلماء في التعليم والتوجيه..

ثانياً، أن ندرك المركزيات العميقة الموجودة في أمتنا ومجتمعاتها، سواءً المركزيات المعنوية منها مثل مركزية العقيدة، ومركزية الشريعة، ومركزية القيم الأخلاقية المنبثقة عنها، ومنها مركزية مقاومة العدو.. أو المركزيات المحسوسة مثل مركزية المدينة، والقرية، والمسجد، والعشيرة، والمنطقة، والبلد.. ومثل مركزية العلماء و رؤساء العشائر والوجهاء.. ونستثمر هذه المركزيات الطبيعية دون أن نُتعب أنفسنا ومجتمعاتنا بتكوين مركزيات جديدة ومحاولة فرضها..

ثالثاً، إن النتيجة الطبيعية لحب المسلمين والثقة بهم، واحترام المركزيات الموجودة في مجتمعاتهم، إعطاؤهم الخطوط العامة للأعمال المطلوبة في نصرته الاسلام ومقاومة عدوهم، وإعطاؤهم حرية اختيار الأساليب والتشكيلات الملائمة لحسبهم الاسلامي الاجتماعي العام، والخاص في هذه البيئة أو تلك، والإشراف على فعاليتهم إشرافاً عاماً..

رابعاً، والنتيجة الطبيعية لذلك أن تثق الجماهير المسلمة بنفسها وتكثر فيها المبادرات المتنوعة، وأن يقوم العالم والجماهير معه بتوجيه المبادرات وتصحيحها وتحسينها والتنسيق بينها، وتشجيع المبادرات العملية الأصيلة منها وخاصةً الابتكارية، ونقلها الى مناطق أخرى من مجتمع البلد، وإلى بلاد المسلمين..

الأساس الخامس

حشد كل الطاقات في مقاومة العدو

فقه هذا الأساس

يقوم هذا الأساس فقهياً على احكام الدفاع المجمع عليها بشكل عام عند فقهاء المذاهب الاسلامية، والتي تقضي بأنه إذا غزا المسلمين عدو بأي شكل من أشكال الغزو، وهدّد مصالحهم المادية أو مصالحهم المعنوية مثل تهديد كياناتهم السياسي، أو شريعتهم، أو عقيدتهم، أو ثقافتهم الاسلامية بأي مستوى من التهديد، لأجزاء من بلادهم أو جميعها.. فإنه يجب على المسلمين وجوباً كفاً دفع ذلك العدو وإزالة خطره.. ومعنى الوجوب الكفائي أنه يجب أن ينهض بمقاومته العدد الكافي منهم، وأن يقدم المسلمون العدة الكافية لذلك.. فإذا توقف دفع العدو على مقاومة مئة من المسلمين وجب عليهم ذلك، وإذا احتاج إلى المقاتلين من أهل القرية أو الثغر أو المدينة وجب ذلك، وإذا توقف على مقاومة كل أهل البلد وجب ذلك، وإذا احتاج الأمر إلى مقاومة النساء والأطفال والشيخوخ الذين لا جهاد عليهم، وجب عليهم أيضاً.. الخ.

وكذلك الأمر في وجوب اعتماد الأساليب اللازمة لدفع خطر العدو، الأساليب الإيجابية منها والسلبية..

وبصورة عامة، تجب في مصادر الحديث الشريف والفقه الاسلامي في أبواب (الجهاد والدفاع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) تأكيد الاسلام على ما يحكم به العقل من وجوب دفع العدو بكل طاقة ووسيلة، خاصة إذا كان العدو يهدّد

كيان الاسلام (بيضة الاسلام) فإنه عند ذلك ترتفع التقية والسكوت، ويحرم القعود، ويجب بذل الأموال والأنفس لدفع الخطر وإعادة العزة الى كيان الاسلام، بل ويجل ارتكاب بعض المحرمات التي تكون مصلحة دفع العدو أعظم من مفسدة ارتكابها، كما لو سببت مقاومة العدو زيادة عدوانه على المسلمين الساكنين في بلده وأخذهم رهائن أو قتلهم، أو تترس العدو بعدد من الرجال والنساء والأطفال من المسلمين ووضعهم في مرمى نار المسلمين، أو توقف الدفاع على فرض ضرائب على المسلمين، والتصرف في بعض أملاكهم بدون رضاهم، وما شابه..

ولا يتسع المجال لنقل الآيات والأحاديث الشريفة، وفتاوى فقهاء المذاهب التي لا تدع مجالاً للشك بأن المسلمين اليوم في كل العالم في حالة جهاد دفاعي شامل عن مصالحهم ومصلحة الاسلام، بل عن وجودهم المعنوي والمادي..

أنواع طاقات المسلمين وأساليب حشدها

لا شك في أن الطاقات التي يملكها المسلمون لمقاومة عدوهم ودفع شره وخطره عن بلادهم طاقات عظيمة.. ولولم يكن منها إلا الثروات الطبيعية والمواقع الاستراتيجية التي ميّز الله بها بلادهم عن بلاد أمم العالم مجتمعة لكفى.. بل يكفي أن نذكر منها ثروة النفط التي لو استعملوها ضد أعدائهم لأشهر قليلة لأجبروهم على أن يخضعوا لشروطهم، ويرفعوا تهديداتهم عن شعوبهم وكيانهم.. ولكننا لانقصد هذه الطاقات وهذه الثروات لأنها ليست في يد الأمة بل في يد أعدائها في الحقيقة، وإنما نقصد الطاقات التي بيد شعوب المسلمين وجماهيرهم المستضعفة، وهي بشكل عام طاقات معنوية تتركز في أمرين اثنين: الأول، القدرة القتالية المتميزة ببركة مدرسة الشهادة الاسلامية التي تبعث الرعب في قلوب أعدائنا المحبّين للحياة، وتمكّننا من إنزال ضربات موجعة بهم تسبب بالتالي تراجعهم وهزيمتهم.. وأحدث الأمثلة على هذه الطاقة جهاد المسلمين في لبنان وافغانستان..

والثاني، القدرة على التجمهر والتظاهر في الشوارع والهاثاف ضد العدو وضد

الحاكم، والضغط عليه معنوياً لإجباره على اتخاذ مواقف اسلامية، أو على تصحيح مواقف خاطئة، أو على تطبيق جوانب من الشريعة الاسلامية، أو على طرد العدو الكافر من البلد.. أو لإجباره على التخلي عن السلطة وإسقاطه وإقامة الحكم الاسلامي.. وأكبر الأمثلة المعاصرة على ذلك، بل في تاريخ المسلمين وشعوب العالم، المظاهرات الاسلامية المليونية التي اعتمدتها طريقة حزب الله في ايران.. وأحدثها ماتشده بلاد المسلمين في شرق الأرض وغربها من تظاهرات ضد الحكام ومن وراءهم من الكفار..

وهذان النوعان من الطاقات قوتان عظيمتان في يد المسلمين في عصرنا، وهما يحتاجان من العلماء الى تجميع الطاقات وحشدها، والحركة الجماهيرية أكثر حاجة الى ذلك..

تكون طاقات جماهير المسلمين عادةً في كل بلد ثلاثة أنواع:

النوع الأول، الطاقات العاملة التي تصب في المجرى المطلوب، وهي طاقة مجموعة العلماء والمسلمين السائرين في خطهم، الذين يتبنون البديل الاسلامي، ويعملون في معارضة السلطة ومقاومتها، أو في مقاومة العدو الكافر مباشرة.. وهذه الطاقات تحتاج الى رعاية من أجل تركيزها وتنميتها، وما كان لله ينمو.

النوع الثاني، الطاقات الكامنة المعطلة، وهي طاقات علماء آخرين وجماهير أخرى من الأمة، في منطقة الجماهير العاملين، أو في مناطق أخرى.. وهي تحتاج الى استنهاض الهمة، وقدر شراسة المقاومة فيها.. بأساليب متعددة سنشير إليها.

النوع الثالث، طاقات عاملة ولكنها منحرفة لا تصب في مقاومة العدو، أو تصب في مقاومته ولكن بشكل منحرف عن خط العلماء وهدفهم.. وهذه الطاقات تحتاج الى معالجة انحرافها وتوجيهها الوجهة الصحيحة..

أهم العوامل المؤثرة في تحريك طاقات المسلمين وجمعها هي:

أولاً، وضوح انحراف الحاكم ونظام حكمه عن الاسلام، وارتباطه بالعدو الكافر، و

وضوح ظلمه للمسلمين.. وهو أمر متحقق في حكامنا والحمد لله، الذي لا يحمد على مكروه سواه..

ثانياً، أن يكون في شعب البلد المسلم حيوية وردة فعل من الظلم والكفر، ولهم تاريخ قديم أو حديث في مقاومة الحاكم الجائر والعدو الكافر.. وهذا متحقق في غالبية بلادنا الاسلامية والحمد لله..

ثالثاً، الأحداث السياسية الملائمة، من قبيل ارتكاب الحاكم خيانات جديدة بحق الاسلام والمسلمين، أو وجود بداية للمقاومة بفضل نهوض بعض العلماء والمجاهدين و رفعهم راية الاسلام وإعلانهم صرخته، وقيام الحاكم بقتل بعضهم وسجن بعضهم، وتشريد آخرين..

رابعاً، نشاط العلماء وجمهور حزب الله في الإتصال بالعلماء والوجهاء والناس لحثهم على المشاركة في القيام لله تعالى.. وذلك بأساليب متعددة، مثل الإتصال الشخصي، والمراسلة وتوزيع البيانات، وأشرطة الخطب الثورية، وما شابه.. وينبغي الإهتمام بتوسيع هذه الإتصالات وإدامتها وعدم اليأس من بطء الإستجابة، والتركيز بشكل خاص على العلماء والوجهاء المؤثرين على جماهير المسلمين..

وقد كان عمل بعض طلبة العلم والمتدينين في ايران قبل الثورة وأثناءها السفر الى مختلف المدن والقرى ونقل الرسائل والبيانات والأشرطة الى العلماء والوجهاء، وحثهم على المشاركة في التحرك، وكان الامام الخميني يقضي وقتاً من النهار أو شطراً من الليل بكتابة الرسائل الى العلماء المؤثرين، يستثير غيرتهم الاسلامية، ويستنهضهم ويدعوهم الى المشاركة..

خامساً، مواصلة المقاومة، والاستفادة من أخطاء السلطة.. فجماعة حزب الله يعتمدون دائماً خطين في العمل: خط المبادرة بفعل المقاومة مثل المظاهرات والمهرجانات والشعارات والبيانات والمواقف السياسية، وما شابه، وخط الاستفادة من ردات فعل السلطة، التي تكشف دائماً عن ظلمها لهم، وعن عداتها للاسلام.. إن هذه المظلومية المباركة هي رأسمال عظيم تقدمه السلطة الى العلماء المتحركين وجمهورهم، فيقومون بتوظيفها في تحريك الناس وإثارة همتهم وغيرتهم ونصرتهم.. لذلك

ينبغي أن لا تضيق صدورنا بردات فعل السلطة العنيفة الظالمة، بل ينبغي أن ندرك أن عمل الأنبياء والأئمة والعلماء قائم على قاعدة استثمار المظلومية لمصلحة دعوتهم وهدفهم، فقد ورد في الحديث الشريف «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ أَعْدَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ» أي لكي يقعوا في أخطاء كبيرة في صراعنا معهم فتتكشف مظلوميتنا، ونستثمرها في تحريك الناس، فكلما كانت الظلامة أشد وأوضح كلما كانت فائدتها في تحريك الطاقات وجمعها أكبر.. أما إذا وصلت الظلامة إلى قتل المسلمين فإن تأثيرها في تحريك الطاقات يصبح عظيماً، لأن بركة دماء الشهداء لا حدود لها..

من الطبيعي لحركة المعارضة الإسلامية أن تستفيد من المشاكل الاقتصادية التي تلحقها سياسة النظام باقتصاد البلد، وهي مشاكل تشمل كل بلاد المسلمين، لأن الأنظمة فيها قائمة على التبعية في كل شيء، فتخطيطها الاقتصادي قائم على التبعية والإستهلاك وليس على الإنتاج والاكتفاء الذاتي.. ولذلك تكثف فيها المشكلات الاقتصادية التي تكتوي بنارها الغالبية العظمى من المسلمين، فينبغي إيجاد طرق هذه المشكلات وطرح المطالب المتعلقة بها..

ومنها مشاكل وأزمات اقتصادية تخص فئة معينة من الناس كفئة الفلاحين والعمال، أو صنفاً معيناً منهم.. فينبغي الاستفادة منها في جمع طاقاتهم وتوحيد كلمتهم في معارضة السلطة..

يتصور بعض العلماء والمتدينين أن طرح الحركة الإسلامية لمطالب اقتصادية مثل مكافحة الغلاء، والإحتكار، ورفع رواتب العمال، وتحسين وسائل النقل، والإعفاء من الضرائب، وما شابه، من شأنه أن يحرف الحركة عن مطلبها الأساسي في إسقاط النظام وإقامة الإسلام، ويجعلها حركة مطالب اقتصادية.. ولكن طرح هذه المطالب من قبل العلماء وجمهور حزب الله إنما هو جزء من كل، ومطلب إصلاحي يصب في خدمة المطلب الجذري.. ومن الأمور الواضحة للناس أن العلماء والتنظيمات الإسلامية الذين يتبنون الأيديولوجية الإسلامية لا يكتفون بالمطالب الاقتصادية، وإن ركزوا عليها أحياناً حتى بدت كأنها المطلب الوحيد..

كذلك ينبغي أن لا نتحسس من طرح قضايا المستضعفين من العمال والفلاحين باعتبار أن ذلك يشبه عمل الشيوعيين وطروحاتهم السياسية والاقتصادية، لأننا نطرح هذه المطالب برؤية إسلامية وهدف إسلامي، والاسلام أولى بأبنائه وجماهيره من الشيوعية، وعلماءه أولى برعاية مصالحهم من الشيوعيين.

كما ينبغي إجابة طرح المشاكل السياسية التي يتخبط فيها النظام، واستثمارها في تجميع طاقات الجماهير وتحريكها ضده.. وفي طليعة هذه المشاكل قضية الحرية التي تصادرها الأنظمة من جماهيرنا المسلمة بشكل علني دون حياء، أو تحاول إخفاء دكتاتوريتها بأسلوب وآخر، ابتداءً من الحرية في اختيار شكل النظام وشخص الحاكم والمسؤولين... الى حرية التعبير عن المعتقد والرأي السياسي الاسلامي..

إن مطلب الحرية للجماهير المسلمين هو أحد شعارات حركة حزب الله ومطالبها الأساسية، لأنه مطلب إسلامي من جهة، ولأنه مطلب محسوس للجماهير ومفهوم للعالم من جهة ثانية، ولأنه يوجه الطعنة الى النظام بالصميم ويكشف زيف ادعاءاته الوطنية والشعبية..

و يلي مطلب الحرية في الوضوح عند الجماهير مطلب استقلال البلد المسلم وإنهاء تبعيته للعدو الكافر، وإزالة وجوده ونفوذه منه.. فينبغي استثمار أشكال التبعية التي يفرق فيها النظام، وخاصة الأشكال الواضحة للجماهير، لجمعهم حول رفضها ومقاومة النظام بسببها.. كما ينبغي توضيح أشكال التبعية الخفية التي تبرز الى العلن أكثر كلما تعاظم التحرك الاسلامي، حتى يشعر المسلم العادي بأن الطرف المقابل له هو الدولة الكافرة صاحبة النفوذ، وأن رأس النظام ليس أكثر من أداة..

ومما يساعد على تحسيس الجماهير بتبعيه النظام، وجود القواعد العسكرية للعدو في البلد، ووجود الخبراء العسكريين والسياسيين الأجانب من أتباع الدولة العدو صاحبة النفوذ، والنشاطات الواسعة لسفارتها وسفارات حلفائها..

إن كل وجود أجنبي للعدو، سواء كان وجود مراكز أو وجود أشخاص يشكل

هدفاً أساسياً لتحرك المسلمين في طرحهم السياسي وتظاهراتهم، ويأتي في عداد أهداف الدرجة الأولى من قبيل قصر الحاكم ومجلس وزرائه، خاصة وأن النظام العميل له حساسية خاصة تجاه هذه الوجودات فهو يثور ويستنفر طاقاته لأدنى مساس بها، ويعتبر أن بقاءه متوقف على قدرته على المحافظة عليها، وأن تهديدها بالزوال يعني زواله قبلها..

ومن الأمور الأساسية في جمع طاقات المسلمين وتحريكها التوعية الإسلامية السياسية التي يقوم بها العلماء والمبلغون وتلاميذهم الذين يستطيعون التبليغ والتوعية، ولذا يجب الحرص على تغطية كل المناطق بالعلماء والمبلغين مهما أمكن، بصورة دائمة، أو في المواسم والمناسبات الإسلامية، أو بصورة زيارات متكررة. إن مجرد الكمية في العلماء والمبلغين وانتشار الأعداد الكبيرة منهم بين جماهير المسلمين في أحياء مدنها وقراهم، أمر مهم بحد ذاته، لأن مجرد اجتماع المسلمين لصلاة الجماعة واستماعهم للحديث الديني مهما كان، يشكل جواً إسلامياً ويسهم في مقاومة النظام والعدو..

والنوعية مهمة أيضاً إلى جانب الكمية، فكلما كان العالم والمبلغ أكثر وعياً وعلماً وعملاً وإخلاصاً وإقداماً كلما كان تأثيره في جماعته أكبر، وإسهامهم في مقاومة النظام والعدو أكثر.. ولكن لا يصح أن نعطل طاقة أي مبلغ بحجة أن ثقافته بسيطة أو أنه لا ينفع، فكل اجتماع للمسلمين عمل نافع مبارك بحد ذاته، وكل مبلغ يعرف قدراً من المعلومات الإسلامية ينفع الجماهير، ما لم يكن معادياً للمقاومة أو مثبطاً..

ومن الأمور الأساسية في حشد طاقات الجماهير وتحريكها، إعلام التحرك والمقاومة والثورة، الإعلام الداخلي والخارجي بأنواعه التي يبادر إليها جمهور حزب الله ويتفنن فيها وابتكر أنواعاً جديدة منها..

إن التحرك الإسلامي بحاجة إلى سبل من الإعلام لمكافحة التعنيم الإعلامي والتشوية الإعلامي والإعلام المضاد، الذي يقوم به العدو بواسطة شبكاته المتطورة

المحلية والعالمية.. صحيح أن أحداث مقاومة المسلمين سوف تفرض نفسها على الإعلام المحلي والعالمي شاء أم أبى، وأن أعمال الجماهير والأبطال تقشع حجب التعتيم، وتفضح التشويه، وتدحض الإعلام المضاد.. ولكن الإعلام الاسلامي له دوره الهام في حشد طاقات الجماهير ودفع مسيرتها، وفي كشف ضعف العدو وإضعافه أكثر..

وفي هذا المجال ينبغي إطلاق الحرية لجماهير حزب الله على مداها، فالجماهير تملك بفطرتها الاسلامية والاجتماعية حساً إعلامياً وفقاً لإعلامياً قد لا يخطر ببال المعاهد الإعلامية المختصة، يكفي أن نعرف أن هذه الفطرة دفعت المسلمين لابتكار إعلام الكتابة على الجدران في صدر الاسلام، ودفعتهم الى ابتكار أحدث أنواع الإعلام الجماهيري العالمي في الثورة الاسلامية في ايران، ودفعتهم في مصر في هذا الاسبوع الى تحويل بوستر الله اكبر والشهادتين الى رمز لمقاومة السلطة ومطالبتها بتطبيق الشريعة الاسلامية، حتى ضاق صدر الحاكم وأمر علناً بنزع هذه الشعارات المقدسة! إن جماهيرنا المسلمة إذا بدأت مسيرتها المباركة في مقاومة السلطة تعيش قضيتها بكل وجودها، وتتفتق أذهانها عن أساليب جديدة وفعالة، وهدايا ربها بإيمانها.. وبحاج الأمر من علمائها وقياداتها الى توجيه عام فقط، وإلى إتقان لصيغ الطروحات والمواقف والتصريحات والبيانات التي تخاطب الجماهير والرأي العام الاسلامي والعالمي وتساعد الجماهير على تطوير شعاراتها وإعلامها..

وتتوقف القدرة على تحريك طاقات المسلمين وجمعها على صفات معينة يجب ان يتصف بها العالم أو العلماء الذين يتصدون لهذه المهمة المقدسة، فتسري منهم الى تلامذتهم والجمهور القريب منهم، ثم تنتشر في بقية العلماء وجماهير الأمة... فأول هذه الصفات، صفة المبادرة والتقدم أمام الأمة لمقاومة الحاكم الظالم ومن وراءه، فالذين يتقدمون ويرفعون راية الاسلام ويعلنون صرخته، ويتحملون في هذا السبيل ويصمدون، تستجيب لهم الأمة، لأنهم يعملهم يثبتون مصداقيتهم، ويؤخذون حركة في الأمة تجعلها تعيش قضية مقاومة الانحراف والكفر، ونصرة الاسلام..

ومنها، أن تكون الأحكام الشرعية المتعلقة بجمع الطاقات في مقاومة العدو واضحة لديهم، فتجعلهم يحرصون دائماً على توفير أي طاقة لكي تنهض معهم في أداء الفريضة، وتصيب في مقاومة أعداء الاسلام.. إن الجوّ الفقهي لمقاومة العدو وإقامة النظام الاسلامي يشبه أن يأتي كافر وهدم مسجداً وبنى بأحجاره قصراً له، ويسكن فيه ويمارس منه عدوانه على الاسلام والمسلمين.. فكيف يكون حرص أهل المسجد والبلد على جمع كل الطاقات لهدم قصر العدو وإعادة بناء مسجد الله.. بل إن الحرص المطلوب على جمع طاقات المسلمين أكبر من ذلك، لأن ما فعله أعداؤنا لعنهم الله أعظم من هدم المساجد وبناء قصور كفرهم وظلمهم بأحجارها..

ومنها، أخلاقية جمع الطاقات التي هي روحية خاصة تنتج عن التقوى والغيرة على الاسلام والمسلمين، وحبهم والثقة بهم والأمل بهم، والتواضع لهم، والتألم لسكوتهم، والتحرق على نهوضهم، وإجادة مخاطبتهم بالأساليب الإيجابية الفقهية والروحية والأخلاقية العاطفية المؤثرة.. وعدم معاداة أحد منهم، إلا الحفنة المتغربة الذين هم رموز النظام وجماعتهم من العملاء السياسيين والعملاء الفكريين للعدو..

ومنها، إعطاء قضية مقاومة العدو وحشد طاقات المسلمين ضده كل الاهتمام والتفكير والوقت، وعدم الانشغال عنها بشيء من الانشغالات الأخرى..

يستعمل بعض المتدينين أساليب تتضمن الكذب لخدح شرارة المقاومة بين المسلمين والسلطة.. مثلاً يقام احتفال اسلامي فيصادف حدوث شيء كأن تنقطع الكهرباء أو لا يحضر أحد العلماء الخطباء الذي كان مقرراً حضوره، فيقوم بعض المتدينين بإبلاغ الجمهور أن ذلك من فعل الحكومة، فيهتفون ضدها و يشتبكون مع شرطتها، و يتحول الاحتفال الى مواجهة أو مظاهرة..

أو يُتوفى أحد العلماء في ظروف غامضة ويكون هناك احتمال ضئيل أن تكون الحكومة قتلتها بواسطة أخرى، فيعلن أحدهم أنه شهيد ويحمل الحكومة مسؤولية قتله، فيتحول تشييعه الى مظاهرة.. وهكذا..

إن مثل هذه الأعمال وإن كان لها وجه شرعي عند بعضهم عند ماتكون

المصلحة التي تتحقق للاسلام أعظم من مفسدة ارتكاب الحرام، ولكن ينبغي للعلماء أن يحرصوا على الأخلاقية الاسلامية و يتنزهاوا عن ارتكاب الصغائر حتى في مواجهة أعداء الله وأعداء رسوله..

الأساس السادس

الميزان هو العمل في مواجهة العدو

الميزان الواقعي والميزان الظاهري

ورد في الأحاديث الشريفة ما معناه أن الله تعالى لو أراد أن يوكل الى أحدٍ حساب خلقه يوم القيامة، لاحتاج الأمر الى خمسين ألف سنة، ولكنه عزوجل يفرغ من حسابهم في ساعة.. ومن الطبيعي أنه إذا أراد تعالى أن يوكل محاسبتهم الى ملائكته أو أنبيائه مثلاً لعلمهم أصول هذه المحاسبة وقواعدها، والتي هي بلا شك أغقَد من كل العمليات الرياضية التي نتصورها، لأنها محاسبة على النوايا والدوافع، وهي متنوعة ومتشابكة، في نسبها في الأعمال، وفي مكوناتها الخارجة عن اختيار الانسان، أو الداخلة تحت اختياره.. الى آخر العوالم الباطنة في نفس الانسان، وأنماط تكوينها، والمؤثرات الطبيعية والتربوية، الارادية وغير الارادية عليها..

على هذا الاساس لم يكلفنا الله تعالى أن نتعامل مع الناس على أساس المقياس الواقعي حتى لو علمنا أن بعضهم من الأبرار وأهل الجنة، وأن بعضهم من الفجار وأهل النار.. وإنما كلفنا بالتعامل على أساس المقياس الظاهري وهو مقياس الاسلام والكفر، وأن نعتبر كل من لم يؤمن به و برسوله «ص» كافراً ومعادياً له وأن نحري عليه أحكام الكفر والعداء، ونعتبر كل من أعلن الشهادتين مسلماً موالياً له ونحري عليه أحكام الاسلام، ما لم يخرج على المسلمين وينضم الى كتلة المنافقين، أما بقية المسلمين فلهم أحكام عامة واحدة تجرى عليهم، بقطع النظر عما يعطيه فقه مذهبنا الشيعي من ميزات للشيعية الموالين للأئمة من أهل بيت النبي «ص» أو ما يعطيه فقه

المذاهب الأخرى من ميزات لأتباع كل مذهب..

ولكن ما هو الميزان العملي الذي نتعامل به مع المسلمين في عصرنا بقطع النظر عن الميزات التي يعطيها فقه كل مذهب لأتباعه؟ الجواب، أنه ميزان العمل في مواجهة العدو الكافر وأتباعه المنافقين، فهذا هو المقياس السياسي الاسلامي عند جماعة حزب الله، في القرب والبعد، والمدح والذم، والوحدة والفرقة..

فمقياس الاسلام والكفر على صعيد عالمي، ومقياس الاسلام والنفاق داخل المجتمعات المسلمة، ومقياس العمل في مواجهة العدو وأتباعه داخل الأمة.. هي المقاييس العقائدية السياسية في طريقة حزب الله..

قد تقول: كان النبي «ص» يعامل المنافقين في المجتمع الاسلامي معاملة المسلمين، فكيف نخرجهم منهم ونعاملهم كما نعامل الكفار.

الجواب: أن المنافقين في عصره «ص» كانوا خاضعين لأحكام الاسلام معلنين قبولهم بالأساس الذي يقوم عليه المجتمع والدولة الاسلامية، وهو تحكيم شريعة الله تعالى ورسوله، ومع ذلك فقد استثناهم الله تعالى من جملة أحكام تجري على عامة المسلمين منها أنه نهى النبي «ص» أن يصلي على أحد منهم أو يحضر جنازته «وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ قَاتٍ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ» وكان التشريع الاسلامي يزيد من عزلهم عن المسلمين كلما ازداد نفاقهم وانكشافهم.

أما في عصرنا فأمرهم يختلف، لأن الكفار سلموهم أمور المسلمين فصاروا هم الحكم أصحاب السلطة وصار المسلمون تحت حكمهم.. وهم زيادة على ذلك لا يحكموننا بشريعة الله عز وجل، بل بأهوائهم والقوانين الغربية التي استبدلوها بالشريعة المقدسة.. وهم زيادة على ذلك يشكلون في كل بلد كتلة وجماعة متعاونة مع العدو الكافر وتابعة له سياسياً وفكرياً..

هذه الفروق وغيرها تسبب فروقاً فقهية بين معاملتنا لهم وبين معاملة النبي «ص» لمنافقي عصره.. فقسم من منافقي عصرنا كفار شرعاً بحسب فتوى مختلف المذاهب الاسلامية، لأنهم ينكرون صلاحية الشريعة الاسلامية للتطبيق، أو ينكرون بعض عقائد الاسلام، أو جملة من أحكامه التي يوجب انكارها الكفر، وهؤلاء مرتدون تجري

عليهم أحكام الكفار بدون نقصان.. والقسم الآخر ظالمون مناصرون للكفر وإن كانوا مسلمين، وإن تزيتا بعضهم بزيت علماء المسلمين، وهؤلاء تجري عليهم أحكام الكفار في وجوب مقاومتهم وحرمة ولايتهم، وحرمة إعانتهم على الجور والظلم..

الميزات الفقهية والعملية لهذا المقياس

إذا قيسنا المسلمين بقاعدة التقوى التي تأمرنا أن نأخذ في تعاملنا مع المسلم بظاهر تقواه لله تعالى وخشيته منه وتطبيقه لأحكامه، فإن المسلم العامل في مقاومة العدو أتقى من القاعد غير المبالي حتى لو كان هذا القاعد زاهداً عابداً، لأن المجاهد قد اتقى الله تعالى في أداء فريضة الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد فضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً حتى لو كانوا معذورين في قعودهم عن مقاومة العدو، فكيف بغير المعذورين.. وقد ورد في الأحاديث الشريفة أن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أسمى الفرائض وأشرفها، وأنها فريضة بها تقام الفرائض وبها يعبد الله تعالى حق عبادته، ولأن المجاهد يعطي من نفسه لله تعالى أكثر من العابد القاعد، ويعرض ماله ونفسه للأذى في سبيل الله.. بل إن تقوى القاعد وخشيته لله تعالى مهما بلغت لا تبلغ جزءاً قليلاً من تقوى المجاهد وخشيته..

وإذا أخذنا في التعامل بقاعدة «أنفع الناس للناس» فإن العامل في مقاومة العدو يساهم في أعظم نفع لمئات الألوف أو ملايين المسلمين في بلده، فهو يعمل لرفع الجور والظلم وأحكام الكفر وسيطرة العدو عنهم، وإحلال أحكام الإسلام وعدله وعزته محلها، بل هو ينفع المسلمين في كل العالم وإن لم يستفيدوا من عمله مباشرة.. وهو بذلك أفضل من القاعد ولو كان عابداً، بل حتى لو كان هذا العامل مقصراً في جوانب أخرى، فقد ورد في الحديث الشريف «الشَّابُّ السَّخِيُّ الْمُرْهَقُ بِالدُّثُوبِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الشَّيْخِ الْعَابِدِ الْبَخِيلِ»، فالعابد البخيل يأخذ بعبادته ولا يعطي، والشاب السخي يعطي أكثر مما يأخذ..

وهكذا إذا نظرنا إلى مقاييس الأفضليات السلوكية الأخرى الواردة في آيات

القرآن المجيد وأحاديث السنة المطهرة، نجد أن هذا المقياس السياسي «المسلم الأفضل هو الذي يقاوم العدو أكثر» مقياس يتضمنها جميعا وينسجم معها.

فإن قلت: فإذا نصنع بمقياس الأفضلية العقائدية الذي تقرر المذاهب بموجبه أن المسلم الذي يتبعها يكون أفضل من غيره.. فالمذهب الزيدي يقرر مثلاً أن المسلم الذي يعتقد بأصول المذهب الزيدي ويطبق فقهه هو أفضل من غيره، ومذهبنا الشيعي يقرر أن ولاية الأئمة الإثني عشر من أهل البيت عليهم السلام والإعتقاد بإمامتهم والأخذ بفقهم هو الحخذ الفاصل في نجاه المسلمين يوم القيامة، وكل مذهب من مذاهب المسلمين يعطي لأتباعه الأفضلية لأنهم في نظره على الحق، وغيرهم على الخطأ أو الباطل.. ماذا نصنع بمفهوم الفرقة الناجية التي يعتقد أهل كل مذهب تقريباً أنهم يمثلونها، وأن غيرهم هالكون أو في معرض الهلاك..

الجواب، أنه لا تنافي بين المقاييس الداخلية في كل مذهب وبين تعامل المسلمين مع بعضهم بمقياس العمل في مقاومة العدو، لسبب بسيط هو أنه لا يوجد مذهب من مذاهب المسلمين يرى أن أتباعه هم أهل الحق وهم الفرقة الناجية وأهل الجنة، حتى لو قعدوا عن مقاومة الكافرين وأتباعهم، ولا يوجد مذهب يحكم بكفر المسلمين من غير أتباعه وبوجوب معاملتهم كمعاملة الكافرين إلا ما يبدو من بعض الآراء الشاذة التي لا تأثير لها على جماهير المسلمين والحمد لله..

فهما كان المقياس في كل مذهب، فإن مقاومة العدو الكافر وأتباعه المنافقين جزء أساسي منه، وهو جزء متقدم رتبة على بقية أجزاء المقياس.. بل إن فقه أي مذهب يفتي بأنه لو تسلط على المسلمين عدو كافر ولم يعاونهم على جهاده أحد من مذاهب المسلمين، وأعانهم على ذلك كافر آخر، ولم يكن في معاونته ضرر ولا خطر أن يتسلط هو بدل الكافر المتسلط، فإنه يجب الاستعانة به، ومعنى هذا أن العمل في مقاومة العدو يصبح هو المقياس السياسي العملي مع الكفار الذين يساعدوننا على جهاد عدونا فكيف لا يصح أن يكون هو المقياس العملي بين أهل المذاهب الإسلامية..

إننا لا نحتاج الى مناقشة شيء من المقاييس الموجودة في المذاهب، لإسلام المسلم،

وإيمانه وأفضليته، وكونه من الفرقة الناجية، أو الفرق الهالكة، أو الفرقة المرجأ أمرها الى الله تعالى، الى آخره.. بل مع الإحتفاظ الكامل بأكثر المقاييس تشدداً في المذاهب، فإن الظرف الاستثنائي الذي يحيط بالأمة اليوم بكل أبنائها ومذاهبها وشعوبها، والخطر الذي يتهدد كيانها وقرآنها ومقدراتها وجودها.. يجعل المقياس بين المسلمين هو العمل في مقاومة أعدائهم..

كما أننا لانحتاج الى مناقشة من يقول إن مجرد مقاومة العدو الكافر لا يصح أن يكون مقياساً واقعياً لأفضلية المسلم، لأن في فقه المذاهب شروطاً واحكاماً لصحة عمل المسلم وبطلانه، وصحة نيته وبطلانها.. بل نقول لهذا المناقش: إعتبره مقياساً ظاهرياً، واعتقد بأن المقياس الواقعي لصحة عمل المسلم وقبوله عند الله تعالى ماشئت، فإن ذلك لا يغير شيئاً من حقيقة هذا المقياس العملي في فقه جميع المذاهب إنك لن تجد فقيهاً مسلماً واحداً بل ولا عاقلاً يقول لك إن عليك فريضة جهاد العدو الكافر وإقامة الاسلام، ثم يقول لك: إن الكافرين أو المنافقين أو القاعدين من أتباع مذهبك هم اقرب اليك عملياً من الذين ينهضون معك في أداء هذه الفريضة من غير مذهبك..

في اعتقادي أن سبب هذه المناقشات والتحفظات المذهبية حول أخوة المسلمين وخاصة المجاهدين منهم، هو القعود والجمود، أما الذين يشرفهم الله بمقاومة العدو وإدراك خطره فإن آفاقهم تتسع، وتبلور في أذهانهم مفاهيم الاسلام وفقهه الشمولي.. فلا احد يدرك العمق الفقهي لهذا المقياس مثل الأخوة في جبهة مقاومة العدو الكافر واتباعه..

وإذا ساد هذا المقياس بين جماعة حزب الله تعالى، سواء كانوا من مذهب واحد أو أكثر، فإن بركاته على العمل تكون كثيرة:

منها، وحدتهم ورض صفهم في داخل البلد، وفي العالم الاسلامي، في مواجهة جبهة الكفر العالمي.

ومنها، أن الله تعالى يرزقهم نفحة من أخوة المسلمين في صدر الاسلام وإيثارهم،

وتنافسهم في البلاء الحسن في سبيل الله وجهاد عدوه..

ومنها، أن بُنية العلاقات بينهم تتصحح تلقائياً فيأخذ العالم المجاهد موقعه القيادي في الجماعة او المجتمع، و يليه الأمثل فالأمثل جهاداً ومواهب و بلاءً في سبيل الله تبارك وتعالى، وتحل هذه البنية الجديدة في العلاقات بدل البنى السابقة التي لم تكن قائمة على مقياس (المسلم الأفضل هو الأكثر بلاء في مقاومة العدو).

ومنها، أنها تكشف زيف مقاييس العلاقات النفعية بين مجموعة السلطة أنفسهم، وبينهم وبين العدو الكافر، كما تكشف ضعف العلاقات القائمة على أساس غير الجهاد في مجتمع المسلمين..

ومنها، أن الأشخاص والفئات في جماعة حزب الله يأخذون موقعهم الطبيعي من الجماهير ومن العلماء حسب موقعهم في جهاد العدو ونصرة الاسلام، و يتقلص المجال الى حد كبير في أخذ المواقع بغير حق.. الى آخر برركات هذا الميزان الاسلامي العملي..

كيف نعيد هذا الميزان الى مجتمعاتنا

تتبع قيمة الانسان في كل مجتمع ثقافة ذلك المجتمع والظروف المحيطة به، فكيف نجعل القيمة العليا في مجتمعاتنا للانسان المسلم العمل في مقاومة أعداء الاسلام وجهادهم..؟

الواقع أنها قضية عملية تتبع الحالة العامة في الأمة، وفي كل بيئة من بيئها.. فقبل هذه الصحوة الاسلامية المباركة وعند ما كان الجو الغالب على الأمة جو الإنقلاب والانبهار بالعدو المستعمر، كانت قيمة جهاد العدو منخفضة، ولعل القيمة العليا كانت لأولئك الذين يتشبهون بالعدو ويقلدونه في ثقافته وسلوكه.. أما اليوم فإن قيمة مقاومة العدو وجهاده تتصاعد في أوساط أمتنا حتى تكون هي القيمة العليا، ويكون اصحابها أبطال الأمة المقدسين..

إحياء ثقافة الجهاد

إننا بحاجة الى كل تلك الأعمال التي تعيد الى مجتمعات أمتنا ثقافة الجهاد وقيمه العالية المقدسة.

إن الآيات القرآنية المنيرة التي تمس أعماق العقول ومكامن النفوس في المسلمين فتحرّكهم بذلك الى مقاومة عدوهم، يجب أن تنتشر في جماهيرنا ليغترفوا منها ومن تفسيرها وأحكامها الفقهية، وتطبيقها على عصرنا..

واللوحات المشرقة المطلقة، التي يرسمها القرآن المجيد للشهداء في سبيل الله، والمقاتلين والمُسجونين، يجب أن تعود الى مكانها في عقائد الأمة وقلوبها، وصدر اهتماماتها العملية وتقديسها..

وكذلك الأمر في الحديث وسيرة النبي «ص» وسيرة أهل بيته وأصحابه والسلف الصالح في جهاد العدو ومقاومته..

وكذلك الأمر في أحكام الفقه الاسلامي المظلوم من أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدفاع، والجهاد، والحكم، والإمامة والخلافة، وما يتعلق بمقاومة العدو وإقامة الاسلام..

إننا بحاجة الى إحياء ثقافة الجهاد هذه بحيث ندرّسها لأولادنا وجماهيرنا مع دروس العقائد وأحكام الوضوء والصلاة.. نعم مع العقائد والصلاة، لأنها عملياً الأمر الوحيد الذي يعطي لعقيدة المسلم وصلاته مضمونها الاسلامي..

إن أيّ درس، أو خطابة، أو حديث في مجلس، أو كراس، أو ملصق، أو شريط صوتي، أو نشيد، أو فيلم، أو كتاب، وما شابه، مما يخدم إشاعة الثقافة الجهادية في الأمة.. هو من أعمال المقاومة ومقدمات الجهاد في سبيل الله تعالى..

تكرم الشهداء والمسجونين والمقاتلين

ونحن بحاجة الى كل عملٍ فيه تكريم للشهيد وتركيز لمكانته في نفوس الأحياء، من قبيل حفظه في عائلته وأقاربه المؤمنين، وأنواع الاحتفاء والاحتفال به، وإطلاق اسمه على ما يناسب من أماكن ومؤسسات وأعمال، وتعويد المسلمين على الدعاء له بالرحمة ورفع الدرجة..

و الى الاعمال التي تركز في الأمة قيمة المسجونين المظلومين المعذبين في سبيل الله، وحفظهم في عوائلهم وذوهم المؤمنين، وإحياء ظلامتهم في نفوس المسلمين، وجعلها قضية يعيشونها، ويقومون بالضغط على الأنظمة الجائرة لرفع ظلمها عنهم.. وكذلك الأمر في تكريم المقاتلين وتعويد المسلمين على الجهاد معهم بأموالهم، والتبرك بهم، ونذر النذور لهم، والدعاء لهم بالنصر في كل مناسبة، وفي الصلوات، وإقامة مجالس الدعاء لهم، ومتابعة أخبارهم، ونشر فضائلهم، وزيارتهم ومشاركتهم من قبل المستطيعين..

تقييم المسلمين بهذا الميزان

وبحاجة الى أن نعيد النظر في تقييمنا لمن نعرف من المسلمين ومن نتعرف عليهم، بهذا الميزان.. وفي طليعة ذلك تقديرنا واحترامنا وتقديسنا لعلماء الدين العاملين في مقاومة العدو وجهاده، والاعراض عن أولئك المداهنين للسلطان الجائر والعدو الكافر، من المتزيين بزّي العلماء وكشفهم ونشر سيئاتهم وإسقاطهم في أعين الناس، أو دفعهم بذلك الى التوبة والبعد عن المنافقين، والانضمام الى صفوف المسلمين..

ينبغي أن نشجع الميزان الفطري الاسلامي عند العمال والفلاحين من جماهيرنا عند ما يقسمون علماء الدين الى أتباع للحكومة وساستها المنافقين، والى معتزلين قاعدين لا يؤيدون العدو ولا يعملون ضده مباشرة، والى معارضين عاملين في المقاومة

والجهاد.. ونعلمهم الاحكام الشرعية المتعلقة بكل قسم منهم، وأن أعوان الظالمين لا غيبة لهم بل قد تجب غيبتهم من باب النهي عن المنكر، وأن تأييدهم حرام حتى بتكثير المصلين خلفهم والمستمعين اليهم، وأنه تجب نصيحتهم وتحذيرهم من موالاة أعداء المسلمين وأعداء الله ورسوله..

أما المعتزلون القاعدون فينبغي احترامهم بمقدار نفعهم للاسلام والمسلمين في غير مجال المقاومة والجهاد، بشرط أن لا يكونوا مشبطين عن العمل والجهاد، وينبغي نصحتهم من كل من يحتمل تأثيره عليهم، والعمل على تحريكهم لمواجهة المنافقين والكفار ونصرة الاسلام، بأسلوب وآخر..

وأما العاملون في مقاومة العدو المنافق والكافر فهم حملة راية رسول الله «ص»، وورثة علمه، وممثلوه في أمته، الذين يستحقون ثقة المسلمين وأتباعهم وتقديسهم والتبرك بهم.

وكذلك الأمر في تقييمنا لكل مسلم، ينبغي أن يكون ميزانه الأول بعد إسلامه خطه السياسي في مقاومة المنافقين والكافرين، فنحبه ونتولاه ونتعاون معه وننصره إذا كان في خط العمل والجهاد، ونعمل لجذبه وتقريبه وتحريكه إن كان من أبناء الأمة الذين لم يتحركوا بعد، ونعمل على نصحه وموعظته ونهيه عن المنكر إذا كان يتولى المنافقين والكافرين نظرياً أو ببعض الأعمال..

ونختم بالإشارة الى أن أهم عامل يجعل ميزان مقاومة العدو سائداً في مجتمعاتنا هو الحالة العامة للأمة الاسلامية وتصاعد حركة مقاومتها وصراعها مع أعدائها، والحالة الخاصة في ذلك البلد أو البيئة الاسلامية ومدى ما يعيشه المسلمون فيها من حيوية في مقاومة العدو وثقافة الاسلام الجهادية..

وفي تقديرنا أنه سوف لا يمر على مجتمعاتنا زمن طويل إلا ويسود فيها ميزان المقاومة والجهاد، باعتباره القيمة العليا المقدسة عندها.. وحركة التوعية على ثقافة الجهاد وميزان مقاومة العدو عوامل مساعدة من شأنها أن تختصر الزمن في حركة الأمة المباركة..

الأساس السابع

الوحدات المقدسة

ظاهرة الوحدة والتفرق

الوحدة داخل أي جماعة بشرية، من البدائه العقلية والاجتماعية التي يدرك أهميتها وفوائدها كل الناس، وخاصة أصحاب النظر والتجربة في الحياة الاجتماعية، وتؤكد عليها كل الرسائل الإلهية.. حتى صار لها أدب خاص من الحكم والأمثال والقصص في ثقافة الأديان وثقافة القبائل والشعوب والأمم المختلفة.. ابتداءً من قول ذلك البدوي يوصي أولاده بالوحدة وعدم التفرق:

تأبى العِصِيُّ إذا اجتمعن تكسراً و إذا افترقن تكسّرت آحادا

الى قوله تعالى للأمة اسلامية «وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا».

ولكن مع كل ماتملكه الوحدة من بدهاء عقلية، وتأکید إلهي، وثروة في الثقافات والفلسفات فإن الفرقة والاختلاف بين الجماعات البشرية، وداخل كل جماعة، تبقى أكثر «بدهاءة» ورواجاً وانتشاراً، حتى صارت هي القاعدة والأصل، وصارت الوحدة استثناء عزيزاً..

ذلك أن الوحدة والفرقة صراع في نفس الانسان بين الأنا الشخصية والأنا الكلية، وبما أن الذات الشخصية أكثر لُصوقاً بالانسان وإلحاحاً، وأيسر إدراكاً، فإن انتصارها أصبح هو القاعدة، وانتصار الذات الكلية هو الاستثناء..

طبعاً عند ما تحرق على الوحدة ونتألم لحقيقة الاختلاف المرة بين الناس، فإننا

نقصد الوحدة بين أهل الحق عبر التاريخ، الذين هم أمم الأنبياء صلوات الله عليهم، وخاتمهم وخيرهم أمة نبينا «ص».. أما الاختلاف والصراع بين أهل الحق وأهل الباطل فهو من الضرورات التي أقام الله عليها الحياة، وكذلك الاختلاف بين أهل الباطل أنفسهم فهو مساعد حيوي لأهل الحق ولطف من ألطاف الله بهم، ولذلك تكفل عزوجل أن يلقيه بين النصارى أنفسهم، وبين اليهود أنفسهم، وأن يجعل الغلبة للنصارى على اليهود الى يوم القيامة..

العوامل المنظورة والعامل الغيبي

تُرى، ماهي العوامل التي تحقق الوحدة بين الجماعة البشرية لكي نحرص عليها بكل ما أوتينا، وننقذ بها أمتنا وشعوب العالم..؟

من الممكن في هذا المجال أن نتحدث عن عامل الخطر على الجماعة البشرية أو الأمة، الخطر الطبيعي من الفقر والجوع والموت مثلاً.. والخطر الخارجي من العدو المسيطر، أو الذي يهدد بالسيطرة والغلبة..

وعن عامل المدنية الدينية وما يبعثه الدين في الأمة من قيمٍ عُليا، ومنها قيمة الأنا الكلية..

وعن عامل المدنية المادية وما يتوصل اليها مجتمعها من إدراكٍ قوي للمردودات المادية للوحدة..

وعن عامل القيادة التي تعيش الأنا الكلية للجماعة أو الأمة وتنبض بنبضها، وتستطيع أن توحدتها حولها..

إن كل واحد من هذه العوامل الأربعة (الخطر والدين والمدنية والقيادة) عامل مهم في تحقيق الوحدة دون شك، وإذا تضافرت كلها أو جلّها في أمة فقد اكتملت فيها العناصر اللازمة لوحدتها.. غير أننا نرى المسألة في القرآن والتاريخ والحاضر أعمق من هذه العوامل، فقد توجد هذه العوامل مجتمعة ولا تتحقق الوحدة، وقد يوجد بعضها وتتحقق الوحدة، فهي إذن مقتضيات أو مقدمات للوحدة وليست علة تامة كما يقول

المناطق، فالجزء الأهم في العلة التامة هو الضوء الأخضر من الله تعالى بتحقيقها بين الجماعة، هو الإذن لهذه العوامل أو بعضها أن تفعل فعلها، هو ذلك السر، والنسيم الآلهي، والروح التي تسري في الجماعة فتجعلها تعيش الأنا الكبرى وتعطيها الكثير من الأنا الشخصية.. وهذا السر يدخل في المخطط الآلهي لمسيرة الجماعات البشرية والأمم في الأرض، وتكوّنها ونموها وانهارها وغلبتها وانغلاها، ووحدتها وتفرقها، وصراعها وانتصارها..

لماذا يقول الله تعالى لرسوله «ص» «لَوَأْنَفَقْتُ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا آَلَفْتُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ آَلَفَ بَيْنَهُمْ» مع أن القضايا المادية والمعنوية التي كانت تختلف عليها قبائل الجزيرة العربية في الجاهلية كان يكفي لحلها ربع ما في الأرض، بل قدر يسير منه..؟

يريد أن يقول عز وجل لرسوله ولنا إن الوحدة بين أي جماعة بشرية لا يكفي لتحقيقها العوامل المنظورة حتى لو كانت متوفرة بشكل خيالي، مالم يصدر الإذن الآلهي وتسري روح الأنا الكبرى في أرواح الجماعة..

إن كل وحدة تحققت في تاريخ البشرية أو تتحقق في مستقبلها بين أي جماعة بشرية، مؤمنة أو كافرة، وحدة كاملة كانت أو نسبية، لمدة طويلة أو قصيرة.. فهي مدينة لهذا الإذن الرباني الخاص والفعل الغيبي الخاص في تلك الجماعة.. أما في الكافرين فمن أجل أن يملئهم، ويبتلي بهم، ويبلغ أهدافاً يعلمها في مخططه.. وأما في المؤمنين فمن أجل أن ينصرهم دينه، ويبلغ بهم مرحلة جديدة في مخططه المتكامل منذ أول جماعة قامت في الأرض الى.. أن يُظهر دينه على الدين كله، ويأذن بوحدة البشرية تحت رايته..

لأنريد بذلك أن نُنقص من أهمية العوامل المادية والمعنوية المنظورة في تحقيق الوحدة، ولكن نريد التأكيد على أنها علل ناقصة وتامها إنما يكون بالعامل الغيبي.. وأن نلفت الذين يحاولون أن يستنبطوا من القرآن الكريم السنن الاجتماعية في وحدة الأمم وتفرقها، وانتصارها وهزيمتها، الى أننا لانستطيع أن نعتبر الوحدة بين الجماعة

البشرية نتيجة حتمية لعوامل منظورة معينة إذا وجدت وجدت، وكذلك أمر النصر والهزيمة.. فإن القرآن يكشف لنا أن المسألة أعمق من ميكانيكيته الظاهرة، وأن الفعل الآلهي الغيبي الخاص يبقى الجزء الحاسم من السمة الاجتماعية، وأن ميكانيكية هذا الفعل الغيبي، إذا صح التعبير، يعلمها هو ولا نعلمها نحن..

إن قراءة واحدة لآيات القرآن المجيد المتعلقة بوحدة الأمم واختلافها وتفرقها، ونصرها وهزيمتها، تضع أيدينا على هذا العامل بوضوح، ويجيء التاريخ مؤيداً لهذا الكشف القرآني، فنرى أن عوامل الوحدة قد وجدت في كثير من الأحيان ولكنها لم تتحقق، بينما تحققت في أحيان أخرى بأضعف العوامل المنظورة..

إن كتابنا الاسلاميين عند ما يكتفون بتقرير الهيمنة الآلهية والفعل الغيبي العام في حياة الشعوب والأمم، ويغفلون عن الفعل الغيبي الخاص في السنن الاجتماعية، يقعون تحت المؤثرات المادية في تفسير التاريخ والمجتمع، كما وقع ابن خلدون من قبل..

مسؤوليتنا في توفير عوامل الوحدة

مهما يكن، فإن توقف الوحدة على العامل الغيبي لا يلغي أهمية العوامل المنظورة، ولا يقلل من مسؤوليتنا تجاهها، كما هو الحال في العامل الغيبي في النصر الذي لا يقلل من مسؤوليتنا في إعداد العوامل المطلوبة للمعركة..

وعند ما ننظر الى عوامل الوحدة هذه في الأوساط المتدينة من المسلمين في كل بلد، نجد أنها متوفرة، أو قابلة للتحقق:

فالخطر بأنواعه قائم ومحسوس لكل الأمة، وللمتدينين منها بشكل خاص.. والمدنية الاسلامية التي تعني هنا الاستعداد لعطاء الأنا الكبرى من الأنا الشخصية، موجودة أيضا في الأوساط المتدينة بمستوى وآخر.. وسيوضح في فصلميزات ثقافة حزب الله مدى تأثير الثقافة الاسلامية في تكوين هذه الحالة..

والعالم القائد الذي يعيش روح الاسلام والروح الكلية للأمة في بلده، موجود في كل بلد تقريبا.. وحول هذا العامل ينبغي أن نذكر بعض النقاط:

منها، أنه يجب أن نستبعد التصورات المثالية للقيادة الإسلامية ولا نشترط في العلماء أو العالم الذي نريد أن يكون قائداً للمسلمين في بلد أو منطقة، أن تتوفر فيهم صفات الأنبياء والأئمة («ص») أو الصفات التي لا تجتمع إلا لكبار العلماء الأولياء والمفكرين الذين يمين الله تعالى بهم على هذه الأمة بين الحين والحين.. فقد يحدث أن يستولي هذا التصور المثالي على أذهان بعض المتدينين والعلماء في منطقة فلا يرون في أحد الكفاءة للقيادة، ويظل أمرهم متفرقا ضعيفا، مع أن أقل عالم فيهم يكون أكفاً من كل السياسيين المتسلطين على أمور المسلمين في البلد.. وهذه حقيقة يجب أن ندركها، فإن السياسيين الذين يديرون أمور المسلمين بشكل عام هم من أقل الناس فهماً وأفهمهم شخصية، وإن أظهرهم الاعلام والاحتجاب عن الناس بمظهر المحنكين والعباقرة، وإن عالم الدين العادي الذكاء والثقافة لومارس أمور القيادة والسياسة لظهر أنه أكفاً منهم.. ومن يعرف بعضاً من هؤلاء السياسيين عن قرب يعرف أن هذا الكلام لا مبالغة فيه..

ينبغي أن يدرك جمهور حزب الله وعلماء حزب الله في كل منطقة وكل بلد، أن مصلحة الاسلام تتوقف على توحيد أنفسهم حول قيادة واحدة، إما عالم دين أو هيئة من العلماء، وأن من أفضل القربات الى الله تعالى العمل على إبراز القيادة الكفوءة وجمع الجماهير حولها..

وأنه لا يصح السكوت على التفرق وتشتت الكلمة بسبب أننا نبحث عن عالم يتصف بصفات خارقة للعادة، فالمطلوب شرعاً هو الحد الأدنى من مجموعة الصفات العلمية والسلوكية التي يشترطها فقه المذاهب الإسلامية.. أما على فقه مذهبنا الشيعي فالقيادة محصورة بالمرجع ومثليه ووكلائه كل في حدود وكالته، فينبغي لجمهور حزب الله أن يحرص على أن يكون للمرجع ممثلين حسب حاجة العمل وممثل عام في كل بلد..

ومنها، أنه إذا تحققت وحدة العلماء في أي منطقة تحققت الوحدة في جمهور حزب الله تلقائياً وبشكل جيد، لأن جماهيرنا بطبيعتها تحب الوحدة وتسعى إليها.. بل إذا

تحققت الوحدة بين العلماء المجاهدين فقط تبعتها الوحدة بين جمهور المسلمين.. وهذا يؤكد مسؤولية العلماء العاملين في تحقيق وحدتهم بأي شكل ممكن، لكي تتوحد طاقات المسلمين في المنطقة في خدمة الهدف الواحد..

ومنها، أن الوحدة عادةً ليست فعلاً ابتدائياً يقوم به العلماء والمسلمون، بل هي فعل ناتج عن أحد نوعين من الحركة أو عن كليهما، حركة من العدو الكافر والنظام الجائر بقصد فرض المزيد من السيطرة واحكام الكفر على المسلمين، وحركة من الأمة لمقاومته.. فالوحدة الحقيقية دائماً ذات مضمون جهادي، وبدون هذا المضمون لا تتحقق إلا وحدات ضعيفة من قبيل وحدة المؤسسات العلمية، والتعليمية، والخدمات الاجتماعية، وما شابه..

إن هاتين الحركتين في الأعداء وفي الأمة تشكّلان الأرضية الملائمة لتحقيق الوحدة، وكلما تقدمتا في مراحلها كلما ازدادت أرضية الوحدة عمقا واتساعا..

مثلاً، كانت حركة الأمة في افغانستان قبل الاحتلال الروسي في بداياتها الأولى، وكان طرح الوحدة بين كل علماء البلد طرحاً متقدماً، لأن أرضية الوحدة كانت موجودة فقط بين مجموعة قليلة من العلماء المتحرّكين الذين يريدون إقامة النظام الاسلامي.. أما بعد الغزو الكافر المباشر للبلد وحركة الأمة الواسعة في مقاومته والحمد لله، فقد أصبحت الأرضية موجودة لطرح الوحدة الكاملة الشاملة.. والأمر كذلك في لبنان، ومن قبله في فلسطين، حيث توجد الأرضية لطرح الوحدة الكاملة بين العلماء في هذين البلدين.. أما في مصر مثلاً حيث تتقدم حركة العدو الكافر والنظام الجائر بخطوات حثيثة نحو تجميع شخصية البلد وفرض الاستسلام على أهله، وحيث تنشط حركة الأمة في مراحلها الأولى.. فإن أرضية الوحدة تتوفر بين العلماء العاملين فقط، لتسري منهم الى جمهور حزب الله وبقية المسلمين والعلماء..

وفي العراق مثلاً حيث تفاقمت حركة العدو ونظامه في فرض إرهاب دموي قليل النظر، فاستسلمت له الأمة حتى صار فعلها في مقاومته محدوداً، فإن أرضية الوحدة تكون موجودة فعلاً فقط بين العلماء المشتغلين بالمقاومة وجمهورهم، لتسري منهم الى بقية الأمة وعلمائها..

وهكذا ينبغي أن يكون طرح مشروع الوحدة في كل بلد وطرح عالم أو هيئة علماء للقيادة متلائماً مع مدى الأرضية التي تحققها له حركة العدو وحركة الأمة في مقاومته، حتى لا يأتي طرحاً في فراغ فعلي..

ومنها، أن الوحدة بين جماعة حزب الله على نطاق صغير أو كبير، تبدأ نواةً مباركةً ثم تنمو بالتدريج.. وكما أنها لا توجد في الفراغ كذلك لا تنمو في الفراغ، وكما أن مشتلها وأرضية وجودها حركة العدو والأمة، فإن سقيها وغذاءها هو حركة الأمة في مقاومة عدوها..

وعلى هذا فإن قدرة العالم على توحيد الأمة تكون متناسبة تماماً مع قدرته على التقدم بها في مراحل مواجهة العدو.. أما إذا كان من النوع الذي لا يتقدم في مواجهة العدو بل يواكب تقدم الأمة و ينسجم مع حركتها ومبادراتها لا أكثر، فهو ليس قائداً وإن كان ذكياً في المواكبة والانسجام مع أحداث فعل الأمة..

مستويات الوحدة المتحققة في الأمة

يصعب القول بأنه يوجد بين النصارى في العالم، أو بين اليهود، أو بين المشركين، وحدة عقائدية، فإنما هي وحدة سياسية لا يشكل الجانب العقائدي فيها إلا قشراً خفيفاً.. نعم هي وحدة سياسية كما يخبرنا الله تعالى في كتابه ومحورها ووجهتها عداؤهم لنا.

بينما توجد الوحدة العقائدية بين المسلمين بقطع النظر عن الوحدة السياسية، وذلك لأن عقيدة الاسلام وشريعته تمتازان بالعمق والشمول الذي يوحد المؤمنين بهما بمستوى لا تستطيع أن تحققه العقائد والأديان الأخرى..

إن هذه الوحدة في العقيدة بالله تعالى ورسوله «ص» وما أنزل اليه من القرآن والوحي، هي المستوى الأول للوحدة بين المسلمين وإن وجد بينهم اختلاف مذهبي في عدد من تفريعاتها وتفصيلاتها.. ولذلك يجد المسلم في أخيه المسلم من العقائد والمشاعر

والسلوك ما يألفه ويشده اليه أكثر مما يجد المسيحي في زميله المسيحي، واليهودي في زميله اليهودي، والوثني في زميله الوثني، والمنافق في زميله المنافق..

إن الاسلام يطبع الشخصية بشكل عميق وشامل فتتوحد بطابعه، بينما لا تطبع الأديان الأخرى أتباعها الا بشكلٍ باهتٍ، فيكون الطابع الذي يوحدهم سياسيا مصلحيا وليس عقائديا..

وإن من اعظم الخدمات للاسلام والمسلمين والقربات الى الله تعالى، أن نستثمر نعمة هذه الوحدة العقيدية المباركة في رصّ صفّ المسلمين في مقاومة اعدائهم، فنؤكد دائما في ثقافتنا ولقاءاتنا على المشتركات المقدسة الواسعة بين المسلمين، والتي لا يضرها أن يحتفظ أهل كل مذهب أو بلد بدرجة اكبر من علاقاتهم و وحدتهم.. إن الذين يعيشون الفروقات العقيدية والفقهية بين المسلمين التي ربما تبلغ عشرة في المئة أو عشرين في المئة وينسون نعمة الوحدة بين مليار مسلم في عقائد الاسلام وفقهه، ننقصهم النظرة الاسلامية الشمولية، وينقصهم شكر النعمة والسجود لله تعالى من أجلها، وتحجبهم شجرة واحدة عن أشجار الاسلام الباسقة وبساتينها الواسعة..

إن على هذه النوعية التي تتصور نفسها مخلصه للاسلام ومذاهبه أكثر من غيرها أن تعود الى مدرسة الفطرة الاسلامية وأفقها الرحب، وتتعلم من أبناء شعوبنا الاسلامية الذين تحفّق قلوبهم لكل مسلم عند ماتراه، وتعيش به نعمة عقيدة الاسلام وأخوتها.

والمستوى الثاني من الوحدة، وحدة الواقع السياسي والمشكلة السياسية، فمشكلة المسلمين السياسية واحدة، و واقعهم وظروفهم الاجتماعية والسياسية واحدة، لا يوجد فيها فرق نوعي بين بلد وبلد أو شعب وشعب مطلقا، وإنما هي فروق في الكمية والدرجة، درجة تسلط الكافرين عليهم، ودرجة مقاومة المسلمين ونهضتهم.. والفروق الكمية ليست فروقا جوهرية، بل عَرَضِيَّة قابلة للتغير في أي وقت..

والمستوى الثالث من الوحدة القائمة في الأمة، الوحدة بين الأوساط المتدينة فيها، فالمتدينون الملتمزمون بالصلاة وأداء الواجبات أو أكثرها، والتاركون لارتكاب

المحرمات أو أكثرها، يوجد بينهم وحدة أعمق حتى لو كانوا غير عاملين في مقاومة العدو، يحكم معاشيتهم للإيمان بالله تعالى ورسوله، وتشرفهم بإطاعته أكثر من غيرهم..

المستوى الرابع من الوحدة القائمة بين المسلمين، وحدة جمهور حزب الله، هؤلاء المتدينين الأبرار العاملين في مقاومة القوى الشيطانية الكافرة والأنظمة المناقضة الجائرة، الذين يسميهم أعداؤنا الغربيون «المسلمين المتطرفين» و «المسلمين الأصوليين» والمتعصبين، والحرفيين، والإرهابيين.. إنهم وجود واحد من جبل طارق الى جاكرتا وإن لم يعرفوا بعضهم، وإن تباعدت بينهم الديار، وإن لم يسمح لهم الأعداء بأن يزوروا بعضهم، أو يحدوا بعضهم مباشرة.. فهم حزب الله تعالى الذين تحزبوا له وتعصبوا له، وغضبوا له ولرسوله وقرآنه وأمتة، وتحزبوا ضد الكفر وأحزابه، والشيطان وأحزابه، وطواغيت الغرب والشرق وأحزابهم.. هؤلاء المؤمنون العاملون لافرق بين أبيضهم وأسودهم وأصفرهم، وعربهم وعجمهم، وفلاحهم ومثقفهم، وعلمائهم وجماعاتهم وتنظيماتهم، مهما بدت الفروق كبيرة والمشارب متفاوتة، فهم أبناء مشرب واحد هو الاسلام، وهدف واحد أن يحكم الاسلام، ومعركة واحدة مع الطاغوت..

والمستوى الخامس من الوحدة القائمة بين المسلمين، الوحدة بين علماء الاسلام، فالعلماء في نظر أعداء الاسلام وفي نظر المسلمين وجود واحد، وهم أهل ثقافة واحدة ومناهج دراسية من منبع واحد، ونمط روحاني وقيادي واحد.. إنهم الإمتداد الثقافي والسلوكي لعلماء الأمة في أجيالها المجيدة وصولاً الى الصحابة والأئمة والنبي «ص». و وحدتهم ليست وحدة كهنوتية أو طبقية كما في الأديان الأخرى، بل وحدة علم وعمل ودراسة مفتوح بابها لكل أبناء الأمة، وإن كان أكثر من يقصدها وينبغ فيها أبناء المستضعفين من الأمة، وهو أمر يؤكد وحدة العلماء من جهة والتصاقهم بال جماهير وتعبيرهم عن ضميرهم..

هذه المستويات الخمسة من الوحدة موجودة وقائمة في الأمة وأوساطها المتدينة وجمهور حزب الله، مهما كان اختلاف الآراء ووجهات النظر بينها كبيراً، بل حتى لو كان بينها خلافات وخصومات حقيقية، فإن وجود هذه المستويات من الوحدة في الأمة وجود واقعي حقيقي لا يزيله اختلاف الآراء والخصومات..

وهي جميعاً عوامل عظيمة في تحقيق النوع المطلوب من الوحدة، وهو الوحدة السياسية العملية العضوية في كل بلد، وفي العالم..

العوائق الحقيقية عن وحدة العاملين

لو افترضنا ساحة إسلامية على مستوى مدينة أو بلد إسلامي، فيها علماء عاملون في مقاومة النظام أو العدو مباشرة، وفيها تنظيمات إسلامية، وشخصيات مثقفة مستقلة عاملة أيضاً، وكل منهم له تأثير على الساحة، وهدفهم واحد وهو تحرير البلد المسلم من العدو، أو إسقاط نظامه وإقامة حكم الإسلام، وتحيط بهم ظروف سياسية معادية توجب وحدتهم العملية، ومع ذلك لا يتوصلون إلى تحقيقها.. فإذا يكون السبب الحقيقي لهذه الكارثة، أو العوائق الحقيقية عن تحقيق هذه الفريضة..؟

ينبغي أولاً أن نشير إلى أن نسبة ما يتعلق بالجمهور من الأسباب السلبية التي سنذكرها ضئيلة جداً، وأن الأسباب بشكل عام تعود إلى القيادة من العلماء والتنظيمات والشخصيات.. وهذا نكتشف أحد أوجه الخطورة الشرعية على من يقود عشرين نفراً من المسلمين.

العائق الأول عن تحقيق الوحدة، مرض الأنانية الذي هو سبب المصائب.. فبعضهم يخاف من أي طرح لوحدة العاملين ويعارضه، لأنه غير مستعد للتنازل عن موقعه كرئيس تنظيم أو كتلة أو جماعة أو شخصية مرموقة، والذوبان في الوجود الجديد المقدس.. إنه يريد موقعه الدنيوي ولو على حساب مصلحة الإسلام والمسلمين، وتبدأ النفس الأتقار تبرر له معارضته للوحدة بمبررات شتى، مثل أن الظروف الموضوعية لا تسمح بقيامها الآن، وأنها تحتاج إلى مقدمات ومراحل تمهيدية، وأن صيغتها تحتاج

الى مزيد من الدراسة والوقت، وأن الأطراف الأخرى لم تُبد استعدادها بشكل جدي، وما شابه ذلك من المبررات التي لا تُرضي الله تعالى ورسوله..

وبعضهم يقبل بالوحدة بشرط أن تحقق له موقعا أفضل من موقعه قبلها، أو تحفظ له موقعه، أو ما هو قريب منه، فإن أحس بعدم تحقيق ذلك عارضها بأسلوب وآخر.. وبعضهم يقبل بالوحدة قبولا ظاهريا بسبب الضغوط الاجتماعية عليه، ولكنه يحتال بأسلوب وآخر لكي يحتفظ بوجوده الانفصالي هو وجماعته، ويستفيد من صيغة الوحدة لتقوية هذا الوجود الانفصالي غير المقدس.. الى آخر اشكال الأنانية التي تعيق عن تحقيق المصلحة الاسلامية التي يعترف الجميع أنها متوقفة على وحدتهم..

ولو أن أمر مرض الأنانية وحب الذات يقف عند عدم الدخول في صيغة الوحدة لهان الأمر، ولأمكن أن يسير مشروع الوحدة بالأصحاء أو شبه الأصحاء من هذا المرض أعاذنا الله، ولكنه يدفع أصحابه الى القيام بأعمال شيطانية لعرقله الوحدة وتفشيها، فتتحول الأنانية بذلك من أنانية سلبية الى أنانية عدوانية على العمل في سبيل الله..

إن حالات مرض الأنانية متعددة ومتفاوتة، فمنها الضعيف والقوي، والعارض والمُستحْكِم، والبسيط والمركَّب، وما يصيب اشخاصا ويسلم منه آخرون.. وأصعب حالاته الأنانية المركبة التي تشمل كل الساحة أو غالبها والعاياذ بالله، والتي يعارض المصاب بها الوحدة إلا أن تكون بقيادته، ويعمل ضد أي مستوى يتحقق منها.. إنها حالة غضبٍ إلهي على تلك القيادات وربما على ساحتها أيضا، ولاشفاء لها عادة الا بتدخل من خارج الساحة لتحقيق الوحدة، أو بضغط جماهيري قوي، أو بتغير ظروف الساحة وقياداتها أو أكثرهم..

وبصورة عامة فإن معالجة مرض الأنانية الحزبية والشخصية الذي يعيق الوحدة تكون بالأساليب التالية:

أولاً: بموعظة المصابين بهذا المرض وتنبيههم الى أن الذي يؤخر تحقيق وحدة العاملين في ساحة اسلامية يتحمل نصيباً من مسؤولية استمرار تشتت القوى الاسلامية وتسلب العدو الجائر والكافر وأعماله بحق المسلمين.. وأن الذي يساعد على تحقيقها له نصيب

من الثواب العظيم في توحيد المسلمين وتقويتهم ضد عدوهم..
وتنبيههم أيضاً الى خطأ حسابهم الدنيوي، وأن الشخص القيادي أو الحزب الذي يتواضع لله تعالى و يذوب في صيغة قيادة وحدوية يرفعه الله تعالى و يبارك له، وأن المواقع والمناصب في طريق الجهاد وبعد النصر أكثر وأكبر منها الآن لمن أراد ذلك..

ثانياً: بالمساعي الحميدة من وسطاء الخير، من داخل الساحة المعنية أو من خارجها، والوساطة لهذا الهدف المقدس من أعظم أنواع الأمر بالمعروف والاصلاح بين المسلمين، وتجب على من يستطيع القيام بها، نعم قد تكون مهمة شاقة تحتاج الى الحكمة والصبر الكثير والدأب المتواصل، ولكن هدفها يستحق كل ذلك.. والمهيأ لها عادة هم علماء ومتدينون مستقلون على علاقة حسنة بمختلف الاطراف، وعلى درجة كبيرة من الحرص على وحدة المنطقة، وإنقاذها من ضعف التشتت والتفرق، وامراض الفتوية والاختلافات، وتقويتها في مواجهة العدو..

ثالثاً: بارتفاع درجة وعي جمهور حزب الله وسراية روح الوحدة فيه، وإدراكه أهميتها وضرورتها وحث القيادات والفئات العاملة على تحقيقها، في كل مناسبة بأسلوب وآخر، ولوبالضغط عليهم أو على بعضهم إذا لزم الأمر، ولو بجمعهم والإحتشاد عند مكان اجتماعهم والهتاف بالوحدة المقدسة.

إن تصور جمهور حزب الله بأن تحقيق الوحدة هو مسؤولية القيادات، وأنه لادور له ولا مسؤولية عليه في تحقيقها وحمايتها وتقويتها، تصور يتضمن الخطأ، لأن على الجمهور نصيباً من المسؤولية أيضاً، فهو يستطيع حث القيادات لكي تحقق الوحدة، ويستطيع أن يضغط عليها إذا لم تستجب لحثه، ومثل هذا الضغط لا ينافي احترامه وإطاعته لها، لأن احترام الاسلام ومصلحته أهم وأعظم..

العائق الثاني عن تحقيق الوحدة، العناصر الشيطانية، التي تعمل لاحباط وتخريب أي نوع وأي مستوى من الوحدة بين العاملين، وتسعى للافساد في الأرض وإيجاد الاختلاف والفرقة.. وهي عناصر غالباً ماتكون مرتبطة بأعداء الاسلام الكافرين والمنافقين، وتكون مدسوسة في التنظيمات الاسلامية ومقربة نفسها الى العلماء والشخصيات، ونادراً ماتكون مناققة تعمل لحسابها.

فعند ما يطرح الخيرون موضوع الوحدة في ساحة من الساحات الاسلامية وتبدأ الخطوات لتحقيقها، تصدر الأوامر الشيطانية لتلك العناصر فتبدأ حملات نشاطها ببث الشائعات المفرقة، وافتعال الخلافات، والهمس الشيطاني في آذان القيادات ومن حولها..

إن فترة طرح الوحدة وإجراء المداولات بشأنها فترة ملائمة لكشف العديد من تلك العناصر الشيطانية وارتباطاتها بالأعداء، بأن يقوم بعض أفراد حزب الله باختيار بعض الشائعات المفرقة مثلاً، ويتتبع الذين سمعوها واحداً عن واحد حتى يصل الى العنصر الشيطاني الذي أطلقها.. وقد سمعت أن أحدهم أجرى مثل هذه العملية وكان يواجه الناقل بمن سمع منه، حتى وصل بعد أيام من الجهد الى العنصر الشيطاني الذي أطلقها، وكان عضواً في حزب إسلامي، فلما واجهه بمن سمع منه، وسأله ممن سمعها هو أشقّط في يده ولم يجرّ جواباً..

وهي فترة ملائمة أيضاً للعلماء والشخصيات القيادية أن يلاحظوا المتدينين المخلصين حولهم الذين يشجعونهم على تحقيق الوحدة والتضحية من أجل تحقيقها، وأولئك الذين تصدر منهم كلمات أو أعمال علنية أو سرية تخدم الفرقة وتعيق الوحدة حتى لو كانت كلمات مديح بهم.. فإن هؤلاء المفرقين لا يخلو أمرهم أن يكونوا عناصر شيطانية منافقة ومرتبطة بالعدو أو ساذجين واقعين تحت تأثيرها..

ينبغي أن لانستهين بفعل هذه العناصر وتأثيرها، وأن لايعتبر العلماء والقيادات الأخرى وكوادر حزب الله أنهم بمنأى عنها وعن تأثيرها، بل لابد من اليقظة والدقة واتهام كل من يقف موقفاً سلبياً أو معارضاً لتحقيق وحدة المسلمين، لأن المتدين المعتقد بالاسلام الحريص على مصلحته يحرص على وحدة العاملين له لامحالة.. وإن أعداءنا يبذلون قصارى جهودهم وملايين أموالهم على اختراق صفوف المسلمين وتنظيماتهم بمثل هذه العناصر، وقد صرح بعض زعماء أمريكا وإسرائيل بأنه لا يوجد أسلوب لضرب المجموعات «المتطرفة» من المسلمين أفضل من أسلوب اختراقهم من الداخل وإلقاء الخلافات بينهم.

ومن إعجاز القرآن الكريم أن أوامره للمسلمين بالوحدة تأتي دائماً في سياق

التحذير من تولي اليهود والنصارى والوقوع تحت تأثيراتهم الشيطانية المفرقة، ومنها الأمر
الآلهي الخالد «وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا» ١٠٢- آل عمران، الذي جاء بعد
قوله تعالى «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَطَبُّعًا قَرِيبًا مِنَ الدِّينِ أَوْتُوا الْكِتَابَ بِرُذُوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ
كَافِرِينَ» ١٠٠- آل عمران، ونزلت آياته عند فتنة اليهود بين الأوس والخزرج..

العائق الثالث عن تحقيق الوحدة، الفروق المذهبية، وقد تقدم بعض ما يتعلق بهذا
الموضوع في الأساس السادس وغيره، ونذكر هنا نقطتين مناسبتين:

الأولى، أن الاختلافات المذهبية التي تطرح في عصرنا بين الشيعة والسنة، أو بين
الزيديين والشوافع، أو بين مذهب اسلامي ومذهب، ويشغل فيها بعض المسلمين
من أتباع المذاهب. حقيقتها في الغالب أنها خلافات سياسية وليست عقيدية حول
الامامة والخلافة والفقهاء.. بدليل بسيط هو أن هؤلاء المشتغلين بها المتحمسين لها
حالتهم ليست واحدة في الحماس، فنراهم يتحركون في فترات تطول أو تقصر، ثم
يسكتون لفترات تطول أو تقصر، وعند ما نلاحظ فترات تحركهم وحماسهم وخطبهم
وكتبهم وكراريسهم، وفترات سكوتهم وسكونهم، أو تحول بعضهم الى دعاة للوحدة
الاسلامية والتقريب بين المذاهب.. نجدها منسجمة مع الوضع السياسي
الاستعماري وما يريده العدو الكافر من توتير العلاقات أو تهدئتها بين بعض الدول
التي يسكنها الشيعة والسنة، أو داخل الدولة الواحدة..

إن هذه الموسمية في الحماس للشيعة وأئمة أهل البيت عليهم السلام وفقههم، أو
الحماس للخلفاء أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وأئمة المذاهب الأربعة رضي الله
عنهم، توجب أن نتساءل عن مناسبتها وهبونها وسكونها، ومن يستفيد منها، ومن يدفع
اليها.. ولا يعني ذلك أن كل المشتغلين بها مرتبطون بأعدائنا الكفار وأتباعهم المنافقين،
ففيهم أناس صادقون في حماسهم للصحابة وفقه المذاهب السنية وعدائهم للشيعة
ومذاهبهم، وأناس صادقون في حماسهم لأهل البيت ومذاهبهم وشيعتهم وعدائهم للسنة
ومذاهبهم.. ولكنهم مدفوعون من حيث لا يشعرون..

نعم هؤلاء الطيبون غير معذورين في أمر واحد هو أنهم يدركون أن بلادنا إنما يحكمها
فقه ريغان وميتران وتاتشر وكرباتشوف وبيريز، وفقه جماعتهم المنافقين، وليس فقه

السنة أو فقه الشيعة، وأن هذه الإثارات المذهبية والنيل من الشخصيات المقدسة عند هذا المذهب أو ذاك تخدم استمرار سيطرة الأعداء وفقههم، ولا تقربنا شبراً من حكم فقه الامام جعفر الصادق أو فقه المذاهب الأربعة، أو حكم جماعة علي أو جماعة أبي بكر وعمر..

هذا المعمم الضرير البسيط الذي ينقل أنه كان يقرأ التعزية على سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء «ع» في مسجد بطهران قرب السفارة العثمانية أيام الدولة العثمانية والصفوية، وكان ينال من الخليفة أبي بكر (رض) باعتباره ظلم الزهراء وصادر منها منطقة فدك التي نَحَلها إياها النبي «ص» و ينال من الخليفة عمر (رض) باعتباره دخل دار علي بدون إذن وهدد بإحراقه عليهم إن لم يبايع علي «ع».. هذا المعمم كان صادقاً في اعتقاده بمظلومية الزهراء وغضبه على من ظلمها ولكنه كان بذلك يخدم أعداء الزهراء والنبي وأبي بكر وعمر، ويقبض أجرته منهم من حيث لا يشعرون.. فعند ماتنّبته الى ذلك أحد المتدينين الواعين وسأل الشيخ عن قراءة هذا الموضوع لأيام متتالية أخبره أن صاحب الدكان المجاور نذر قراءة تعزية على الزهراء عليها السلام و ذم من ظلمها، وطلب منه أن يقرأ ذلك لمدة خمسة عشر يوماً.. ولما تتبع هذا المتدين المسألة قال له صاحب الدكان إنه ليس هو صاحب النذر وأن رجلاً أعطاه ثلاثين روبية وكلفه أن يستأجر قارئاً بماء، و يأخذ الباقي، وأنه قد أعطى القاريء النصف وأخذ هو النصف، ولما تابع الرجل بحثه وصل بعد عدة أشخاص الى صاحب النذر الأصلي الذي هو سفارة صاحب الجلالة ملك بريطانيا، ووجد أن مبلغ النذر كان خمس مئة روبية، وأن هدفه أن يسمع موظفو السفارة العثمانية المساس بالخلفاء عند ما يصلون في ذلك المسجد فيخبرون بذلك دولتهم، ويصبّون النار على الخلاف المذهبي الذي اشعله الأوروبيون بين الدولة العثمانية والصفوية، حتى وصل الأمر الى الحرب بينها..

بشكل عام فإن المشتغلين بالحماس المذهبي والاثارات المذهبية يقومون عن علم أو جهل بتنفيذ ندورات أعدائنا الكفار وأتباعهم المنافقين، و يقرؤون التعازي التي يتصورونها تخدم قضية أهل البيت والخلفاء والمذاهب، ولكنها في الواقع تخدم الكفر

العالمي وتضر بالمسلمين جميعا.

والنقطة الثانية، أن الصيغ المطروحة للوحدة الاسلامية بين أهل المذاهب ثلاث: الوحدة الفكرية، ووحدة التقارب والتعارف العلمي، والوحدة السياسية الجهادية.. أما الوحدة الفكرية التي يكون هدفها الوصول الى قناعة واحدة في عشرات فروع العقيدة الاسلامية وألوف الفروع الفقهية، فهي صيغة ضعيفة جداً، لأن توحيد الانظار على هذه المسائل العلمية يشبه المستحيل، ولأن الله تعالى لا يحرم على العلماء والمجتهدين والناس أن تكون آراؤهم وقناعاتهم مختلفة، بل يحرم عليهم أن تكون مسيرتهم العملية متفرقة مختلفة..

إن هذه الصيغة قد تصلح لأن تكون صيغة علمية بين مجموعة من الفقهاء، ولكننا عندما نطرحها للجماهير فستفتح بين المسلمين أبواباً للنقاش والجدل من شأنها أن تشغلهم عن مقاومة عدوهم، بل من شأنها أن تحدث بينهم خلافات جديدة، أو تثير خلافات ماضى وقتها..

وأما وحدة التقريب العلمي وتبادل الآراء الفقهية والكتب والتزاور وما شابه، فهي صيغة مفيدة إذا تمت بروح إيجابية، ولكنها محدودة النفع ببعض الأوساط العلمية والمتعلمة..

وأما وحدة الهدف السياسي والخط السياسي والمقاومة وبذل الجهد والدم في سبيل الله، فهي الصيغة المثمرة التي توجه طاقات الأمة نحو عدوها وتغنيها عن الانشغال في النقاش والجدل المذهبي..

إن قضيتنا اليوم إنما هي مع أبي جهل وأبي لهب وبني النضير وخيبر وبني الروم الذين يتسلطون على كل جماعة النبي «ص» وجماعة علي وعمر والصحابه وأهل البيت وأئمة المذاهب ويسومونهم سوء العذاب، ويدوسون عقائدهم وأحكام فقههم بأقدامهم وأقدام أتباعهم المنافقين.. وإن واجبنا الشرعي أن نقاومهم حتى نحرر بلادنا منهم، ونقطع عنها شرهم، ونقيم فيها حكم الاسلام، وليطبق أهل كل مذهب في مناطقهم فقه مذهبهم..

إن الوحدة السياسية الجهادية مضافاً الى الوحدة القائمة في الأمة في العقائد والاصول، هي الصيغة المنطقية المنسجمة مع منطق الاسلام الاجتماعي وظروف الأمة.. فهي التي تحقق هدف الاسلام، وتحفظ للمسلمين حرية الاعتقاد والاجتهاد والممارسة على أي مذهب إسلامي اختاروه، ضمن إطار الاسلام ومسيرته الكبرى.. وهذه الصيغة لا يكون التفاوت المذهبي عائقاً عن الوحدة بحال من الأحوال، ولا مدخلاً للعدو الكافر أن يبتث التفرقة بين المسلمين، ولا عذراً للمتعصبين للمذاهب أن لا يدخلوا في هذه الوحدة المقدسة، التي تحقق مصلحة الاسلام العليا بكل مذاهبه..

وهناك عوائق أخرى متصورة تمنع من تحقيق الوحدة بين العاملين على مستوى البلد الواحد أو العالم الاسلامي، من قبيل الإقليمية والقومية، واختلاف وجهات النظر في شكل الحكم الاسلامي وشروط الامامة والخلافة، وما شابه.. ولكنني أجد العوائق الحقيقة منها ترجع الى هذه الثلاثة، مثلاً، العائق القومي والاقليمي يرجعان الى فعل العدو وعناصره الشيطانية، والى مرض الأنانية في نفوس القيادات التي تعتذر بهما وترفع شعارهما، فالقضية عند هذه القيادات لا تكون في الواقع مصلحة مسلمي هذا الاقليم أو هذه القومية، وإنما مرض الأنانية والخوف من الوحدة لابساً ثوب الاقليم والقوم.. ويمكن بسهولة ملاحظة ذلك في الذين يطرحون خصوصية الاقليم والقوم عائقاً عن وحدة العاملين..

الأساس الثامن

مميزات ثقافة حزب الله

عند ما نتحدث عن الثقافة الإسلامية في طريقة حزب الله فإنما نتحدث عن الثقافة التي يقدمها العلماء وطلبة العلوم الدينية للمسلمين، عن الصفات العامة لموضوعاتها، وعن طريقها المتوارثة عن أجيال العلماء والمبلغين رضوان الله عليهم.. والتي تختلف عن صفات الثقافة التي تقدمها الأحزاب والتنظيمات الإسلامية، وإن اشتركت معها في جملة من الأمور..

أول ما يطالعنا في ثقافة حزب الله:

أنها ثقافة للجمهور وعامة المسلمين، فدروس العلماء في المساجد في المدن والقرى، ومواعظ الخطباء في أيام الجمع والمناسبات، والكتب والكراسات، وكل نشاطات المبلغين والخطباء الثقافية.. صفتها العامة أنها لجمهور المسلمين، وإن كان فيها ثقافة للخاصة من ذوي المستوى العلمي..

بينما الصفة العامة لثقافة الأحزاب والحركات أنها ثقافة للخاصة، لأعضاء التنظيم والمتعلمين من الأمة، وإن كان فيها قليل من الثقافة للجماهير..

إنها منحيان يدلان على التوجه العام والحقل الأساسي المقصود بالثقيف، والذي هو الجمهور في طريقة حزب الله، والأعضاء والمتعلمون في الأحزاب والحركات..

نعم يوجد في الاسلام ثقافة للخاصة من العلماء والمثقفين والمتعلمين، ونحن بحاجة الى من يهتم بمخاطبة ذوي المستوى العلمي من الأمة والعالم، ولكنها في طريقة حزب الله ثقافة اختصاص وجزء من استراتيجية تثقيف الأمة وتحريكها، بينما هي في الأحزاب والتنظيمات كل الاستراتيجية، أو غالبيتها العظمى ..

شئنا أم أبينا فإن منحى «الثقافة للنخبة والطلبة» متأثر بطريقة الأحزاب في الغرب التي ترى أن الكوادر والنخبة هم الذين يحتاجون الى ثقافة، أما الجمهور فيحتاج الى إدارة.. حتى لم يعد هناك فرق في هذا المنحى بين التنظيم الاسلامي والتنظيمات العلمانية الديمقراطية والقومية على الطريقة الغربية.. بل إن الحركات اليسارية في بلادنا التي ترفع شعار جماهيرية الثقافة وتحرص على نقل التجربة الشيوعية في تثقيف الجماهير، استقرت أخيراً على منحى ثقافة النخبة والطلبة، بسبب أن الجو العام للتثقيف الفكري السياسي في بلادنا غربي نخوي، وبسبب اصطدامها بالدين في محاولة تثقيفها للجماهير المسلمة..

وهذا نرى أن جماهيرية الثقافة في طريقة حزب الله أكثر أصالةً ويسراً، وأكثر إنتاجاً في تحريك الأمة نحو مواجهة أعدائها وإقامة الاسلام..



والميزة الثانية في ثقافة حزب الله:

أنها «ثقافة النص الاسلامي» بينما يمكن أن نسمي ثقافة الأحزاب والتنظيمات الاسلامية بأنها «ثقافة الشروح الاسلامية» فالصفة البارزة لما يقدمه العالم والمبلغ في طريقة حزب الله هو النص القرآني، ونص الحديث والسيرة، ونصوص الأدعية، ونصوص الفتاوى والموعظة.. الخ، حتى صار بعض الناس ينتقدون العلماء بأن خطبهم وأحاديثهم: قال الله، وقال رسول الله، وهذا حلال وهذا حرام، ولا شيء غير ذلك..

إن هذه الانتقادات فيها جانب من الحق، لأن الناس يريدون من عالم الدين أن يعالج المشاكل الفكرية والسياسية والاجتماعية المعاشة، وأن ينفذ اليها من النص، أو ينفذ منها الى النص.. ولكن الاستجابة لهذه الحاجة العصرية في ثقافتنا في

الأحزاب والحركات جاءت مفردة، فقد ركزنا اهتمامنا على أن نقدم كلامنا الفكري حول المسائل الإسلامية أكثر من اهتمامنا بتقديم النص الإسلامي..

لقد أصبح العنصر البارز في تثقيفنا لأعضائنا والمتعلمين والأمة، وفي أحاديثنا عن الإسلام والمسلمين والكفر والكافرين.. هو أفكارنا وأفكار كتابنا وتنظيماتنا..

إن هذه الطريقة في تقديم الثقافة الإسلامية فيها إيجابيات دون شك، فهي تسد حاجة المتعلمين في مواجهة مسائل الثقافة والفكر الغربي الرأسمالي والشيوعي.. ولكن فيها نقطتي ضعف كبيرتين:

فهي من جهة قد توسعت في فتح باب الاجتهاد الفكري حتى أصبح الكاتب الإسلامي والحركة الإسلامية والداعية العادية الثقافة، يقدمون فهمهم واجتهاداتهم في تحليل مسائل العقيدة والشريعة والأهداف الإسلامية، على أنها آراء الإسلام، فيقول أحدهم يرى الإسلام، ولا يرى الإسلام، ويريد الإسلام، ولا يريد الإسلام.. وهذا مفهوم إسلامي أو غير إسلامي، الخ..

لقد أوجد هذا التوسع في الاجتهاد الفكري شعوراً عند أعضاء حركاتنا بتعميم الاجتهاد في المسائل الإسلامية وبضعف الضوابط لما يصح أن يجتهد به وما لا يصح، ومن يصح له أن يجتهد ومن لا يصح.. وهو شعور لا تقتصر خطورته على دعائنا فقط، بل تمتد الى من يتأثر بهم من الأمة، فيشعرون بأن له الحق أن يفسر مسائل الإسلام بحسب ذهنه أيضاً..

ومن جهة أخرى حرمت شبابنا من معايشة النصوص الإسلامية ومخامرتها، وتقديمها الى جماهير الأمة..

ينبغي لنا في التنظيمات الإسلامية أن ندرك أن حاجة الأعضاء والمسلمين الى تعليم آية كريمة أو حديث شريف أكثر بكثير من حاجتهم الى تعليم أفكارنا وتحليلاتنا حول الإسلام.. وأنهم إذا عايشوا النص الإسلامي وخامروه استفادوا منه أكثر من شروحاتنا حوله أيضاً..

النص القرآني منزلاً أصلاً لكي تتعلمه جماهير الناس وتقرأه وتحفظه وتعايشه وتخامره بأنفسها وأرواحها، فتستفيد منه نمط التصور الإسلامي، ونمط التفكير

الاسلامي، ونمط الشعور الاسلامي، ونمط السلوك الاسلامي.. تستفيد منه في وعيها، وفي عمق باطنها، أضعاف أضعاف ما يقدمه المبلغون من شروح.. والسنة الشريفة كذلك، وأحكام الشريعة المقدسة كذلك..

قال لي أحد كوادرننا يوماً: عندي بعض الشباب أدرّسهم منذ أشهر فلا أرى فيهم تقدماً، فماذا تنصّحني؟

سألته ماذا يدرّسهم، فقال: مواضيع من كتاب شبّهات حول الاسلام لمحمد قطب، وكتاب المدرسة الاسلامية للسيد الصدر، ومواضيع مختارة لكتاب اسلاميين آخرين..

قلت له: هؤلاء يريدون أن يدرسوا الدين، وأنت تدرّسهم رائحة الدين، فكيف تريدوهم أن يتقدموا.. إنهم لا يعيشون أزمة الشُّبّه حول الاسلام، ولا أزمة المدرسة الفكرية التي يتبنونها ويؤمنون بها.. إنهم مسلمون يريدون معرفة شيء من الدين. درّسهم السور القصار وشرحها لهم من كتاب تفسير، أو من قراءتك من التفاسير، واطلب منهم أن يحفظوها.. ودرّسهم أحاديث شريفة من كتاب تحف العقول أو مكارم الاخلاق أو الخصال، واحفظها أنت وهم، وحاول أن تشرحها لهم قدر استطاعتك واسأل عما أشكل عليك..

وجاءني بعدمدة وهو يتسم، قال: لقد تغير جوّ الدرس كلياً، وزاد اهتمامهم به وحبهم له..

إن ثقافة النص الاسلامي هي الثقافة الأصيلة، ولنستعمل فيها من الحداثة والعصرنة والأكاديمية والفن ماشئنا، ولكن بشرط أن تكون جميعاً وسائل نخدم بها تقديم النص الاسلامي لهذا الشاب والفلاح والعامل لكي يعيشوه، لأن نحجب بها النص عنهم..

الميزة الثالثة لثقافة حزب الله:

أنها «ثقافة الحكم الشرعي» بينما ثقافة التنظيمات والأحزاب «ثقافة المفاهيم العامة» نعم نحن نتكلم كثيراً في ثقافتنا التنظيمية وكتاباتها الإسلامية عن تكون الإسلام من عقيدة وشريعة شاملة لكل جوانب الحياة، ونقول لشبابنا في التنظيمات وللناس، يجب أن يكون الفقه وأحكام الشريعة هي المحور في الأعمال والسلوك.. ولكننا لانشتغل بدراسة هذا الفقه وتدريسه وإشاعته بين الناس.. وهذا يعني أن استراتيجية ثقافتنا تتضمن مفاهيم وأفكاراً حول الفقه، أما نفس الفقه فليس جزءاً منها.. وقد نتج عن ذلك أن التدين الذي نربّي عليه أعضاء تنظيماتنا ومن يتأثر بهم يمكن وصفه بأنه تدين فكري، أو تدين سياسي، أو تدين اجتماعي، ولكن لا يمكن وصفه بأنه «تدين فقهي أو فقاھتي».

أما طريقة حزب الله فتقول للمسلم: إن معنى الالتزام بالإسلام أن يكون محور سلوكك الحكم الشرعي، وتُدْرَسَ فقه مذهب الشيعي من فتوى مرجع التقليد، وتعلمه أن يسأل عما اشتبه عليه حكمه، وتدرسه فقه مذهب السني من فتاوى العلماء القدماء والجدد، وتعلمه أن يسأل عما اشتبه عليه حكمه..

نعم، يوجد في أوساط التنظيمات الإسلامية متدينون تديناً فقاھتياً، يتعاملون مع أمور العمل المختلفة كما يتعاملون مع الوضوء والصلاة، فيبحثون عن حكمها الشرعي ويطبقونه، ولكن تدينهم الفقاھتي لم يأتهم من ثقافه التنظيم وتربيته..

لقد نتج عن هذا النقص في ثقافة التنظيمات الإسلامية أن أعضاءها ومن يتأثر بهم يعيشون فراغاً فقهياً كبيراً وخطيراً.. فراغاً فقهياً في شرعية قيادة التنظيم الإسلامي وفريضة إطاعة أمرها على الأعضاء.. تسأل قيادة التنظيم: ماهي الصيغة الفقهية لقيادتك للمسلمين أو قيادتك لأعضاء تنظيمكم، فيقولون: وهل العمل الإسلامي يحتاج الى صيغة فقهية..

وتسأل العضو: ماهي الصيغة الفقهية التي توجب عليك إطاعة أوامر تنظيمك،

فيقول إنه عمل إسلامي، وهل هناك شك في شرعية التنظيم الإسلامي..
تسألهم فقهاءً فيجيبونك بالمفاهيم العامة، وكثيرٌ منهم لا يعرف أن العضوية في
تنظيم هي عملية إتمام لها أحكامها الشرعية المفصلة، وأن العمل في قيادة التنظيم
هي عملية إمامة لها أحكامها الشرعية المفصلة.. لقد تعود الجميع على التعامل مع
القضايا بالمفاهيم العامة وليس بالفقه والحكم الشرعي..

وتسأل عن الفقه الذي قامت عليه استراتيجية التنظيم وخطته العامة، وعن أحكام
مقاومة النظام بالأسلوب السياسي أو المسلح، وعن أحكام السجن والهجرة، وأحكام
العلاقة بالأنظمة غير الإسلامية، وعن كثير من مسائل العمل ومواقفه.. فيكون
الجواب بالمفاهيم العامة المجملّة في غالب الأحيان، والمبهمة في بعض الأحيان، والقابلة
للانطباق على عكس الموضوع في أحيان أخرى..

أيها الأخوة، هذه الشريعة المقدسة وفقهها الشامل الكامل الدقيق الذي نتحدث
عنه في مواجهة القانون الوضعي العام والخاص، ونقول لهم إن فقهنا الإسلامي يشمل
كل شيء، ويحدد كل شيء، وأن فيه مئات المجلدات والخبراء.. هذا الفقه أين هو
عن عملنا الإسلامي؟ ولماذا نرضى أن نتعامل مع قضايا العمل ومقاومة العدو
بالمفاهيم العامة وليس بالأحكام الفقهية الدقيقة..

لأنريد الاطالة بذكر الأسباب التي أدت الى هذا الفراغ الفقهي في ثقافة
التنظيمات الإسلامية، فإن المهم هو معالجة هذا النقص وملء هذا الفراغ.. فضافاً
الى قضية براءة ذمة المسلم في عمله أمام الله تعالى والتي تتوقف على استناد عمله الى
حكم شرعي، فإن مسيرة العمل الإسلامي لا تنتظم ولا تتوحد ولا تستمر إلا إذا ملأنا
هذا الفراغ وجعلنا الحكم الشرعي والفتوى الفقهية هي المحور، وربينا دعائنا والأمة
على ذلك التدين الفقاهتي المبارك، الذي يربّي عليه علماء حزب الله تلامذتهم
وجماعتهم، فيصبح معنى التدين عند أحدهم الالتزام بالحكم الشرعي من فتوى مرجع
التقليد في مذهبه، أو من علماء المذهب ومصادره..

الميزة الرابعة لثقافة حزب الله

أنها «ثقافة التدين الجهادي» بينما يمكن وصف ثقافة التنظيمات والأحزاب بأنها «ثقافة التدين الفكري».. لعل أول ما يخطر ببال عضو الحركة الإسلامية أن يقول: وهل الجهاد في الإسلام محصور بالجهاد العسكري، إن مفهوم الجهاد الإسلامي يعني أن يبذل المسلم كل جهده ووسعه لخدمة الإسلام، فالعمل الفكري الإسلامي جهاداً أيضاً..

إن هذه التعميم لمفهوم الجهاد في الإسلام الذي علمناه لدعاتنا وللمسلمين هو من أبرز الأدلة على أن تديننا بالإسلام ليس جهادياً.. فالجهاد عند ما يطلق في القرآن المجيد والسنة المطهرة يعني القتال في سبيل الله فقط، ولا يدل على أنواع الجهاد الأخرى مثل جهاد النفس والجهاد الفكري إلا بقرينة تدل عليه، فلماذا رَفَعْنَا درجة أنواع الجهاد السلمي التي لا يستعمل فيها هذا المفهوم إلا استثناءً وبقريئة، إلى صف معناه الاصطلاحي الأصلي.. بل في الحقيقة لماذا خَفَضْنَا درجة القتال في سبيل الله تعالى وجعلناها في درجة العمل الثقافي البارد أو شبه الساخن، فأصبح كل عضو في تنظيماتنا مجاهداً حتى لو كان قاعداً عن القتال الواجب ومُقْعِداً لغيره..

أما جماهير أمتنا المسلمة غير المتأثرة بثقافة تنظيماتنا فهي تحتفظ بسلامة هذا المصطلح المقدس ولا تستعمله إلا للمقاتلين في سبيل الله فقط.. مثلاً نحن نسمي إخواننا العراقيين المهاجرين إلى إيران «المجاهدين العراقيين» حتى أصبحت كلمة «مجاهد عراقي» في استعمالنا مجرد اسم مثل اسم «أبوطارق وأبوهدى وأبوسراب» وقد كان عامة المسلمين الإيرانيين يشعرون بقداسة خاصة عند ما يسمعون أن هذا الأخ مجاهد، وكانوا يستعملونه تبعاً لنا، ولكنهم عند ما وجدوا أنه مجرد إسم ولا يعني بالضرورة أن يكون صاحبه مقاتلاً انصرفوا عن استعماله، وحصروه بالمقاتلين فقط، فهم يعبرون عنهم بالمجاهدين العراقيين، وعن البقية بالآخوة العراقيين..

إن مشكلة الأحزاب والتنظيمات في توسيع مصطلح الجهاد مؤثر على مشكلتها في

المضمون وعلى غياب التربية الجهادية من ثقافتها..

منذ عصر النبي «ص» وإلى أمسنا القريب كانت الحركة في أمتنا الاسلامية تعني قتال العدو حتى الشهادة أو النصر، بل إن الحركات الاصلاحية الداخلية في وجه الحكام المنحرفين كانت تعني القتال أيضاً، وكان الانضمام اليها يعني الانضمام إلى مقاتلين، فما عدا مما بدا حتى أصبحت أحزابنا وتنظيماتنا غير مقاتلة، وأصبح الانضمام اليها لا يعني الانضمام إلى مقاتلين في سبيل الله، وأصبحت روحية القتال والجهاد والاستشهاد إنما توجد في بعض أعضاء حركاتنا بفضل فطرتهم الاسلامية وشجاعتهم الشخصية، وليس بفضل تربيتنا لهم..

رحم الله الشهيد حسن البنا فقد كان شجاعاً، واتجه في آخر أيامه إلى تحويل حركة الاخوان إلى حركة مقاتلة، وخطى خطوات جيدة في هذا الطريق، ولكن الأمر تراجع من بعده إلى «الجهاد» الفكري وبقي يراوح فيه..

ورحم الله الشهيد الصدر فقد أفتى قبيل استشهاده بوجوب قتال النظام الكافر على كل مستطيع، واتصل بنا في قيادة الدعوة بحثنا على ذلك، وتجاوب معه بعضنا وبعض دعائنا، ولكن الاخوة في القيادة ظلوا يدرسون الموضوع ويستشكلون في إراقة الدماء في سبيل الله، حتى اتخذوا قراراً خجولاً بعد ثمانية أشهر..

إن مما يلفت النظر أن المقاتلين المضحين في سبيل الله من أفراد أحزابنا وتنظيماتنا بشكل عام أفراد غير منضبطين تنظيمياً، أو أفراد منشقون علينا تدفعهم ردة الفعل من غياب الروح الجهادية لأنهم يشكلوا تنظيمات مقاتلة، أو هم من غير أوساطنا، من أفراد حزب الله تعالى وجماهير الأمة وعلمائها..

أقول بشكل عام، حتى لأنكر الحالات الجهادية الموجودة في تاريخ الأحزاب والتنظيمات الاسلامية وحاضرها، ولكنها تبقى حالات جزئية، وتبقى الصفة العامة لكل التنظيمات السياسية الاسلامية أنها غير مجاهدة.

إن الحرص على التربية الجهادية وانتقاد أحزابنا الاسلامية لخلوها منها لا يعني أن طريق إقامة النظام الاسلامي محصورة بالقتال، ولكنه يعني أن نربي أفرادنا حتى يكون القتال والاستشهاد في سبيل الله موجوداً فيهم وجوداً حقيقياً فيتقدمون

التظاهرات و يواجهون شرطة الأنظمة بصدورهم، و يقومون بإسناد حركة الأمة بعمليات استشهادية حيثما يجب، و يكونون قدوة للأمة في مقاومة العدو الكافر المحتل مثل مجاهدي حزب الله في لبنان وأفغانستان، ومثل الشهيد مصطفى شكري وخالد الاسلامبولي وعبدالله القرشي وجماعاتهم، ومثل عامة جمهور حزب الله في ايران..

وقد نتج عن غياب التربية الجهادية هذه أن فقدت الأحزاب والتنظيمات الاسلامية المبادرة الى ضرب العدو، وأصبح هو دائماً صاحب المبادرة لضربها، وأن شهداءها هم الذين بادر العدو الى اعتقالهم وقتلهم دون أن يبادروه بضربة حجر أو بلعنة في ساحة او تظاهرة، اللهم إلا من ندر.. أما شهداء طريقة حزب الله فهم المبادرون بضرب العدو وتحديه جهاراً نهاراً، إلا من ندر.. وكم من فرق في تربية الأمة بين شهادة المبادر اليهم، وشهادة المبادرين الى الخيرات.

كما نتج عن ذلك نتائج سلبية كثيرة لسنا في مقام تعدادها، ولكن مانتج عن التربية الجهادية في طريقة حزب الله من توضحيات ذكرت المسلمين بصدر الاسلام، ومن إرعاب حقيقي للعدو، ودفع عظيم لحركة الأمة.. يستحق أن نعيد النظر، وننقد تربيتنا لأعضاء تنظيماتنا..

الميزة الخامسة لثقافة حزب الله:

أنها تربي على الصمود في مواجهة العدو، والصلابة على الموقف السياسي، أكثر من ثقافة الأحزاب والتنظيمات..

يجب أن نشهد بالحق بنجاح الأحزاب والتنظيمات الاسلامية في تربية أعضائها على الصمود في مواجهة العدو في ساحة واحدة هي ساحة السجن والتعذيب.. فلو حسبنا مجموع المعتقلين المعذبين من أعضاء التنظيمات الاسلامية في الثلاثين سنة الماضية لوجدنا أن نسبة الثابتين الصابرين منهم نسبة مقبولة مع ملاحظة الضعف البشري الطبيعي ووحشية تعذيب السلطات الجائرة.. أما نوعيات الصمود والصبر على العذاب في سبيل الله فقد جاءت صفحات مشرقة تستحق أن تُضمَّ الى

صفحات صمود أولياء الله من أصحاب الأنبياء صلوات الله عليهم، الذين كانوا يُنشرون بالمناشير، ويُحرقون بالنار، ويُلقون في الآبار العميقة على أسنة الرماح المغروزة فيها..

أما فيما عدا هذه الساحة فنجد تربية حزب الله تتميز في الصمود والصلابة.. إنها أخلاقية إسلامية عالية أن يثبت المسلم على موقفه الجهادي والسياسي لا يتزحزح عنه قيد شعرة، ولا يساوم ولا يلين.. والناس على دين ملوكهم، والجماهير المسلمة على نمط علمائها، وأعضاء الأحزاب والتنظيمات على شاكلة قياداتهم، فالصلابة في القيادة والثبات على الموقف والدأب والاصرار.. أو التردد والتأرجح، والضعف والمساومة، والوهن والاعياء.. كلها صفات تسري كتيار الكهرباء من عالم الدين الى جمهوره، ومن القيادة الى أعضاء التنظيم..

إن صلابة الموقف والارادة الحديدية في الماضي، التي جسدها الامام الخميني وأصحابه، أعادت الى اذهان جماهير المسلمين صور صلابة أصحاب النبي «ص» وصمود علماء الأمة المجاهدين، وأصبحت مقياسا في حس الجماهير لصلابة العلماء والحركات الإسلامية، أوليها وضعفها..

إن ما يظهر من بعض الحركات الإسلامية من ظواهر الضعف والخوف من خوض المعركة السياسية الساخنة الى آخرها، أو الخوف من خوض المعركة الجهادية وإجراء الدماء المباركة في سبيل الله تعالى، والخوف من عدم تجاوب الجماهير وعدم تضحيتها، ثم الاتجاه الى الحلول الوسط أو الحلول المرحلية مع النظام والعدو.. كلها حالات ضعف سببها قيادة التنظيم ولا شيء سوى قيادة التنظيم.. فلو كانت القيادة بالمستوى المطلوب من الصلابة والتضحية لَسَرَتْ منها هذه الروح العظيمة الى الأعضاء وربما سرت الى الأمة فتغير الوضع كلياً، أو اختار الله من يشاء للشهادة فدفعوا بدمائهم مسيرة الأمة أضعاف ما يدفعونها ببقائهم..

الميزة السادسة لثقافة حزب الله:

أنها ثقافة الروحانية والعرفان والتصوف، بينما ثقافة الأحزاب والتنظيمات تكاد تخلو من هذا الجانب، لأنها مشغوفةً بالجانب الفكري العقلي الرياضي في قضايا الاسلام ومسائله، لكي تواجه به المهارة العقلية الغربية.. ولأنها متأثرةٌ بالثقافة الغربية في إكبار الفكر والمعادلات العلمية الرياضية والتقليل من قيمة العواطف.. ولأنها تعيش ردة الفعل من ركود المجتمع ونمط عباداته وعواطفه وتصوفه التي لا تدفعه الى مقاومة العدو وإقامة حكم الاسلام.. الى آخر الأسباب التي شدت الاهتمام الثقافي في التنظيمات الى البناء الفكري وصرفته عن الاهتمام اللازم بالبناء الروحي والعاطفي..

على أن التنظيمات الاسلامية لا تلبث أن تُجسَّسَ بالمشكلة عند ما يتشعب وجود التنظيم وتبرز في تعامل أفرادها مع بعضهم أو مع الناس الحاجة الى المزيد من الروحانية والتقوى، وخاصة عند ما يتعرض التنظيم الى هزات داخلية او خارجية فتبرز علائم الجفاف الروحي واليأس..

كان الشهيد البنا رحمه الله لَمَّاحاً لحاجات الحركة فلمس الحاجة الى البناء الروحي، ووضع للاخوان مجموعة تعليمات وتوجيهات، ولكنه أثر فيهم أكثر بسلوكه الروحاني وتعبُّده وأدعيته.. ولكن الفراغ الروحي شاع في الحركة من بعده حتى ظهرت كتابات الشهيد سيد قطب فبعثت نسيماً روحانياً في بيء من الاخوان..

وأحسنا نحن في حزب الدعوة بالمشكلة، وأن الدعوة بحاجة الى البناء الروحي، ولكن الطريف في أمرنا أننا اتجهنا الى حل المشكلة بالفكر بدل أن نتجه الى حلها بطريقة حزب الله، فجرت عدة محاولات لكتابة ثقافة روحية واعية، ولكنها لم تلاق نجاحاً، وكتبتُ سلسلة موضوعات «الارتباط بالله أمر اساسي في شخصية الداعية» فأعجب بها الاخوة في القيادة وتبنوها، وتابعتُ كتابة بقية الموضوعات الروحية في ثقافة الدعوة، وسميناها فيما بعد الثقافة اليمانية، وهي موضوعات تنفع نظرياً في بناء

الروحانية، ولكنها لا تستطيع أن تبنيها..

الذي يبني الروحانية في المسلم هي الأساليب المتوارثة الموجودة في جماهير أمتنا التي تستعملها طريقة حزب الله.. نعم كل هذه الأساليب العبادية الروحية العرفانية الصوفية، لأستثني منها إلا ما كان حراما شرعا..

الذي يبني الروحانية هو مجموعة أساليب مشتركة متوارثة عند جميع المسلمين، وأخرى مستعملة في بعض البلدان، وعند بعض المذاهب..

في طليعة هذه الأمور المشتركة أن يقاتل المسلم في سبيل الله تعالى إذا تيسر له ذلك، فالمشاركة في قتال أعداء الله تبني الروحية بعمق وبسرعة قياسية، ولهذا أمر الله تعالى بالتفقه في الدين بواسطة النفر الى الجبهة «فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ» لأنه تعالى يعلم أن معركة هذه الأمة مع أعدائها مفتوحة الى أن يعم الاسلام العالم، ولأنه يريد أن تكون معارك الأمة عالمية ينفر اليها مجموعات من فئات الأمة القريبة منها والبعيدة.. ولأنه تعالى يعلم أن أجواء مواجهة العدو وبذل النفس تجعل نفس المسلم تُبَاشِر حقائق الاسلام وتَفْقَهُها بدون حجب..

ويُلي الجبهة في بناء الروحية حضور المسلم في أجواء الصراع والخطر في مواجهة العدو الكافر والنظام الجائر..

ومن هذه الامور المشتركة التربي على أيدي العلماء وأساتذته العرفان والأخلاق والتصوف، على دروسهم وتوجيهاتهم، وكتبهم، وسيرتهم..

ومنها العمل على إشاعة جو إتقان العبادات الواجبة، وشيء من العبادات المستحبة..

ومنها أوراد الذكر والتسبيح المعمول بها في الطرق الصوفية، أو ما يشبهها، وحلقات الذكر مالم تتضمن شيئا محرما..

ومنها زيارة مشاهد الأولياء والأئمة والأنبياء صلوات الله عليهم ، والصلاة والدعاء فيها، مالم تتضمن محرما..

ومنها مجالس الأدعية العظيمة المتعارفة عند الشيعة في ليالي الجمعة وغيرها..

ومنها مجالس التعزية والرتاء والمديح للنبي وأهل بيته «ص» خاصة للسبط الشهيد

الامام الحسين عليه السلام.. الى آخر ما يوجد في أمتنا من أساليب وأجواء لتجديد الروحية وتقويتها، أساليب دائمة، أو في مناسبات على مدار السنة..

ما أدري لماذا تزهد تنظيماتنا الاسلامية في هذه الأساليب العريقة المتوارثة التي أثبتت نجاحها في حفظ قدرها من روحية الأمة، وأثبتت قدرتها عند ماتستثمر على إحياء روحية جماهيرنا وبعثها من جديد..

لماذا لا نرى أعضاء التنظيمات يعمرن المساجد، والزوايا والتكايا، والمشاهد والحسينيات، ومجالس الأدعية والتعزية، وحلقات الذكر، أكثر من غيرهم..

أيها الاخوة، إن العبودية لله تعالى وقيمها ومشاعرها الروحانية لا تبنى في شخصية هذا الشاب المسلم بالفكر والنظريات مهما كانت عميقة وراقية، وإنما تبنى بأن يعيش أجواءها العملية مع العلماء وجماهير حزب الله، في أمكنتها وأجوائها ومنابعها.. في هذه المدارس والأجواء يخفق قلبه بالعبودية، و يتفتح عقله على الألوهية، وتتفجر في روحه أمواج الحنين والأشواق والإلتياح والدموع..

الميزة السابعة لثقافة حزب الله:

أنها ثقافة تحرير القدس وقاتل اليهود وحلفائهم من النصارى ففضية القدس وفلسطين تمثل خلاصة قضية الأمة في العالم، وروحها، وستراتيكتيتها.. وما من حركة اسلامية تنظيماً كانت أو حركة علمائية جماهيرية على طريقة حزب الله إلا وتبناها وتعيشها والحمد لله.. ولكنها في طريقة حزب الله أكثر حرارة وحضوراً.. ومؤشر ذلك هذا الغيظ والحنق المقدس الذي تملأ به ثقافة حزب الله قلوب جمهورها على إسرائيل وأمريكا، حتى يصبح العداء لها هو المحور والمقياس في علاقاتهم العالمية والمحلية..

ومؤشر ذلك هذا العطف والحنان والتلهف على شعب فلسطين المسلم مهما كان واقعا تحت تأثيرات ثقافية غير إسلامية، وتأثيرات قيادته السياسية المنحرفة..

إن اهتمام الشهيد البنا بقضية فلسطين ومشاركة الاخوان في قتال اليهود عام ٤٨ دليل على صحة التوجه الاستراتيجي وإن جاء في إطار عمل الأنظمة العربية، وإن

جاء قبل تحرير مصر وإقامة حكم الاسلام فيها..

وفي المقابل فإن انصراف حزب التحرير الاسلامي عن العمل المباشر في قضية فلسطين وقتال اليهود، مع أن قائده رحمه الله كان من كبار علماء فلسطين، ومع أن العديد من كوادره من الشخصيات الموثوقة عند الشعب الفلسطيني يدلّ على عدم الالتفات الى قيمة القضية الفلسطينية في إنهاض الأمة وإعادتها الى الاسلام، وإلى أهمية دور الشعب الفلسطيني فيها.. ولو كانت هاتان المسألتان واضحتين وضوحاً عملياً في ذهن القيادة لجرت الأمور مجرى آخر، ولما احتاج الشعب الفلسطيني المظلوم الى دفع تكاليف القيادات غير الاسلامية.

اما نحن في حزب الدعوة فقد كانت القضية الفلسطينية تعيننا نظرياً فقط حتى بالنسبة إلى تنظيمنا في لبنان، وعند ما بدأ تنفيذ المؤامرة الاسرائيلية النصرانية للقضاء على الفلسطينيين واخضاع المسلمين، كانت العوائق أمام تعاوننا مع الفلسطينيين كبيرة جداً، فقد استطاعت اسرائيل ونصارى لبنان ومعهم زعماء المسلمين أن يعبثوا المسلمين وخاصة الشيعة ضد الفلسطينيين، وساعدواهم على ذلك بأخطائهم في التعامل مع أهل الجنوب، وطروحاتهم العلمانية المعادية للدين، فلم يحصل بيننا إلا تعاون جزئي جداً.. أما القيام بعمليات ضد إسرائيل فكان يعتبر حاقة يرفضها المسلمون في لبنان وأهل الجنوب خاصة.. الى أن جاء تيار حزب الله وثقافته المميزة في عداة إسرائيل وأمريكا وتحرير القدس، وتربى فيها شباب المسلمين في لبنان ومنهم شباب تنظيم الدعوة الذي توفقنا لإعلان حله، فاختلف الأمر كلياً.. وكانت المقاومة الاسلامية وتحرير لبنان التي هي من أهم إنجازات حزب الله في طريق تحرير القدس.

إن الاهتمام العملي من الحركة الاسلامية بقضية فلسطين والقدس مضافاً الى أنه انسجامٌ ضروريٌّ مع استراتيجية حركة الأمة الاسلامية في صراعها مع أعدائها في العالم، فهو ضرورة لأي حركة اسلامية في مقاومتها لنظام بلدها الذي هو بالأخرة واحد من هذه الأنظمة الخاضعة لطروحات السياسة الامريكية الاسرائيلية، والمقصرة في الإعداد لتحرير القدس وفلسطين.. فمثل هذا الخضوع والتقصير الذي تدركه الأمة يجب أن يوظف في المعركة مع النظام..

الميزة الثامنة لثقافة حزب الله:

انها تطرح الاسلام بالصِّغ الأُخلاقية الانسانية التي يطرحها بها القرآن، بينما تقتصر الاحزاب والتنظيمات على طرح الاسلام بالصيغة العقائدية فقط..
لاشك أن الصيغة العقيدية للاسلام بمعنى العبودية لله تعالى كما يقتضي هذا الدين الذي أنزله على رسوله محمد «ص» هي الصيغة الأصلية الرسمية للاسلام، وأن كل الصيغ الأخرى التي وردت في القرآن والسنة تتفرع عنها وتعود اليها.. ولكن لماذا نجمد نحن في التنظيمات الاسلامية على تقديم الاسلام لأمتنا وللعالم بهذه الصيغة دون سواها..

لماذا نقول لهم إن قضية الاسلام والكفر في عصرنا هي قضية اسلام وكفر فقط، ولانقول لهم إنها أيضا قضية مستضعفين ومستكبرين..
ومظلومين وظالمين..

وفقراء منهوبة ثرواتهم، وناهبين..
وشعوب مسلوبة حرياتهما، وسالبين..
وأصحاب أرض وأوطان، وغزاة غرباء من وراء البحار والجبال..
من أين جاءنا هذا الشعور بأن الطروحات السياسية الأخلاقية والانسانية والوطنية والاقتصادية للاسلام تتنافى مع صيغته العقائدية التعبدية وقداستها..؟
هل جاءنا ذلك من الحرص على العبودية لله تعالى التي هي جوهر الاسلام، والحذر من الانجرار الى طرح الاسلام العلماني الاقتصادي أو السياسي أو الاخلاقي الخالي من جوهر العبودية..

أم جاءنا من النظرة المثالية للدين وأن قضيته اكبر من أن تكون مقاومة تسلط المستكبرين وظلمهم السياسي والاقتصادي والاخلاقي..
أم من نقص احترامنا لجماهير المسلمين، وأن قضية الدين اكبر من أن تكون لخدمتهم واستعادة حريتهم وثرواتهم وكرامتهم..

أما الامام الخميني فكان أعمق منا فهماً للإسلام عندما أخذ يطرح قضية بصيغها الانسانية والأخلاقية والسياسية المتعددة، ويرى أن في ذلك خدمة للصيغة العقائدية، لأنها جميعا تعود اليها، ولأنها ترافقها..

هذه الصيغ المتنوعة جعلت آذان العالم تصغي لهذه الطروحات الجديدة للتحرر والاستقلال والاقتصاد والوطنية والثورة والدين، وجعلت آذان المسلمين أكثر إصغاء.. نعم، يجب أن نكون حذرين من الطروحات العلمانية المنحرفة، التي تستبعد الصيغة العقائدية، أو تهملها، أو تُغَلِّب المضمون السياسي والانساني والاجتماعي والاقتصادي عليها.. وهي موجودة في بلادنا، ولا بد أن تشهد الساحة مزيداً منها ومن فعاليتها بحكم الصحة الاسلامية وبحكم تأثر مثقفينا بالمادية الغربية والشرقية.. وعالم الدين والمثقف المسلم الأصيل بطبعه حذر من الطرح العلماني ومن العمل العلماني للإسلام.. سمعت أن بعض قادة «مجاهدي خلق»، ذهبوا الى النجف بعد نفي الامام الخميني اليها، وأمضوا معه ومع تلامذته أياماً يشرحون لهم أيديولوجيتهم الاسلامية، ويطلبون أن يتبنى الامام عملهم ولوبكلمة شفهية، وأن يجيزهم بالعمل المسلح ضد النظام.. ولكن الامام لم يفعل أكثر من الاستماع اليهم ولم ينبس لهم بكلمة، ولما سأله بعض تلامذته بعد مغادرتهم عن السبب، قال:

«ان الجانب التعبدي عندهم ضعيف ولا أستطيع أن أويدهم».

إن هذا الحذر هو الأصالة الاسلامية بعينها، ولكنه لا يتنافى مع طرح قضية الاسلام بأوجهها المتعددة مادامت كلها ترجع الى جوهر التبعيد لله تعالى بهذا الدين المقدس.. ان القرآن المجيد والسنة المطهرة يقدمان الحقيقة الواحدة بصيغ متعددة ومن زوايا متعددة، لأن واقعها هكذا متعدد الأبعاد، ولأنها حتى لو كانت حقيقة بسيطة فهي تملك إثبات ذاتها من أي زاوية جئتها، ولأن المخاطبين بهذه الحقائق أنواع الناس على اختلاف أذهانهم وأوتارهم النفسية، فتقديم الحقيقة يحتاج الى تعدد الصيغ ليخاطب كل التراكيب الذهنية، ويحتاج الى تعدد الأنغام ليمس كل الأوتار النفسية..

إن الاسلام جوهره آلهية كقطعة الكريستال الكروية المملوءة بالزوايا والوجوه، والعبودية لله تعالى تتلأأ من عمقها وعلى كل وجوها، فلماذا نقدمها للناس كرة

ملساء ولانستفيد من وجوهها المتعددة..

نعم نحن بحاجة الى الحذر من العلمانية في طرحنا للاسلام بالصيغ التحريرية والانسانية والاقتصادية وما شابه، والحرص على أن تكون ضمن الاحكام الشرعية للاسلام، فالصيغة الوطنية للاسلام مثلاً بمعنى تحرير أوطان المسلمين وبلادهم من العدو الكافر وهيمنته وإقامة حكم الاسلام فيها، يجب أن تبقى ضمن مفهوم الوطن الاسلامي ولا تتسرب اليها المفاهيم الغربية الاقليمية والقومية، ولا مفهوم الرابطة الوطنية بدل الرابطة العقائدية.. وأن تبقى ضمن مفهوم التحرر الاسلامي بمعنى عدم تسلط الكافرين على المسلمين، وبمعنى حرية المسلمين والأقليات الأخرى ضمن ضوابط الشريعة الاسلامية.. وهكذا الأمر في إطار الصيغ الأخرى ومضمونها..

حول تجربة حزب الله في لبنان

أول ملاحظة على تجربة حزب الله في لبنان

ان بعض الناس يتصورون أنه حزبٌ مؤطّرٌ تنظيمياً مثل الأحزاب والتنظيمات الإسلامية العادية.. مع أنه كان وما زال يحرص على رفض اعتماد الإطار التنظيمي أو أي نظام حزبي لعضوية العاملين في خطه، لكي يبقى حالة عمل علمائية مسجدية جماهيرية مفتوحة لكل المسلمين، وليس فئة من المسلمين في مقابل فئاتهم، أو الى جانبها..

ان أهم الأسباب التي أدت الى هذا التصور:

أولاً: أن أذهان مجتمعاتنا تعودت على أن إسم الحزب يعني نمط الأحزاب الغربية ذات الاطار التنظيمي المستعمل في الأحزاب الموجودة في بلادنا، وابتعدت عن المعنى القرآني الاسلامي للحزب، الذي يعني المسلمين المتحزبين لله تعالى ورسوله «ص» في مواجهة أعدائهم، والذي يختلف عن نمط الأحزاب الغربية، بأنه حالة عمل جماهيرية مؤطرة سياسياً، وغير مؤطرة تنظيمياً..

ثانياً: أن ظروف لبنان السياسية عوّدت الناس على وجود أحزاب وتنظيمات، ونشوء عدد جديد منها، فهم يتصورون لأول سماع أن حزب الله مثل بقية الأحزاب والتنظيمات..

ثالثاً: أن ظروف الاحتلال الاسرائيلي والمأساة الداخلية أوجبت أن يكون

لحزب الله تشكيلات وأجهزة عسكرية واجتماعية وإعلامية، أكثر مما توجهه الحالات العادية، وعند ما برزت أعماله وصار الناس ينسبونها الى هذه الأجهزة، تصور البعض أن إسم حزب الله إسمٌ خاص بهذه الأجهزة، وليس عاماً لحالة العمل الاسلامي بكل جماهيرها وعلمائها..

رابعاً: إعلام العدو الاسرائيلي والأمريكي وغيره الذي يحرص على تحجيم خصمه اللدود حزب الله، فيصوره كأنه تنظيم محصور بفئة قليلة من المسلمين، وأن له هيكلية تنظيمية وأعضاء محددين، فهو يعمل لاختراق تنظيمه وكشف هيأته وقيادته كما يزعم..

نعم كانت الأجهزة الأمريكية والاسرائيلية وغيرها في أول الأمر تتصور أن حزب الله تنظيمٌ مثل غيره، وتبحث بكل مألديها من قدرة على التجسس عن هيكلية ولجانه ورئيسه، ولكنهم عرفوا أنه حالة إسلامية جماهيرية تتحزب لله تعالى وتقاوم أعداءه، كتبت نحواً من ذلك صحفهم، وبشته بعض إذاعاتهم.. ومع ذلك قرروا أن يبقوا مصرين في إعلامهم على اعتبار حزب الله فئة صغيرة من المسلمين.

خامساً: أن بعض الإخوة العاملين في حزب الله طالبوا العلماء المشرفين على العمل في مناطقهم أن يعتمدوا لهم نظام عضوية، ويصدروا لهم بطاقات في حزب الله، تأثراً بحالة الحزبية الغربية السائدة في لبنان، وقد تكون صدرت عنهم كلمات وتصرفات توحي بأن حزب الله حزب فيه نظام عضوية.. ولكن علماء حزب الله أفهموا هؤلاء الإخوة خطأ هذا الاتجاه، وأن حزب الله لايتبنى أي شكل من أشكال العضوية لجمهوره، وأن كل المسلمين الذين يعملون في خط الاسلام هم أعضاء عاملون في حزب الله تعالى، لا فرق بين (عضوية) المتفرغ للعمل وغيره، ولا بين (عضوية) الذي عمل مع حزب الله من أول يوم، أو من اليوم، أو غداً..

هذه الأسباب وربما غيرها معها، كانت السبب في أن انطباع بعض المسلمين في لبنان وكثيرين خارج لبنان عن حزب الله بأنه حزب بالمفهوم الغربي المؤطر، بينما هو حزب بالمفهوم القرآني الجماهيري المفتوح..

إن هذه التجربة تنفعنا في التنبيه على ضرورة حرص علماء حزب الله وجهوده بدرجة عالية من الحرص أن يوضحوا أطروحة حزب الله القرآنية باستمرار، وأن يحذروا من التصرفات التي من شأنها أن تُشوِّهَ أفقَ الأطروحة الرحب، وتحصرها في تكتل ضيق..

وتنفعنا في أن عدونا الكافر يفضل ألف مرة أن يكون خصمه تنظيمًا حزبيًا بمفهومه الغربي، على أن يكون حالة علمائية جماهيرية مفتوحة.. فالتنظيم الحزبي بالنمط الغربي يمكنه ضربه باختراقه تنظيميا والتأثير عليه، أو يمكنه التأثير على رئيسه، أو قتله.. ويمكنه أن يستعمل معه أساليب كثيرة، لا يمكنه استعمالها مع طريقة حزب الله، أو لاجتديده نفعاً إن هو استعملها.

وتنفعنا أيضاً، في معرفة سياسة التعقيم ثم التحجيم التي يتبعها العدو في إعلامه، فهو يتجاهل وجود مقاومة المسلمين له مهما بلغت، ويعتم على أخبارها، حتى إذا فرضت أحداثها نفسها على العالم لجأ إلى سياسة التحجيم وتصوير الأمر على أنه «حفنة من الأصوليين» أو «جماعة من المتطرفين» أو «تنظيم من الإرهابيين» مع أنه يعلم أنها حالة مقاومة تشمل كل علماء المسلمين وجماهيرهم، إلا من شذَّ إليه منهم، أو شذَّ إلى الزاوية..

والملاحظة الثانية، على تجربة حزب الله في لبنان:

هذا الانطباع الخاطيء، بأنه حزبٌ أو حالة خاصة بالشيعة دون السنة، مع أن طريقة حزب الله طريقة وحدوية تؤكد على وحدة المسلمين وتقديسها.. وأهم الأسباب التي أدت إلى هذا الانطباع:

أولاً: السبب الجغرافي، حيث كان جنوب لبنان المحتل هو الساحة الأساسية لعمل حزب الله، ومقاومته الإسلامية، وكان دور بيروت والبقاع والشمال دور الإسناد والإمداد للمقاومة.. وبما أن غالبية سكان الجنوب وغالبية مجاهدي المقاومة الإسلامية من الشيعة، فقد نشأ انطباع بأن حزب الله ومقاومته حالة خاصة بالشيعة، مع أن واقع

الأمر ليس كذلك..

فمن ناحية زمنية كان أول ظهور لحالة حزب الله في لبنان على شكل صيغة عمل إسلامية بقرار إنشاء «تجمع العلماء المسلمين» الذي وقع على إنشائه أكثر العلماء العاملين من الشيعة والسنة قبل نحو أربع سنوات، وأبرقوا الى الامام الخميني طالبين التأييد والإسناد.. ثم حدث الغزو الاسرائيلي وكان موجة عاتية من علوبني إسرائيل طحنت فيها ما كنتمهم العسكرية كل ماواجهها، وشلت القوة الجوية والصاروخية السورية، وصبت حممها من الجو والبر والبحر لأكثر من شهر على قوة الفلسطينيين في بيروت حتى استسلمت.. وأمسكت إسرائيل بشؤون لبنان تتصرف فيها كما تشاء، فشكّلت من زعمائه ماسمته «لجنة الانقاذ الوطني» ونصبت رئيس جمهورية، وأخذت تمهد لا اتفاقية مهينة توقع فيها حكومة لبنان على تحويله الى مستعمرة تابعة لاسرائيل بشكل دائم..

كان ذلك يجري بغطرسة يهودية أصينة، يساندها كليا موقف امريكا والدول الكبرى، ويساندها عملياً سكرت الأنظمة العربية حتى عن الصراخ والتهديد.. وكان لهذه الموجة العاتية تأثير مؤلم على مسلمي لبنان أول الأمر، فقد استسلم زعمائهم السياسيون للطروحات الاسرائيلية كلياً، وشملت عامة الناس حالة رعب وخوف لم يسلم منها إلا من عصم الله تعالى.. وهؤلاء الذين عصمهم الله من الخضوع والخوف كانوا هم النواة والطلية لمسيرة حزب الله والمقاومة الاسلامية... كانوا أول الأمر عبارة عن بيّ متدينة محدودة من الشيعة والسنة في صيدا وبيروت والبقاع وطرابلس، وبدؤوا بعملهم في المقاومة الاسلامية معاً شيعة وسنة..

ففي الجنوب تعرض علماء السنة وشبابهم المتدين لمطاردة اسرائيل واعتقالها كما تعرض الشيعة، ولم يكن دورهم في عمليات المقاومة البطولية في الجنوب والبقاع (مع ملاحظة نسبة عددهم) أقل من الشيعة..

وفي بيروت كان أهم حدث في تاريخ مقاومة اتفاقيات الخضوع العربية لإسرائيل الاعتصام الذي دعا إليه تجمع علماء المسلمين في بيروت ضد اتفاق ١٧ أيار المهين وأقاموه في مسجد في منطقة شيعية وعرض فيه علماء السنة وشبابهم صدورهم

لرصاص السلطة الى جانب علماء الشيعة وشبابهم.. وفي طرابلس استطاعت حالة حزب الله في المسلمين السنة أن تحرّر المدينة الثانية في لبنان من سيطرة عملاء السلطة والفئات غير الاسلامية، وأن تُحدث مدّاً إسلامياً في المنطقة امتد الى المخيمات الفلسطينية والبقاع.. ولكن هذا الاسهام السني الواسع في أعمال وإنجازات حالة حزب الله في الجنوب وبيروت والشمال، لم يرفع الانطباع السائد بأن حزب الله مختص بالشيعة دون السنة، بسبب أن ساحة العمل الأولى والأهم هي الجنوب ذي الغالبية السكانية الشيعية كما قدمنا.

ثانياً: وهو السبب الأهم، أن مجموعة من علماء الشيعة وشبابهم بادروا الى استعمال إسم حزب الله في بيروت والبقاع والجنوب، بينما اكتفى علماء السنة وشبابهم بإسم تجمع علماء المسلمين وحركة التوحيد الاسلامية، وما شابه.. فساعد ذلك على الانطباع بأن حزب الله للشيعة فقط، مع أن الذين لم يتسموا باسمه هم وجودات أصيلة من حالة حزب الله وشركاء أساسيون في أعماله، بل إن تجمع العلماء المسلمين الذي لا يقل فاعلية العلماء السنة فيه عن الشيعة هو أول تعبير علمائي عملي عن الحالة، وهو صاحب اعتصام إسقاط اتفاقية ١٧ أيار كما أشرنا..

إن هذا الخلل الذي حدث من المبادرة الى استعمال الاسم، والانكماش عنه، امتد أيضاً الى وسط الشيعة.. فقد انكمش عدد من علمائهم عن استعمال اسم حزب الله مع أنهم جزء من حالته الاسلامية، وشركاء في أعماله في الجنوب وبيروت والبقاع..

ومن الطبيعي أن علماء حزب الله الذين استعملوا إسمه لعملهم لم يقصدوا الاستثارة، فهم لا يرون أنهم وجمهورهم أولى باستعماله من بقية إخوانهم علماء الشيعة والسنة وجمهورهم، وهم يعملون لمعالجة هذا الخلل وتصحيح هذا الانطباع..

ومضافاً الى السبب الجغرافي وسبب المبادرة الى الاسم والانكماش عنه، ينبغي أن نشير الى تركيز الاعلام الاسرائيلي والامريكي على حصر حالة حزب الله والمقاومة

الاسلامية في لبنان بالشيعة، بهدف عَزْل السنة عن شرف المقاومة، وعن إخوانهم الشيعة، مع أن دورهم فيها لا يقل عن دور الشيعة كما ذكرنا.

إن هذه التجربة تنفعنا في الالتفات الى ضرر الانكماش عن استعمال إسم حزب الله عند ما ينبغي ذلك، وفي الالتفات الى ضرورة معالجة الخلل الذي ينتج عن استعمال الاسم بشكل يسمح بالانطباع بالاستئثار..

إن عدم إطلاق علماء السنة إسم حزب الله على أعمالهم وأعمال جمهورهم لم يكن فعل انكماش وتحفظ، بل كان بسبب عدم الشعور بالحاجة، فقد كان اسم تجمع العلماء المسلمين قبل اسم حزب الله، وكانت الأعمال تصدر باسمه فاستمروا على ذلك.. واتفقواهم وإخوانهم (حزب الله) على أن يُطلقوا على عمل المقاومة المشترك في الجنوب اسم «المقاومة الاسلامية».

وفي طرابلس كانت مسألة توحيد القوى الاسلامية في مواجهة العدو، والتبرك، بتوحيد الله تعالى، معبرةً عن الحاجة والهدف، فاختاروا لعملهم إسم «حركة التوحيد الاسلامية» دون أن يكون في الاستمرار على الأسماء الماضية، أو اختيار أسماء جديدة، قصد إنكماش أو تحفظ من إسم حزب الله..

وكذلك الأمر في إطلاق علماء الشيعة إسم حزب الله على عملهم، فقد كان ناتجاً عن حاجة لتسمية الأعمال، ولم يكن بقصد الاستئثار والادعاء بأنهم وحدهم يمثلون حالة حزب الله في لبنان..

ولكن هذا التسامح الشكلي في الأسماء كان له هذا المردود السلبي الكبير، والانطباع بأن حزب الله وجودٌ محدود بجماعة معينة من علماء الشيعة وجمهورهم، مع أن علماء الشيعة الآخرين وعلماء السنة وجمهورهم لا يقلّون أصالةً في الحالة ولا قدماً ولا عملاً عن الإخوة الذين تسموا بالاسم..

إن الوحدة في مضمون وجوهر حزب الله، والوحدة في الطرح الإسلامي الذي التقي عليه الجميع في «رسالة حزب الله» والاشتراك في النشاطات والأعمال الى حد أنها تختلط أحياناً فيصعب نسبتها إلا الى الجميع، أو تكون واحدة ووحدة عضوية كاملة

في أحيان أخرى كثيرة.. كل ذلك لا يبرر التسامح في الشكل والتسمية، بل يؤكد وحدة الحالة الإسلامية في جوهرها وجهادها وهدفها، ويؤكد ضرورة اصلاح الخلل الشكلي الذي حدث في تسمية جزء منها باسم حزب الله دون بقية الأجزاء، والذي قد يؤثر في أذهان جماهير المسلمين على المضمون، وعلى وحدة علماء حزب الله وجماهيره..

والملاحظة الثالثة في هذه التجربة المباركة:

أنها التجربة الاولى في تاريخ لبنان الحديث التي استطاعت أن توحد صف المسلمين في مواجهة إسرائيل والدول الكبرى والسلطة العميلة لها.. فنذ أن أنشئ لبنان، ومنذ ما يسمى بميثاق ١٩٤٣ وإلى الأمس القريب كان المسلمون السنة والشيعة مضافاً إلى تفرقهم وحساسيتهم من بعضهم، يعيشون على هامش الوجود السياسي للنصارى الذين يمسون بمقدرات البلد.. ولم يكن وارداً أن يطرح أحد من زعمائهم السياسيين، ولا حتى من علمائهم، مسألة مقاومة استئثار النصارى بالحكم، وأحقية المسلمين به، أو ضرورة أن يكون الحكم لأكثرية اللبنانيين بالإختيار الحر.. وحتى الأمس القريب، وعند ما التزم زعماء النصارى من إسرائيل مُقاوَلَة القضاء على الفلسطينيين وإخضاع المسلمين، ومارسوا ضد مناطقنا حملات التدمير والتجير والخطف والقتل على الهوية، لم يطرح أحد من زعماء المسلمين مقاومتهم والانتصاف منهم، ماعدا الدروز الذين كان موقفهم بحق أقوى موقف في مواجهتهم، ولكنهم طرحوا مطلب الحكم الوطني العلماني على النمط اليساري..

لقد استطاعت حالة حزب الله المباركة أن تحقق القفزة النوعية في المسلمين السنة والشيعة إلى مستوى مقاومة السلطة العميلة فحسب، بل إلى مستوى مقاومة أمريكا وإسرائيل وحلفائها مباشرة، وأن توقع بهم أول هزيمة حقيقية في تاريخ صراعهم مع العرب، بل في تاريخ صراعهم مع شعوب العالم الثالث..

في اعتقادي أن أكثر ما يغيظ إسرائيل وأمريكا في العالم أجمع ويفقد هماً أعصابها هو حالة المسلمين في لبنان، الذين كانوا إلى الأمس القريب أتباعاً سَلِسِينَ للنصارى،

فحدثت فيهم هذه القفزات الثلاث أو الحالات الثلاث «غير المعقولة» حالة الوحدة غير المعقولة، والانتصارات غير المعقولة، والأهداف غير المعقولة في حكم لبنان، ومواصلة قتال اسرائيل حتى القضاء عليها وتحرير القدس.. ولذلك فهم يعملون بشكل دائم مستميت وعلى عشرين خطأ على ضرب وحدة المسلمين، وضرب الوحدة داخل الشيعة، وداخل السنة، وعلى أن تقوم حالات طائفية انحرافية بدل حالة حزب الله العلمائبة الجماهيرية..

وعند ما تكون حالة الوحدة الاسلامية جديدة على الساحة، وتمثل خطورة عالية جداً على العدو الكافر ونظامه، وعند ما يوجد للعدو اختراقات كثيرة في داخل المسلمين الشيعة والسنة، كما في لبنان.. فإن مسيرتها سوف تتعرض لأنواع متعددة من المؤامرات، وتحتاج الى جهود إضافية متواصلة للحفاظ عليها وتعميقها..

وهذا المنظور فإن الوحدة الاسلامية بين علماء حزب الله وجهوره في لبنان وإن اعتبرت ناجحة الى الآن، إلا أنها بحاجة الى خطوات عملية اضافية بهدف تمهينها وتعميقها وجعلها بمستوى التحدى الكافر، والمؤامرات الكثيرة عليها من الداخل...

لقد استطاع علماء حزب الله وجماهيره أن يحبطوا المؤامرة الاسرائيلية الامريكية على وحدة المسلمين بضرب التنظيم «السني» في بيروت، وضرب المخيمات الفلسطينية، وأن يفسلوا هدفها الأساسي الذي هو استعداد السنة على الشيعة واشعال الصراع المذهبي بينهم.. ولكن الأمر يحتاج الى خطوات في العمق، وإلى موقف ثابت تجاه حالات متوقعة من هذا النوع..

خطوات في العمق لكي يمسك علماء حزب الله بيدهم كل الساحة الشيعية والسنية، ولا يتركوا مجالاً لقيادات علمانية لكي تؤثر على جزء من الجمهور الشيعي والسني، وتقوده باسم الوطنية والاسلام والطائفة، وباستغلال أسماء العلماء وصورهم..

وإلى موقف ثابت تتجسد فيه غيرة النبي «ص» على وحدة المسلمين عند ما سمع أن اليهود أوقعوا الفتنة بين الأوس والخزرج، وأنهم استنفروا على بعضهم بالسلاح في ضاحية المدينة، فخرج روجي فداه بمن تيسر له من المسلمين غاضبا مستنكرا كأنما وقع اعتداء على الكعبة الشريفة، وحجز بينهم وعظهم ووبخهم وصرفهم..

إننا بحاجة الى أن نرفع مستوى الشعور بأهمية الوحدة وقداستها في حسنا، الى حد اعتبار أن العمل الذي يمس بها اعتداء على الكعبة، فنبادر الى إيقافه، ولو بتحريك العلماء وجمهورهم في تظاهرة للفصل بين المتقاتلين، أو الذين هم على وشك القتال.. وأن يكون ذلك موقفاً ثابتاً وتقليداً اجتماعياً في حس العلماء والجمهور..

وبحاجة الى أن نفهم الذين يقومون بأعمال التفرقة أنهم في أعمالهم الشيطانية هذه لا يمثلون الشيعة ولا السنة، بل يخدمون مصلحة إسرائيل وأمريكا، أن نفهمهم ذلك بوضوح وصراحة، ونفهمه للناس بالبيان، والتصريح، والفتوى، والخطابة، ومختلف الوسائل، وننهاهم عن المنكر ونأمرهم بالتوبة، فإن واصلوا عملهم الشيطاني فإن في الشريعة المقدسة أحكاماً لمثل هذه الحالات وهؤلاء المنافقين، في وجوب تمييزهم وعزلهم عن المسلمين، وإصدار حكم المفسدين في الأرض عليهم، والعمل على إجرائه بحقهم..

في اعتقادي أن مسيرة حزب الله في لبنان سوف تحتاج الى كل هذا الحسم مع العناصر الشيطانية التي تنفذ مؤامرات العدو على وحدة المسلمين، لأن اختراقات العدو لأوساطنا الشيعية والسنية كثيرة، ومؤامراته على وحدة المسلمين هي شغله الشاغل في المرحلة القادمة..

إن استراتيجية العدو تقوم الآن في لبنان على أمرين: أولهما، الاحتفاظ بنظامه الفئوي العميل مهما كان ضعيفاً وشكلياً، الاحتفاظ به الى آخر نفس، وعدم إجراء أي تغيير دستوري لمصلحة المسلمين.. وقد سمعت أن المبعوث الأمريكي «مورفي» أكد لحكام العرب على ذلك، وحذّره من إجراء أي استفتاء أو انتخابات في لبنان، لأنها إذا جرت فسوف يسقط لبنان في أيدي المسلمين «الراديكاليين».

وثانيهما، المراهنة على تفكيك وحدة المسلمين، والقضاء على الحالة الإسلامية فيهم، أو استبدالها بحالات طائفية وفئوية متناحرة.. لذلك فإن انتصار حالة حزب الله في لبنان في حماية وحدة المسلمين المقدسة لا يقل عن انتصارها على إسرائيل وأمريكا والغرب، بل يفوقه، والشجاعة المطلوبة لمواجهة العناصر الشيطانية المفرقة لا تقل قيمتها عن الشجاعة في مقاومة العدو مباشرة، بل تفوقها..

ومن الملاحظات على تجربة حزب الله في لبنان:

أنها حققت خطوات من النجاح في المجال الثقافي، وفي حرية العمل الجماهير المسلمين وتشجيع مبادراتهم..

ففي لبنان البلد المسحوق حضاريا كانت تسود المدرسة الغربية في النظرة الى الجماهير والتعامل معها.. فالسلطة الغربية، والاقطاعيون والزعماء السياسيون بالأسلوب الأوربي، ينظرون الى الجماهير على أنهم أرقام واتباع غارقون في التخلف، وأنهم لا يقدرون قيمة زعمائهم ولا يستحقونهم..

كان أحد الزعماء الجنوبيين يتحدث يوما عن تجربته الطويلة في خدمة أهل الجنوب، ومحاولاته المتكررة لرفع مستواهم وإنقاذهم من التخلف، ولكن بدون فائدة، لأنهم بزعمه لا يفهمون ولا يقدرّون من يعمل لمصلحتهم، ولا يتجاوبون معه.. كان يتحدث كأنه نبيّ مظلوم في قومه، أو كأنه علي بن ابي طالب يتحدث عن ظلامته مع جماهير الكوفة..

وسمعت في مجلس خاص من أحد العلماء الكبار رحمه الله حديثا مشابها لا يختلف عن حديث الزعيم الجنوبي في نقد جمهورنا المسلم وذمه.. إنها مدرسة واحدة في الكفر بالجماهير وتوبيخها يتخرج على أفكارها أبناء السلطة والاقطاعيين والزعماء السياسيين، ويتأثر بها حتى علماء المسلمين..

وجاءت الأحزاب والتنظيمات اليسارية واليمينية والمعتدلة، فلم تغير من هذه النظرة والتعامل شيئا بل أكدتها.. فالثقافة فيها للخاصة، والأعمال فيها للجبان الحزب والتنظيم، وعلى الجماهير أن تسمع وتطيع..

ولم تكن الحالة في مسألة تثقيف الجماهير والمركزية العملية أحسن كثيراً في أعمال العلماء والتنظيمات الاسلامية، مثل تنظيم الجماعة الاسلامية وحزب الدعوة وغيرهما..

أما بعد ظهور هذه الصحوه وهذه الحالة الاسلامية المباركة في لبنان، فقد اختلف

الأمر، وحدث تغير نوعي في النظرة الى الجماهير وإعطائها حرية العمل.. وإن كان تغيراً مازال في مراحله الأولى..

بصورة عامة نلاحظ أن نجاح حالة حزب الله في لبنان في مجال تعميم الثقافة أكثر منه في مجال الحد من المركزية وتخفيفها عن كاهل الجماهير.. لقد انتهت من أوساط العمل الاسلامي فكرة أن الثقافة للخاصة، لكوادر التنظيم وأعضائه أو للطبقة المتعلمة من المسلمين، فقد انتشرت أساليب التثقيف الجماهيري بالنمط العلمائي الأصيل، بالتدريس والخطابة والكتب، وبوسائل الاعلام الجماهيرية المقرؤة والمسموعة والمرئية، واستفاد العلماء في ذلك من تجربة الثورة الاسلامية في ايران فاستعملوا عدداً من أساليبها.. ولكن الأمر يحتاج الى جهود مضاعفة لتعميم الثقافة الاسلامية لجماهيرنا.

وعلى صعيد المعالم الأخرى للثقافة في طريقة حزب الله نلاحظ النجاح الكامل والحمد لله في تعميم ثقافة التدين الجهادي عند الشباب المسلم حتى أصبحوا أمثلة وقدوة لشباب المسلمين في العالم.. كما نلاحظ النجاح في التربية على الصلابة في مواجهة العدو وفي المواقف والطروح السياسية الاسلامية الى حد أن أصحاب الطروحات الضعيفة المساومة يخافون من غضب الجماهير المسلمة وإسقاطهم من مواقعهم، إذا هم طرحوها بشكل صريح، فتراهم يستعملون اللعب بالكلام ويطرحونها بأساليب ملتوية وعبارات غامضة..

أصبح تدين المسلم في لبنان يعني عند جماهير حزب الله تبني الطرح الاسلامي القوي في مواجهة النظام الفئوي ومواجهة إسرائيل وأمريكا، وعند الشاب خاصة يعني أن يكون مقاتلاً في سبيله ومستعداً للتضحية.. لقد هبّ نسيم اللجنة الإلهي على أبناء المسلمين في لبنان وثارت في أرواحهم أشواقه، حتى صار المئات منهم بل الألوف يتنافسون تنافساً حقيقياً على لقاء الله عز وجل والقيام بالعمليات الاستشهادية، ولم يكن باستطاعة أسلوب ثقافي أن يحقق ذلك إلا الثقافة الاسلامية بطريقة حزب الله.

ولكن على رغم هذه النجاحات العظيمة لثقافة حزب الله في لبنان على الصعيد الجهادي والطرح الاسلامي وتعميم الثقافة للجماهير، نلاحظ أنها لم تحقق في مجال التدين الفقاهتي ونشر النص الاسلامي إلا تقدماً محدوداً..

ففي الجمهور السني المتدين وخاصة الشباب يقل انتشار النص القرآني ونص الحديث الشريف وحفظه ومعايشته، بحيث لم يبلغ بعد مستوى الوسط المتدين في مصر، أو في بلدان المغرب الاسلامي التي تشبه لبنان في ظروفها الثقافية..

ومع أن القائمين على الاعمال الاسلامية في الوسط السني هم من العلماء ذوي الاطلاع الفقهي والحمد لله، إلا أن مشكلة التدين بالمفاهيم العامة والشروح التي تعاني منها قواعد التنظيمات الاسلامية في عالمنا الاسلامي، مازالت بدون حل.. ومازالت الجماهير المتدينة السنية في لبنان تحتاج الى تعميم التدين الفقاهتي..

إن تعميم تعليم احكام الوضوء والصلاة والصوم والزكاة، وتعميم تدريس كتاب فقهي جامع مثل كتاب «فقه السنة» للسيد سابق، ينفع في حل قسم من المشكلة، ولكن تبقى الحاجة ملحة الى فقه العمل الاسلامي وفقه المواقف السياسية، وفي اعتقادي أن علماء السنة في لبنان يستطيعون أداء هذه الخدمة ليس لجمهورهم فقط، بل لجمهور المسلمين السنة في الحركة الاسلامية العالمية، وذلك بإعداد كتاب أو كتب فقهية ميسرة تحتوي على ما يحتاج اليه العاملون من أحكام شرعية ابتداءً من أحكام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووجوب العمل لإقامة الاسلام، ومقاومة السلطان الجائر، وأحكام جهاد أعداء الاسلام، وأحكام القيادة والإمرة عند ما لا يكون للمسلمين خليفة.. الى آخر احتياجات العمل الاسلامي الفقهية في ظروف عصرنا..

ومضافاً الى ذلك يحتاج الأمر الى توعية جماهير حزب الله وتثقيفهم بالمفاهيم والأحكام الشرعية الخاصة بالرجوع الى العلماء ذوي التقوى والخبرة الفقهية، لأخذ الموقف السياسي الشرعي منهم ولاستفتائهم فيما أشكل من أحكام العمل..

وفي الجمهور الشيعي المتدين يحتاج الأمر الى تعميم الأحكام الفقهية المتعلقة بالمرجعية والتقليد وولاية الفقيه، والعمل الاسلامي.. فع أن تدريس الرسالة

العملية والإرتباط بالمرجع كان موجوداً في الأوساط المتدينة، وقد اتسع والحمد لله بجهود علماء حزب الله وبركة هذه الصحوة الاسلامية، إلا أن الملاحظ على أوساط جمهورنا المتدين أنه يوجد نقص كبير في تعميم تدريس رسالة المرجع، وجعل فقهها هو المحور والميزان والمنطلق.. والملاحظ ثانياً، أنه توجد حالة انحرافية عن الخط الشرعي، تتمثل بأخذ الموقف السياسي والحكم الشرعي من العالم أو المعمم بدون التأكد من أنه يمثل فتوى المرجع وموقفه السياسي أو أنه يمثل الموقف الشخصي له.. إن الفقه الصادر عن المرجع، والمواقف السياسية التي تصدر عنه وعن وكلائه تغطي حاجة العاملين والحمد لله، وماتحتاج اليه أوساط جمهور حزب الله هو تعميم هذا الفقه والمواقف، وتوعيدهم على استفتاء المرجع فيما يحتاجون اليه، والتعرف على مواقفه السياسية، منه أو ممن يمثله..

والأمر الأهم الذي يحتاج الى معالجة، هذا التصور الخاطيء عند كثيرين من جمهور حزب الله في وسطنا الشيعي بأن كل عالم دين يمثل المرجع في فتواه الفقهية وموقفه السياسي.. وقد عبرتُ عن ذلك بأنه حالة انحرافية عن الخط الشرعي لأن الذي يُبرىء ذمة المسلم الشيعي هو العمل بفتوى المرجع ولي الأمر وبالموقف السياسي الصادر عنه أو عن يمينه، والفتاوى والمواقف الاخرى لا تبرىء الذمة شرعاً حتى لو كانت صادرة عن علماء مجتهدين.. لكن الذي يحدث في جماهير حزب الله الجديدة التدين أو الجديدة العمل، أنها لا تلتفت الى هذه النقطة الجوهرية.. والذي يحدث في بعض العلماء غفر الله لهم أنهم يقدمون للجمهور فتاوى أخرى ومواقف أخرى فيأخذها الجمهور منهم على انها فتوى المرجع ولي الأمر وموقفه..

و يصبح الأمر حالة انحرافية في عالم الدين عندما يستغل بساطة الجمهور وتصوره بأنه يمثل المرجع في فتاواه ومواقفه، فيقدم له فتاوى ومواقف غيرها، ويدخل بذلك في عداد المخادعين المضلين أعاذنا الله..

قيل لأحدهم: إن الناس يقدرونك ويحبونك لأنك في تصورهم في خط الإمام المرجع ولي الأمر، وإنك تقدم لهم فتواه وموقفه السياسي وتمثله في ذلك، ولو عرفوا أنك تعطيه فتوى غيره، وموقفك السياسي الشخصي، لأعرضوا عنك.

فقال: أنا لست مسؤولاً عن اعتقادهم هذا، إنهم يسألوني عن الحكم الشرعي والموقف السياسي فأبين لهم الفتوى التي أراها، والموقف الذي أراه، ولا أقول لهم إنها فتوى المرجع وموقفه، ولا أقول لهم إني ممثل للمرجع، فإذا اعتقدوا ذلك فهو أمر يخصهم ولا يخصني.. وإذا سألوني عن فتوى المرجع وموقفه فعند ذاك أجيبهم..

ولكن هذه الفدلكة الملتوية لا تبرر عملية التضليل الانحرافية التي يمارسها، خاصة إذا كانت الفتاوى والمواقف تتعلق بالطرح السياسي الذي يتبناه المرجع في المنطقة، وبالعمل الجهادي فيها.

وفي مقابل النجاح في تعميم الثقافة للجمهور، نلاحظ أن تجربة حزب الله في لبنان نجحت في تطبيق طريقة اللامركزية في العمل الجماهيري في ساحة هامة واحدة هي ساحة مقاومة العدو الاسرائيلي، وهي تجربة تصلح أن تكون نموذجاً للامركزية في عمل حزب الله في العالم..

بعد الغزو الاسرائيلي وعند مابدأت المقاومة الاسلامية بطريقة حزب الله توجه ضرباتها الى العدو في الجنوب، شكى لي أحد الاخوة الشباب من أسلوب القائمين على العمل.. قال: إن عملهم فوضى، يأتيهم شاب ويقول لهم عندي جماعة ونريد أن نقوم بعمليات فيعطونه.. إن عملهم بهذه الطريقة هو عمل عصابات بدون تنظيم.. ولم أستطع أن أقنع هذا الأخ بأن هذا الأسلوب هو الصحيح، وأن لامركزية حزب الله افضل من مركزية الأحزاب والتنظيمات بألف مرة، وأن مقاومة العدو تحتاج أن تشجع كل مبادرات الأمة ومئات مجموعاتها وعصابات المجاهدة، دون حاجة لأن نربطها بمركزية..

كان هذا الأخ أمضى ست سنوات في تنظيمنا حزب الدعوة، وترسخ في نفسه أسلوب المركزية الذي علمناه إياه وعودناه عليه.. لقد توفقنا الى حل التنظيم والحمد لله، وقلنا لشبابه أن يذوبوا في طريقة حزب الله، ولكن انتصار كوادرننا على رواسب طريقة المركزية كان أمراً صعباً حقاً.. لقد عودناهم على المركزية الحديدية الخانقة مع الأسف..

وقد تدخلت مرة لمعالجة خلاف بين إخواننا ذوي الماضي الحزبي وبين مسؤول الحرس الثوري، فوجدت أن القضية بينهم هي بين طريقة حزب الله اللامركزية في العمل الجماهيري، وبين طريقتنا المركزية الفتوية في الأحزاب الإسلامية..

قال أحد الاخوة لقد اكتشفنا أنه يعمل من وراء ظهرنا بتشكيلات أخرى، وقد أرسلت له مع أحدهم قائلاً إن طريق اذنك من أمام وجهك لا من خلف رأسك.. يقصد أنك يجب أن تعمل بواسطتنا وليس بواسطة غيرنا.. كان أمثال هذا الأخ يريدون العمل بطريقة المركزية الفتوية التي يحملون رواسبها من تنظيم الدعوة، وكان الآخرون يريدون العمل بطريقة حزب الله اللامركزية وتشجيع كل مبادرات الأمة وفئاتها.. ولا بد أن هؤلاء الاخوة وفقهم الله وأمثالهم من المتأثرين بمركزية الطرق الحزبية الإسلامية والغربية قد التفتوا الى صحة طريقة حزب الله التي آتت ثمارها المباركة في جنوب لبنان، مدّاً جماهيرياً، وآيات في جهاد العدو، ونصراً مبيناً عجزت عن تحقيقه جيوش الدول العربية مجتمعة..

إن هذه الحالة الجماهيرية في الجنوب، التي كانت تبادر وتعمل، وتبتكر الأساليب وتقوم بمعالجة الأوضاع المستجدة، وتسير أعمال المقاومة تسييراً ذاتياً، وتأخذ من العلماء الأحكام الشرعية، والتوجيهات والتعليمات الكلية.. هذه الحالة ينبغي أن نعتبرها مقياساً لما يجب أن تكون عليه أعمال حزب الله في مراحل صراعنا الحاضرة والقادمة..

ينبغي أن يدرك علماء حزب الله والمسؤولون في أجهزته أنهم بحرصهم على المركزية يهدن ضبط العمل ومنع الفوضى، لا يخدمون العمل الإسلامي أبداً، بل يخسرون طاقات عظيمة ومبادرات إبداعية من جماهير الأمة.. ويخسرون ما هو أعظم من ذلك شعور الجماهير بأنها هي التي تعمل وهي التي تخوض الصراع، وأن عليها أن تفكر وأن تبادر، وأن علماءها وأجهزتها تشجع مبادراتها وتساندها.. فكل زيادة للمركزية عن الضرورة يعني في حس جماهيرنا أن العمل يخص فئة منها، ويرتبط بأشخاص معينين وليس بها جميعها..

الضرورة هنا لا تعني ضرورة المركزية بمفهوم الأحزاب والتنظيمات،

ولاضرورتها بمفاهيم الادارة والقيادة السياسية الغربية التي تتأثر بها أذهاننا في لبنان، بل تعني الضرورة بالمفهوم الفقهي الاسلامي، تعني حالات وجوب المركزية بحكم شرعي بحسب فتوى المرجع وليّ الأمر أو من يمثله، وما عداها لا تكون المركزية فيه ضرورية بل تكون ضرراً..

إننا بحاجة الى إدراك المعادلة الفقهية للمسألة، وهي أن الأصل في الاسلام حرية الناس في أساليب مقاومة العدو وخدمة الاسلام، وأننا بعملنا الاسلامي في نطاق جزء صغير من جماهير الأمة لانملك الولاية عليها أن نربطها بمركزيات أعمالنا، ونمنع مبادراتها وأعمالها.. فالذي يملك صلاحية الأمر بهذا الأسلوب أو النهي عنه، أو إلزام الجماهير بمركزية معينة، هو الحكم الشرعي فقط، والحكم الشرعي محصور في المذهب الشيعي بالمرجع وليّ الأمر ومحصور في المذاهب السنية بالأمر أو بالفقهاء الخبراء بفتاوى المذاهب..

وبحاجة الى إدراك المعادلة العملية التي تعنيها هذه المعادلة الفقهية، وهي أننا بحرصنا على العمل الاسلامي بأسلوب المركزية نخسر أكثره.. وبالفئوية التي تنتج عن هذه المركزيات في حقول عملنا نعزل أنفسنا عن جماهير المسلمين، فيتركونا لأنفسنا نعالج جبال الأعداء بأيدينا القليلة، وقد كانت تحتاج الى جبال جماهيرنا المسلمة..

وهناك جوانب متعددة من تجربة حزب الله في لبنان غنية بالدروس.. ولكن تبقى المسألة العظمى والتحدي الأكبر الذي يواجه التجربة من الآن فصاعداً وحدة المسلمين، التي يتوقف عليها كل نجاح في المستقبل، بل يتوقف عليها حفظ النجاحات الماضية أيضاً..

إن مَثَلَ المسلمين في لبنان كمثّل جماعة كانوا مستضعفين أسرى في سفينة يتسلط عليهم اللصوص القراصنة ويسومونهم سوء العذاب، ويوقعون بينهم الخلافات والعداوات، حتى أدركهم نسيم الرحمة الإلهي فنهض شبابهم باسم الله تعالى، فقاتلوا اللصوص حتى حصروهم في زاوية من السفينة، وقاتلوا كل السفن الأخرى التي جاءت لنجدة اللصوص، وأوقعوا فيهم الهزيمة بإذن الله..

عند ذلك قرر ملوك اللصوص أن لا يواجهوا هؤلاء الأبطال مباشرةً، بل بأسلوب إيجاد التفرقة والصراع بينهم من داخلهم، فما زال لهم عملاء بينهم يأملون أن يحققوا لهم هذا الهدف، ويشغلوهم ببعضهم، فيغتنم جماعتهم الفرصة وينقضون عليهم من زاوية السفينة، ويستعيدون سيطرتهم بأقوى مما كانت..

إن كل مانسمعه من الدول الكبرى من بكاءٍ على لبنان، وتأييد للدولة اللبنانية، وحرصٍ على السلطة الشرعية، ومساعدتها لإعادة سيطرتها على كل لبنان.. إنما يعني إعادة سيطرة اللصوص على أهل السفينة.. إنهم بذلك يقولون لجماعة اللصوص، حافظوا على موقعكم ولو في زاوية السفينة، واصبروا حتى تنجح الخطة في المسلمين من داخلهم..

ومن الغريب أن الدول العربية تردد مقولات اسرائيل وامريكا بشأن لبنان تريد البتغاء، أو هي حقيقةً تريد إعادة سلطة اللصوص على المسلمين.. وإلا لسمعناها تقول: يجب أن يختار اللبنانيون باستفتاء شعبي النظام الذي يحكمهم.. أو تقول: لقد اتفق الزعماء السياسيون في سويسرا في مؤتمرهم الوطني على إجراء إصلاحات دستورية في نظام الحكم، فنحن نؤيد السلطة اللبنانية التي تقوم بعد تنفيذ هذه الإصلاحات..

إن وحدة المسلمين في لبنان التي تعني وحدة العلماء العاملين من السنة والشيعة وجمهورهم، ثم شمولها لكل المسلمين، هي كارثة حقيقية على اسرائيل وامريكا والدول الكبرى.. فكيف نتصورهم يسكتون عليها، ولا يستमितون في إيقاع التفرقة والصراعات بيننا..

إنها تعني بصراحة أن يحكم المسلمون لبنان.. ولكن هذا هو الخطر الأصغر، فهم يعرفون أن الأقليات المسيحية تعيش في ظل حكم المسلمين محفوظة الحقوق وإن كانت محكومة غير حاكمة.. ثم إن مسيحيي لبنان ليسوا هم القضية عند اسرائيل، وليسوا إلا جزءاً صغيراً من القضية عند أمريكا، فهم في نظرهم جماعة كثيرون التكاليف، قليلوا الفائدة..

وتعني أن لبنان المسلم سيشكل خطراً على اسرائيل أكثر من الدول العربية المحيطة

بها مجتمعة، لأنه سوف يواصل تجربته الفريدة في مقاومتها، وسينقلها الى الفلسطينيين في داخل فلسطين.. ولكن هذا هو الخطر الأوسط أيضا..

أما الخطر الأكبر الذي تعنيه وحدة المسلمين في لبنان فهو نجاح تجربة في الوحدة بين الشيعة والسنة ستكون نموذجاً وقُدوةً عملية لوحدهم في العالم، وتشكل انتصاراً لأيديولوجية الثورة الاسلامية الايرانية في طرحها لوحدة المسلمين في مواجهة أعدائهم..

فهناك حالات وحدوية في العالم بين الشيعة والسنة بمستوى وآخر، وكلها تصلح أن تكون ردّاً عملياً على استراتيجيه الكفر العالمي في التفرقة بينهم.. ولكن واحدة منها لا تصل في ردها الى مستوى وحدتهم في لبنان، التي تشكل صفة قوية تحت الأضواء لأطروحة التفرقة الكافرة، وهزة قوية لوجدان المسلمين في العالم أن ينجحوا نهجها..

أجل، إن كل هذه الأخطار والكوارث على الكفر العالمي تسببها وحدة المسلمين في لبنان، فكيف نتصورهم يسكتون عليها ولا يعملون ضدها..

أشعر كلما فكرت في وحدة المسلمين في لبنان أن العامل الأساسي في تحقيقها ودوامها يبقى هو العامل الغيبي. وهذه الروح الكلية التي يسرها الله تعالى عند ما يشاء في أرواح العلماء والجماهير، فتطهرها من نوازع التفرقة والسكوت عليها.. فما تم الى الآن إنما كان ببركة هذا اللطف الإلهي أكثر من أي شيء آخر، والله أمرٌ هو بالغه في أمة رسوله في لبنان، وفي العالم.. ولكننا مسؤولون أمامه تعالى في توفير عوامل الوحدة المنظورة، ومن ذلك التوعية على خطرها وخطورتها..

يقول المسلم الشيعي والمسلم السني في لبنان: نعم، كل هذا صحيح، وكلنا نعلم أن إسرائيل وأمريكا وغيرهما يعملون لضرب وحدتنا الاسلامية..

ولكنك تعجب عند ما لاتجد خطوات عملية من علماء الشيعة والسنة العاملين لتعميق هذه الوحدة وحمايتها، عند ما لاتجدهم دائبين في المشاورات والجلسات وطرح الصيغ التي تجمعهم وتوحد قرارهم ومسيرتهم..

وتعجب أكثر عند ما لاتجد المواقف الحاسمة المطلوبة من أعمال التفرقة التي تصدر من زيد الشيعي وعمرو السني.. فإذا لم تكن هذه الأعمال هي الفعل الإسرائيلي

والامريكي لتفريق المسلمين، فأين هو هذا الفعل الذي نعتقد جميعا بوجوده.. يحكى أن رجلاً له زوجة منهومة بأكل اللحم حتى لا تكاد تبقى منه شيئاً في المطبخ، وتتعذر لزوجها كل يوم بعذر.. وذات يوم لم يكن في الطعام شيء من كيلو اللحم الذي اشتراه زوجها، ولما سأها قالت: لقد أكلته القطة.. فقام وأتى بالقطة وبالميزان، فوزنها فكان وزنها كيلو غراماً.. فقال لزوجته إذا كانت هذه القطة فأين اللحم، وإذا كان هذا اللحم فأين القطة..

فإذا كانت أحاديث التفرقة على السنة السياسيين والمتأثرين بهم، وفي الخطب والتصريحات والبيانات، وفي الاشاعات المفرقة التي تنتشر بين يوم وآخر وينطلق بعضها من أفواه المشبوهين وأوساطهم، وأعمال التفرقة السياسية، والصراعات المسلحة.. إذا كانت هذه ليست الفعل الاسرائيلي الأمريكي، فأين هو اذن..؟

إن الخطورة الأولى على وحدة المسلمين هي السكوت القولي والعمل عن أعمال التفرقة التي يصنعها ويغذيها ويرعاها وينفق عليها العدو في داخل المسلمين، ابتداء من كلمة التفرقة التي تصدر بين شخصين من الشيعة، أو شخصين من السنة، مهما كان صاحبها متديناً ومخلصاً وصاحب مقام وأفكار وحدوية، ومهما كان مخلصاً لمذهبه ولمقاومة العدو.. فصاحب هذه الكلمة الخبيثة، مهما بدت عادية، لا يخلو أن يكون مشتبهاً جاهلاً بخطورة مايقول، أو عنصراً شيطانياً مفرقاً، ولا ثالث لهما.. إنه مشتبّه أو كاذب في إخلاصه لتشيعة لأهل البيت (ع) ومذهبه، فلو كان مخلصاً لما صدر من فمه عمل يستفيد منه عملاء اسرائيل الذين نصبوا ملابس نسائية داخلية في حسينية النبعة بعد تهجير سكانها وقالوا هذه ملابس فاطمة الزهراء (ع) وهتفوا: محمدات وخلف بنات..

ولو كان مخلصاً لحبه للصحابه (رض) والمذاهب الأربعة، لما صدرت من فمه كلمة ضد المنتسبين الى علي (ع) يستفيد منها أعداء النبي (ص) وأعداء صحابته، وقرآنه، ومذاهب شريعته، ومن ينتسب اليها..

إذا كان فقه المذهب الشيعي والمذاهب السنية يرى وجوب وحدة المسلمين في مقابل عدوهم، وتأكد هذا الوجوب في لبنان، فهل يكون السكوت على كلمة التفرقة

إلا سكوتاً على معصية كبيرة، وطعنة في مصلحة الاسلام ومذهبه..
أيها المسلمون المخلصون للتشيع ومذهب أهل بيت النبي «ص» والمخلصون للتسنن وصحابة النبي «ص».. إن علامة إخلاصكم أن تمنعوا هذه الكلمات الاسرائيلية المفرقة التي تصدر في مجالسكم الخاصة ضد السنة أو الشيعة، مهما كان الشخص الذي تولد على لسانه طيباً ومخلصاً، وأن تمنعوا أعمال التفرقة الصادرة من العناصر الشيطانية والبسطاء الشيعة والسنة.. فإن الوقوف في وجه هذه الأعمال، التي نحسبها هينه وهي عند الله عظيمة، هو أعظم مثوبة من عمليات المقاومة العسكرية لاسرائيل وأمريكا وعملائها، لأن خطر هذه الأعمال أعظم من خطر الاحتلال العسكري، ونتائج منعها في تحقيق الوحدة والنصر أعظم من كل النصر الذي تحقق حتى الآن..

إن الصحوة الاسلامية في لبنان أو تجربة عمل حزب الله قد دخلت بعد انهزام اسرائيل في أكبر امتحاناتها وأخطر تحدياتها على الإطلاق، امتحان وحدة المسلمين وتحدي علماء حزب الله وجمهورهم أن ينجحوا فيها..

وإن أول ما يتحدانا فيه عدونا أن نتوصل الى صيغة عمل وحدوي تجمع العلماء العاملين، وتكون مفتوحة للباقيين.. فهل نحن فاعلون.. أم أننا لاسمح الله نخضع لعوائق الوحدة من الأنانية والفئوية، وتلك الملبسة بأثواب مذهبية.. والتي تغذيها جميعا عناصره الشيطانية وإنفاقاته السخية..

لقد تحدانا أئمة الكفر الاسرائيلي علناً جهاراً نهائياً فقالوا: إن المسلمين في لبنان سوف لا يشكلون خطراً مستقبلياً على إسرائيل، لأنهم سوف ينشغلون بخلافاتهم الداخلية..

وثاني ما يتحدانا به عدونا، عنصره الشيطانية الكثيرة في ساحتنا الشيعية والسنية، الذين نام واحداهم دهرأ عن مصلحة الطائفة وخدمة الوطن عندما كانت الطائفة الشيعية والسنية تداسان بأقدام الكفر وعملائه، وكان الوطن يباع في سوق النخاسة السياسية.. وإذا به ينهض من نومه رافعاً راية مصلحة الشيعة والوطن، أو مصلحة السنة والوطن، وينفق الأموال الاسرائيلية الامريكية ويجمع حوله البسطاء

من الشيعة أو البسطاء من السنة، ويؤثر على بعض العلماء..
 شهد الله أني لأعرف زعيما سياسيا شيعيا أو سنيا من القدامى أو الجدد، إلا وهو
 عنصر شيطاني يعمل لتفرقة المسلمين ويرتبط بأعدائهم، أو فيه القابلية لأن يؤدي دور
 العنصر الشيطاني عن عمد أو جهل.. فهل يجوز لنا أن ندع هؤلاء يسرقون تضحيات
 جماهيرنا في مقاومة العدو، ويقودونها إلى مهاوي الطائفية وصراعاتها، ويحرمونها من
 ثمرات تضحياتها ووحدها..

ولكن مع كل الأخطار والتحديات والمخاوف على وحدة المسلمين في لبنان، وعلى
 نجاح تجربة حزب الله في تحقيقها.. فإن الأمل بالله تعالى، ببركة دماء الشهداء
 الأبرار، ويقظة علمائنا المخلصين وجماهيرنا المجاهدة، أن تتقدم مسيرة الوحدة وتؤدي
 ثمارها العظيمة في لبنان والمنطقة والعالم..

الأمّل في هذا الشعب المسلم المستضعف، في هذا الثغر الهام من ثغور وطننا
 الاسلامي الغالي، أن يُنمّ الله نعمته عليه، ويتم نعمته به على المسلمين، فيكون قدوة
 لهم في الوحدة، كما كان قدوة لهم في الجهاد والتضحية..

إن أيدي شعوب أمتنا على قلوبها على مسلمي لبنان، تنبض عليهم بالخوف من
 مؤامرات العدو، ولهم بالحب والدعاء..

حول تجربة حزب الله في افغانستان

ليس اختيار الحديث عن تجربة حزب الله في افغانستان بسبب أن هذا البلد مسلم من مناطق الدرجة الأولى الساخنة في معركة أمتنا مع أعدائها فحسب، بل بسبب ظاهرة النجاح العظيم الذي حققته طريقة حزب الله، وظاهرة المأساة المؤلة التي أوجبتها طريقة الأحزاب والتنظيمات..

كلنا نسمع عن جهاد أمتنا المظلومة وبطولاتها في أفغانستان، فأنظمتنا العربية سخية في إعلامها عنهم والحمد لله، لأن معركتهم مع روسيا، أما لو كانت المعركة مع أمريكا لاختلف الأمر.. نسمع عن عمليات الجهاد الصغيرة والكبيرة في مناطق أفغانستان المختلفة، وعن مشاركة غالبية الشعب الأفغاني في شرف الجهاد بملايئنه السنية التي قد تبلغ العشرين، وملايئنه الشيعة التي قد تبلغ العشرة، ونسمع بأسماء حركاته وتنظيماته وبعض علمائه.. ولكن أكثرنا لا يعرف أن الشيعة كانوا في السنوات الأولى للغزو الروسي طليعة الجهاد وأمثولته عند إخوانهم السنة، وأن الأمر انعكس في هاتين السنتين الأخيرتين فأصبح السنة طليعة الجهاد وأمثولته عند إخوانهم الشيعة.. وأن السبب في ذلك هو العمل بطريقة حزب الله، أو بطريقة الأحزاب والتنظيمات الغربية..

أشعر بأنها حقيقة قاسية على إخواني الأعزاء في الأحزاب والتنظيمات الإسلامية،

ولكن هل تكون الحقيقة دائماً لَيِّنَةً كما نريد..

في أول الغزو الروسي تحرك علماء الشيعة وجمهورهم الى الجهاد بطريقة حزب الله، بقيادة العلماء، ومبادرات الجماهير وتضحياتهم، فكتب الله لهم النصر، وحرروا نحو تسعين بالمئة من مدنها وقراهم من جيش السلطة العميلة ومن القوات الروسية، وحرروا بعض المناطق المشتركة بينهم وبين السنة، فكان المسلم الشيعي موضع إعجاب أخيه السني، وكان علماء الشيعة موضع إعجاب إخوانهم علماء السنة، ولم يكن في أوساط الشيعة إلا تنظيم صغير بقيادة أحد العلماء..

ولكن بعد هذه المرحلة من النصر وسيطرتهم على مناطقهم، ابتلاهم الله بتشكيل الأحزاب والتنظيمات، حتى بلغ عددها بضعة عشر حزباً وتنظيماً، فدبّ بينهم التنافس، ثم الفتوية ثم الحساسة، ثم الغيبة والتجريح، ثم الحملات الإعلامية، ثم الاشتباكات المسلحة التي كان نتيجتها ثلاثة آلاف قتيل على الأقل، كما أخبرني أحد كبار علمائهم..

وكانت النتيجة أيضاً انشغالهم ببعضهم عن جهاد العدو الكافر واعتزال العديد من علمائهم المجاهدين، وأوساط واسعة من الجماهير، حتى يمكن القول بأن مشاركتهم في عمليات الجهاد طيلة السنتين الماضيتين مشاركة محدودة جداً..

والتختم هذه المأساة إلا بعد المساعي الحميدة من وسطاء الخير من علمائهم المستقلين، وأحد كبار علماء إيران، حتى وفق الله بعد جهود كبيرة ومدة طويلة، أن يتوصلوا الى نوع من الوحدة، وأن يعلنوا... إيقاف إطلاق النار على بعضهم، ولا بد أن الأمر يحتاج الى جهود كبيرة وتوفيقات عظيمة حتى يعود اليهم شرف الجهاد الذي سلب منهم، ويطلقوا النار على عدوهم..

هذه التجربة المنعم عليها في مرحلتها الأولى، والمغضوب عليها في مرحلتها الثانية، تنفعنا معرفة قيمة طريقة حزب الله، وصحة استراتيجيتها في رفض الإطار التنظيمي للعابدين فيها، وحصرهم بفئة من الأمة.. فتأطير فئة من الأمة سيحرك آخرين الى تأطير فئات أخرى وسيجبر الى التنافسات الفتوية وأمراضها، حتى يصل الأمر الى

الصراعات الداخلية والانشغال عن العدو، لافرق في ذلك بين أن يكون على صعيد القرية أو المحلة، والمدينة، والبلد المسلم، والأمة الاسلامية..

ومن الطريف في الأمر أن نجد الخط البياني في المسلمين السنة الأفغان قد سار بعكسه في الشيعة تماماً، فقد كان في السنة قبل الغزو الكافر أحزاب وتنظيمات، وقد تصدّت لمقاومة العدو وجهاده، ولكن الجماهير المسلمة لم تتجاوب معها في المرحلة الأولى إلا قليلاً، فنتج عن ذلك حالة ضعف عامة في المقاومة، فلا الأحزاب المتصدية لقيادة الأمة ضحت بعناصرها كما ينبغي لكي تكون قدوة، ولا هي تخلّت عن إطارها التنظيمي الفئوي وطرحت العمل بطريقة حزب الله المفتوحة.. بل ذكر بعضهم أن بعض الأحزاب كانت تملك الأسلحة ولا تملك العناصر، ومع ذلك لم تكن تعطي للمسلم سلاحاً يقاوم به العدو إلا بشرط أن ينضم إليها، فكان بعض المسلمين الذين يريدون الجهاد ولا يحبون الدخول في الأحزاب، عند ما يطلبون السلاح ولا يعطون ينصرفون وأعينهم تفيض من الدمع أن لا يجدوا ما يقاتلون به في سبيل الله..

وهكذا انشغلت الساحة الاسلامية السنية في المرحلة الأولى في التنافس الحزبي، والفئوية والحساسة والتجريح والحملات الاعلامية، ثم بالاشتباكات المسلحة التي ذهب صحتها نحو خمسة آلاف قتيل كما ذكر بعض العلماء.. حتى أدركتهم الرحمة الالهية، ولكن بماذا..؟

بأمواج المهاجرين من أمة حزب الله الذين اضطهرهم العدو الكافر الى ترك مدنها وقراهم، فهاجروا الى المناطق المحررة عند الحدود الباكستانية أو الى داخل باكستان، وأخذوا يضغطون على الأحزاب أن تمدهم بالسلاح والمال لمجاهدة العدو، ووفق الله الأحزاب الاسلامية فأدرك بعضها خطأ فئويته مقابل جماهير الأمة، ورأى بعضها الآخر أنه مضطراً لأن يعطي المساعدات والأسلحة التي تصل اليه الى جمهور حزب الله بدون قيد أو شرط إلا جهاد العدو.. وهكذا فرضت جماهير حزب الله على الأحزاب والتنظيمات أن تتحول الى مراكز للتسليح والتمويل وتتنازل عن فئويتها وإطارها التنظيمي.. وأخذت الرحمة الالهية تنزل بالنصر في معارك المواجهة البطولية وفي

العمليات البطولية، التي تهز هذه الأيام قصر الحاكم العميل في كابل، وتدمر قواعد العدو الجوية وطائراته..

وهذه التجربة المغضوب عليها في مرحلتها الأولى، والمنعم عليها في مرحلتها الثانية، تنفعنا في أن جماهيرنا بفطرتها الاسلامية تنكمش عن الأحزاب والتنظيمات بمجرد أن يحدث بينها تنافس فتوي وصراع.. فإذا طال أمر الأحزاب على هذه الحالة وكان خطر العدو قائماً أو متزايداً وكانت إمكانات العمل بيد الأحزاب والتنظيمات.. فإن جماهير الأمة تقوم بالضغط عليها لانتزاع إمكانات العمل منها، وتقاوم العدو بطريقتها الأصلية طريقة حزب الله..

إنها تجربتان غنيتان بالدروس البليغة، وهما ماثلتان أمامنا في بلد تتوفر فيه كل دراعي الجهاد، من غزو العدو له، وشجاعة شعبه، ومساندة الدول المسلمة المجاورة له، بل وإسناد دول العالم الاسلامي والغربي أيضاً..

لقد أوجبت هذه الظروف الساخنة تسريع حركة هاتين التجربتين، وأن تطويا مرحلتهما في خمس سنوات، فهل من الضروري لنا في البلدان الاسلامية الأخرى أن ننظر خمسين سنة حتى يتم انقسام مجتمعاتنا الى أحزاب وتنظيمات، وتتم دورة الصراع فيها، حتى ندرك يومذاك أن طرح الأطر التنظيمية في مجتمعاتنا خطأ قاتل، وأن هذه البنى الوافدة سوف تتناقض مع البنية الطبيعية، وتتناقض فيما بينها، وأن كل هذه التناقضات ستتم على حساب وحدة الأمة وإسلامها، ومعركتها مع عدوها..

عندما تصاعدت أحداث الثورة الاسلامية في إيران وانتصرت، كان الأمر السائد عندنا في الأحزاب والتنظيمات الاسلامية في العالم، أن هذا الانجاز لابد أن يكون واه تنظيم سياسي واسع وفعال.. وأخذت كغيري أسأل الإيرانيين فوجدت أنه باستثناء حزب بازرگان ورجوي والشيوعيين لم يكن هناك حزب أو تنظيم سياسي إلاقاً، بل تشكيلات إجرائية باشراف العلماء، وأن القوم عندهم حساسية من الأحزاب والتنظيمات لأنها تؤدي الى الفتويات والاختلاف، وأن طريقة العمل

المتبناة من الامام والعلماء هي طريقة حزب الله المفتوحة لكل الفئات.. فبدأت أدرك النظرة الشمولية والحضارية في هذه الصيغة وفي مبدأ الفقيه ولي الأمر.. ولكن إدراك السلبات المقابلة في العمل الحزبي أصعب بكثير علينا نحن الذين نشأنا فيه وأحببناه، ورأينا الكثير من حسناته ولم نر شيئاً من سيئاته.. أما التجربة الأفغانية فتقول إنكم في أول التجربة ولم تمعنوا بعد في مراحلها لتروا سيئاتها، ولم تكتنوا بنار الفرق والصراعات وتجري دموع شيوخكم ونسائكم ضارعة الى الله تعالى أن يكشف عن المسلمين بلاء الأحزاب والتنظيمات..

قلت لبعض علماء أفغانستان: سمعت أن بعض كبار الفقهاء يحرم العمل بطريقة الأحزاب والتنظيمات، لأنه يسبب الاختلاف بين المسلمين.. قال: هذا أمر قطعي، فقد رأينا نتائجه ومصائبه، ولولا هذا المرض لهزمتنا الروس منذ زمن طويل..

وينبغي أن نستفيد من التجربة الافغانية أيضاً للتنبيه الى هذه الخصوبة الخاصة التي يعطيها وجود الأحزاب والتنظيمات للعدو.. قال أحد العلماء الافغان: وصلتنا أخبار موثوقة من داخل السياسيين العملاء للروس أن عدد الأفغان المجندين للتجسس لروسيا المنتشرين في الشعب الافغاني بلغ أربعاً وعشرين ألفاً..

طبيعي أن منهم من كُشف وأُعدم، ومنهم المشكوكون الذين يحذر منهم المسلمون ويبعدونهم عن أعمالهم.. ولكن الألوف الأخرى غير المكشوفة من هذه العناصر الشيطانية ماذا تصنع؟ لا بد أنها تركز تغلغلها في الأحزاب وحول العلماء، ولا بد أن دورها كبير وخطير في بذر الخلاف وتصعيده، من أجل عرقلة جهاد المسلمين لعدوهم..

وقد يكون لها دور في دفع بعض الأشخاص الى إنشاء أحزاب جديدة، بهدف تكثير عدد الأحزاب، وعوامل الاختلاف والصراع..

* هذا الكتاب هو إحدى المحاولات المتعددة لبيان الطريقة النظرية والعملية التي استعملتها وتستعملها الثورة الإسلامية الإيرانية في عملها.

* وهي تتميز بأنها محاولة شاملة لاستكشاف مجموعة الأسس والأصول لطريقة حزب الله أو خط الإمام، التي تلقي الضوء على التفريعات والتفاصيل.

* وبأنها تتضمن المقارنة أحياناً بين طريقة حزب الله في العمل الإسلامي وبين طريقة الحركات والأحزاب التي نقلناها عن الغرب وطبقناها في بلادنا الإسلامية.